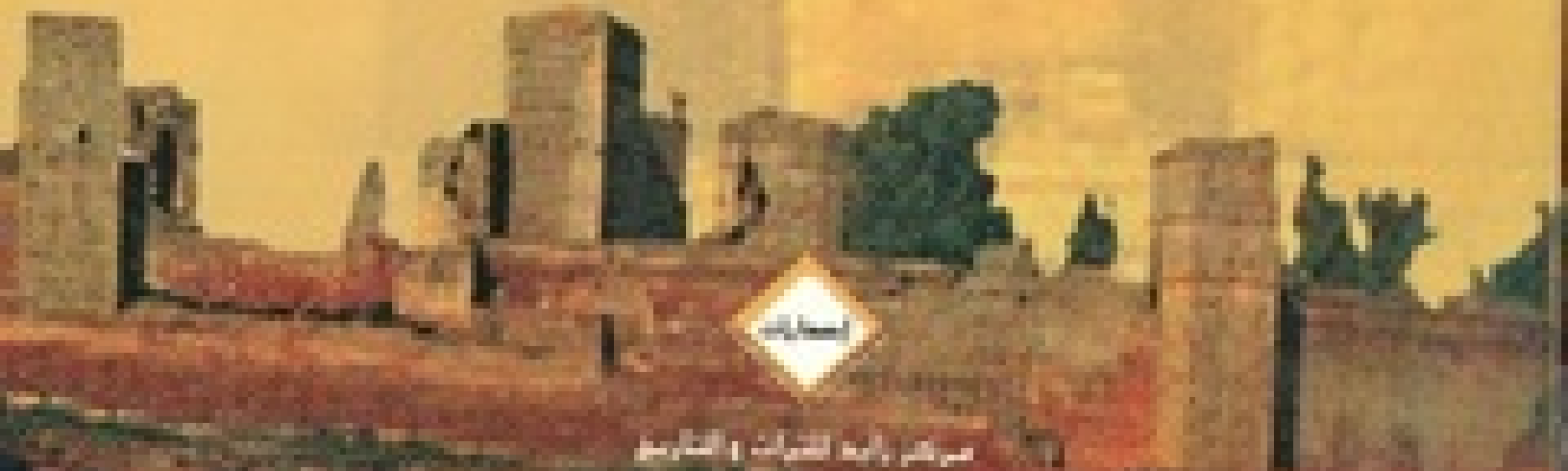
تحفة الأنفس

وشعار سكان الأندلس



تحقيق

د. عبد الإله أحمد نبهان د. محمد فارع صالح زعل

مركز زايد للتراث والتاريخ



www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

تحفه الانفس و شعار سكان الاندلس

اشارة

نام کتاب: تحفة الانفس و شعار سکان الاندلس
نویسنده: ابن هذیل، علی بن عبد الرحمن
محقق / مصحح: نبهان، عبد اله احمد / صالح زغل، محمد فاتح
موضوع: جغرافیای شهرها
زبان: عربی
تعداد جلد: 1
ناشر: مرکز زاید للتراث و التاریخ
مکان چاپ: العین
سال چاپ: 1425 ه. ق
نوبت چاپ: اول
ص: 1

اشارة

ص: 2

ص: 3

ص: 4

ص: 5

ص: 6

ص: 7

ص: 8

المقدّمة

حفل التراث العربى بالكثير من الكتب التى تحدّثت عن الخيل و الفروسية، و هى مجال تراثىّ خصب فى معارفه، و قيمه العربية و الإسلامية، التى يسعى مركز زايد للتراث و التاريخ بمدينة العين إلى تحقيقها و نشرها.

و يعدّ كتاب (تحفة الأنفس، و شعار سكان الأندلس) من المؤلفات المهمة فى مجال الخيل و الفروسية؛ فمؤلّفه على بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسى من أكثر علماء عصره- القرن الثامن الهجرى- إجادة للتأليف فى مجالات الخيل، و ما يتصل بها من مظاهر الفروسية، و أهميتها فى تربية النفوس، و صون الحرمات.

و فى هذه النشرة جهد علمىّ رصين، يظهر الكتاب فى حلّة جديدة، مستخرجة من نشرة بعناية (لويس مرسييه) التى ظهرت بطريقة التصوير الفوتو غرافى لنسخة مكتوبة بالخطّ المغربىّ سنة 1930 م، صوّرها مرسييه، و ألحق بها عددا من الصفحات، ضمّنها تصويبات، لما وقع فى النسخة المغربية من تصحيفات.

و قد وجد المركز ما يوجب نشر (تحفة الأنفس، و شعار سكان الأندلس) لندرة وجود نسخة مرسييه، و لأهمية وجود هذا الكتاب بين أيدى القرّاء و الباحثين فى التراث العربى و الإسلامىّ، و لا سيّما الأندلسىّ منه.

و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

المحققان

ص: 9

المؤلف و الكتاب

المؤلف:

اشارة

هو على بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسى، لا نعرف عنه شيئا ذا بال مع أن له عددا من الكتب المطبوعة، و قد ضنت المصادر الأندلسية و المشرقية التي نعرفها بذكر أخباره، فلم نقع له على أى ترجمة أو مجموعة أخبار، و قد سألنا الصديق الدكتور محمد رضوان الداية- و هو من المتبحرين فى الأدب الأندلسى و تاريخ الأندلس و تراثها- عن ابن هذيل فأخبرنا أنه لم يقع له أيضا على ترجمة فى المصادر التى طال تنقيبه و بحثه فيها، و قد كان ابن هذيل فى الجزء الثانى من كتابه فى الباب السادس عشر المعقود لذكر الرماح فى حلية الفرسان و فى نهاية الفصل الأخير منه قد قال:
و من أبدع ما قيل فيه- أى الرمح- قول شيخنا القاضى الشريف أبى القاسم الحسنى- رحمه الله.
و أصمّ ممطول الكعوب إذا اقتضىمهج الكماة فدينه لا يمطل
متوقّد حتى أقول: أذابلبيدىّ منه أم ذبال مشعل
لو لا التهاب النصل أينع عودهمما يعلّ من الدماء و ينهل
فاعجب له إن النجيع بطرفهرمد و لا يخفى عليه مقتل

و شيخه الذى يشير إليه و ينشد أبياته هو الشريف الغرناطى محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الحسينى أبو القاسم، من فضلاء الأندلس و أدبائها و قضاتها ولد بسبتة سنة 697 ه/ 1297 م، و بها نشأ، ثم ولى

ديوان الإنشاء بغرناطة ثم القضاء و الخطابة فيها، و ولى قضاء وادى آش، ثم أعيد إلى غرناطة و بها توفى و هو فى قضائها، و كانت وفاته سنة 760 ه/ 1359 م، فإذا كان هذا القاضى شيخ ابن هذيل فإن هذا الأخير كان بلا شک من رجال القرن الهجرى الثامن، و قد ترجم للحسينى لسان الدين فى كتابه الإحاطة فى أخبار غرناطة.

آثاره:

اشارة

و إذا كنا قد فقدنا أى أثر لترجمة لابن هذيل فإن الرجل قد ترک مجموعة من الأعمال وجد بعضها طريقه إلى النشر فى عصرنا، و قد قامت أعماله و ما فيها من الفوائد مقام ترجمته و أخباره، و الإنسان على كل حال يعرف بأعماله. و نذكر الآن أعماله منسوقة على الحروف:

- الأبواب: انظر الفوائد.
- تحفة الأنفس و شعار سكان الأندلس- سيرد الكلام عليه.
- تذكرة من اتّقى: ذكره ابن هذيل فى كتابه المطبوع: عين الأدب و السياسة ص 222.

حلية الفرسان و شعار الشجعان:

هذا الكتاب هو فى حقيقته الجزء الثانى من كتاب «تحفة الأنفس و شعار سكان الأندلس» و قد أفرده مؤلفه بعنوان مستقل و وضع له مقدمة تشبه إلى حد كبير مقدمة تحفة الأنفس. و قد طبع مستقلا غير ما مرة فقد نشره لويس مرسيهMercier عام 1922 م بباريس بطريقة التصوير عن نسخة مكتوبة بالخط المغربى، ثم نشره المرحوم محمد عبد الغنى حسن فى دار المعارف بمصر عام 1952 م، ثم نشره مركز زايد للتراث و التاريخ بتقديم من سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، نائب رئيس مجلس الوزراء، عام 2002 م.

و يتألف هذا الكتاب من عشرين بابا معظمها يتعلق بالخيل و ما يتصل بها من اللغة و النسب و الفرسان و خصصت بعض الأبواب الأخيرة للسيف و الرمح و الترس.

عين الأدب و السياسة و زين الحب و الرياسة:

و هو كتاب مؤلف من أربعة أقسام، و قد قسم كل قسم منها إلى فصول و سنذكر عناوين الأقسام لأنها تدل على موضوعات الكتاب.
1- من الأحاديث و الحكم و الأمثال التى يقوى الشاهد بها و يعظم الاستدلال.
2- فى السؤدد و المروءة و مكارم الأخلاق و مداراة الناس و التأدب معهم فى حالى الغنى و الإملاق.
3- فى طرف من الحكايات و الآداب الصادرة عن أولى الألباب و الأحساب.
4- فى جمل من الوصايا و المواعظ الحسان العظيمة الفائدة و المنفعة لكل إنسان.
و قد طبع هذا الكتاب بمطبعة الاعتماد بمصر سنة 1303 ه/ 1885 م و له طبعة أخرى على هامش كتاب «غرر الخصائص الواضحة» لجمال الدين الوطواط (ت 718 ه) فى المطبعة الأدبية بمصر سنة 1900 م، كما طبع فى مطبعة البابى الحلبى بالقاهرة سنة 1938 م، ثم نشرته دار الكتب العلمية ببيروت و صدرت طبعته الثانية عام 1985 م، و طبعاته هذه غير محققة.

ص: 12

الفوائد المسطرة فى علم البيطرة أو الأبواب:

طبع فى مدريد سنة 1935 م و قد علق ناشر كتاب عين الأدب فى طبعة دار الكتب العلمية على هذا الكتاب بقوله: هناک بعض الشکوک حول نسبة كتاب الفوائد المسطرة فى علم البيطرة. و أجدر بهذا أن يكون من تأليف يحيى بن أحمد بن هذيل الطبيب.

كمال البغية و النيل:

ذكر مرسيه أن ابن هذيل ذكره فى كتابه عين الأدب و السياسة.

ذكره فى كتابه عين الأدب و السياسة ص 262.
و هكذا نرى أن هذا الرجل المجهول فى كتب التراجم قد ترک تراثا أدبيا جيدا يعتمد الجمع و الاصطفاء و الترتيب كما لاحظنا فى كتبه التى تيسر لنا الاطلاع عليها، و قد صرح بذلک فى غير ما موضع من كتبه، قال فى مقدمته لكتاب «عين الأدب و السياسة»:
«فإن التأليف غير موقوف على زمان، و التصنيف ليس بمقصور على أوان، لكنها صناعة ربما قصرت فيها سوابق الأفهام، و سبيل ربما حادت عنها أقدام الأوهام، قال بعض الحكماء: لكل شىء صناعة، و صناعة التأليف صناعة العقل .. و الذى عليه فى التأليف المدار، و هو حسن الانتقاء و الاختيار، مع الترتيب و التبويب و التهذيب و التقريب .. و فضيلة هذا التأليف هى فى جمع ما افترق، مما تناسب و اتسق، و اختيار عيون و ترتيب فنون، من أحاديث نبوية، و مكارم أدبية، و حكم باهرة، و أبيات نادرة، و أمثال شاردة، و أخبار واردة، و وصايا نافعة، و مواعظ جامعة،

و مروءات سرية، و سياسات سنية، و معان مستظرفة، و حكايات مستطرفة، و جميع ذلک مطرد بکل شعر جزل، سهل، برىء من الغزل و الهزل»، و لا يعدم القارىء مثل هذا الکلام، فى مقدمة تحفة الأنفس و مقدمة حلية الفرسان، فالرجل کان بارعا فى اختراع الأبواب ثم فى ملئها بمختاراته من کتب الأدب و الحديث و غيرها من کتب الثقافة التى کانت معروفة و کثيرة فى عصره.

الكتاب:

عنوان الكتاب كما ذكره فى مقدمته ص 8: «تحفة الأنفس و شعار سكان الأندلس» و قد ذكر على نحو مختصر فى كتابه عين الأدب و السياسة فقال ص 296 و ص 298: و من المنقول من كتابنا «تحفة الأنفس» و قد سطر اسم المؤلف فى أول المخطوط الذى اعتمدناه، فلا شک لدينا فى نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه.
أما قيمة الكتاب فتكمن فى أنه كان استجابة ثقافية لأوضاع البلاد الأندلسية، و ما اعتراها من مد و جزر فى ساحة الحروب، و من وهن و ضعف فى مجال السياسة، فأراد المؤلف التذكير بأهمية الجهاد و كونه العماد الذى تقوم عليه دولة الإسلام، لذلک نراه يقول: «و ذلک هو الذى أوجب على العبد تأليف هذا الكتاب و تلخيصه و تهذيبه و تمحيصه عند ما لاذ به و تمسک بفاضل مذهبه فى الجهاد و الرباط و ما ينتظم بذلک من أى قرآنية، و أحاديث نبوية، و مسائل فقهية، و تواريخ علمية، و صناعة فروسية، و آثار ملوكية، و شجاعة طبيعية، و حكمة سياسية، و مكيدة حربية، و أبيات شعرية، و جلاء و كفاح، و خيل و سلاح، و ما يختار و يحمد من صفاتها، و يكره و يذم من شياتها، و جميع ما يختص بأحوال المركوب، و يتضمن تعليم الركوب، و تتميم المطلوب» و قدم المؤلف كتابه إلى أمير المؤمنين الغنى

بالله أبى عبد الله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر فى آخر أيام بنى الأحمر. و كانت ولاية الغنى بالله الثانية عام 763 ه/ 1362 م و واضح أن حديث المؤلف يشمل الكتاب بقسميه، و نحن إنما نعنى الآن بالقسم الأول الذى اتجه إلى الجهاد و الرباط فقط دون الخيل و السلاح. و قد جعل المؤلف هذا القسم فى عشرين بابا شاملة لأحكام الجهاد، و ما قيل فى التحريض عليه، و جامعة لما اتصل به من أخبار الشجاعة و الإقدام و وصايا أمراء الجيوش و ما يتصل بذلک من شرح لأساليب الحرب و أشكال القتال.
هذا و قد جمع المؤلف مادة كتابه من عدد من المصادر منها ما هو موجود لدينا الآن و منها ما هو مفقود لم نقع له على أثر، فمما هو موجود و رجعنا إليه و وثقنا الأخبار منه كتاب السيرة النبوية لابن هشام و كتاب العقد لابن عبد ربه و كتاب سراج الملوک للطرطوشى و كتاب الحماسة لأبى تمام و كتاب مروج الذهب للمسعودى أما كتاب ابن يونس فى فقه الجهاد و كتاب راحة القلوب و الأرواح فى الخيل و السلاح و ما يماثلها مما هو مذكور فى مقدمة المؤلف فلم نقع لها على أثر مع الأسف.

النسخ المعتمدة فى التحقيق:

1- نسخة الأسكوريال (س):

كتبت هذه النسخة بخط أندلسى و جاءت فى 271 صفحة مشتملة على كتاب تحفة الأنفس بقسميه، و لم يذكر اسم الناسخ و لا تاريخ النسخ، لكننا وجدنا فى الصفحة الثانية تمليكا يفيد بأن هذه النسخة كانت

متداولة عام 821 ه، أی فی زمن قریب من عصر المؤلف و سنذکر ها هنا نص التملیک مصححین ما ورد فیه من أغلاط الإملاء و النحو:
«الحمد لله وحده، اشتری هذا السفر بثلاثة ذهب عبید الله، أقل عبیده و أکثرهم ذنوبا و عصیانا، راجیا عفو الله سبحانه و غفرانه (کلام مطموس) تاب الله علیه و لطف به و غفر الله له و لوالدیه، و أماته الله علی الإیمان و الإسلام و لمن قرأ و قال: آمین آمین و صلی الله علی سیدنا محمد و علی آله (کلام مطموس) عنه فی أواخر المحرم عام أحد و عشرین و ثمان مائة».
احتل القسم الأول من الکتاب 123 صفحة، کان من المفروض أن تشتمل علی عشرین بابا، لکن أبوابا سقطت منها و لم یتنبه علیها مرقم صفحات الکتاب، فقد سقط منها الباب الثالث عشر و الرابع عشر و الخامس عشر و السادس عشر .. و قمنا باستدراک هذه الأبواب من نشرة مرسیه.

2- نشرة مرسيه (م):

كان لويس مرسيهLouis Mercier المستشرق الفرنسى قد نشر القسم الثانى من «تحفة الأنفس» بعنوان مستقل هو «حلية الفرسان و شعار الشجعان» فى باريس عام 1922 م مصورا عن مخطوطة بخط مغربى، و ألحق بها صفحات من الأغلاط التى وقعت مع تقديم اجتهاد فى تصحيحها، ثم قام عام 1933 بنشر القسم الأول بعنوان «تحفة الأنفس و شعار سكان الأندلس» و قال فى مقدمته «فدونک ذلک الجزء الأول تحت عنوانه الحقيقى، و خطابه الخاص به نشرته بوسيلة الفتوغرافية مثل ما سبق منى للحلية حتى تقوم لديک النسخة محل الأصل المغربى المخطوط».

ص: 16
جاءت صورة هذا المخطوط فى 87 صفحة فى كل صفحة خمسة و عشرون سطرا متوسط كلمات السطر خمس عشرة كلمة كتبت بخط مغربى، و اشتملت على الأبواب العشرين تامة و قد وضع عنوان بخط كبير لكل باب، و ألحق مرسيه بالكتاب اثنتى عشرة صفحة على أنها جدول للخطأ و الصواب.

عملنا فى الكتاب:

اعتمدنا فى تحقيقنا للكتاب مخطوطة الأسكوريال (س) لأنها النسخة الأم و هى الأقدم كما بدا لنا، و بعد نسخها عارضناها بنشرة باريس التى رمزنا لها بالحرف (م) و أثبتنا الفروق بين المخطوطتين، و استدركنا الأبواب الساقطة من نسخة الأسكوريال بالأبواب تامة كما جاءت فى نشرة باريس،. ثم عمدنا إلى الأخبار فحرصنا على ربطها بمرجعيتها التى كانت عماد المؤلف، و قارنا نص الأخبار بأصولها فصححنا ما احتاج إلى تصحيح و قومنا ما احتاج إلى تقويم، و ترجمنا لأعلام الكتاب و خرجنا الآيات الكريمة و معظم الأحاديث الشريفة و وضعنا له الفهارس اللازمة حتى يأتى كصنوه الجزء الأول فى دقة التخريج و جمال الإخراج.
و بصدوره يكون كتاب تحفة الأنفس قد صدر تاما بعنوانين، يحمل القسم الأول العنوان الأصلى للكتاب، و يحمل القسم الثانى عنوان «حلية الفرسان و شعار الشجعان».
و إنه لمن الواجب الذى تمليه أخلاقية العمل العلمى أن نتقدم بخالص الشكر و التقدير إلى سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان- نائب رئيس مجلس الوزراء، حفظه الله لرعايته هذا العمل و تبنيه و تقديمه يد العون. و إلى مركز زايد للتراث و التاريخ ممثلا بمديره الدكتور حسن

محمد النابودة على جهوده و خدمته للعلم و العلماء. و حسبنا أننا بذلنا ما نستطيع من جهد فى إخراج هذا العمل فى هذا المستوى الذى نرجو أن يكون به لائقا.
المحققان

ص: 18

ص: 19

نماذج من صفحات المخطوطات المعتمدة فى التحقيق

ص: 20

ص: 21
صفحة العنوان من طبعة مرسيه

ص: 24
الصفحة 45 من نشرة لويس مرسيه

ص: 25
الصفحة 46 من نشرة لويس مرسيه

ص: 26
الصفحة الأخيرة من نشرة لويس مرسيه

ص: 27
من نشرة لويس مرسيه

ص: 28
الصفحة الأولى من مخطوطة الأسكوريال

ص: 29
الصفحة الثانية من مخطوطة الأسكوريال

ص: 30
الصفحة 55 من مخطوطة الأسكوريال

ص: 31
الصفحة 56 من مخطوطة الأسكوريال

ص: 32
الصفحة 71 من مخطوطة الأسكوريال

ص: 33
الصفحة 72 من مخطوطة الأسكوريال

ص: 34
الصفحة 122 من مخطوطة الأسكوريال

ص: 35
الصفحة 123 من مخطوطة الأسكوريال

ص: 36

ص: 37
تحفة الأنفس و شعار سكّان الأندلس لعلىّ بن عبد الرّحمن بن هذيل الأندلسى منه علماء القرن الثّامن الهجرى

ص: 38

ص: 39

(س 3) (م/ 1) بسم الله الرحمن الرحيم صلى اللّه على سيّدنا و مولانا محمد و على آله و صحبه و سلّم.
قال عبد الله الفقير إلى رحمته علىّ بن عبد الرحمن بن هذيل وفّقه الله:
الحمد لله المنعم بسوابغ المنن و الآلاء، المحسن بجلائل القسم و النعماء، الذى أكرمنا بالإسلام و هدانا برحمته إلى دار السلام، و أخرجنا إلى نور الهدى من ظلم الشّرک و الردى، و جعلنا ممّن وفّق لطاعته و بكتابه اقتدى.
و صلى الله على سيدنا و مولانا محمد عبده و رسوله نبىّ الملاحم، و متمّم المكارم الذى ختم به النبيين و نسخ بشريعته شرائع الأولين و الآخرين، فمحا- عليه السلام- بسيوف حزبه المجاهدين مقال الملحدين، و كفّ بأوليائه المهتدين أكفّ المارقين و مكر المعتدين، و أظهر على كلّ ثنية وفد الله و ركبه، و أشعر دينه القيّم شرق المعمور و غربه، صلاة تنظم فى سلكها أهله الطاهرين و صحبه، و سلّم كثيرا.
أما بعد:- كتب الله النصر المؤيّد، و العزّ المؤبّد، و الثناء المخلّد، للمقام الكريم/ (س 4) السنىّ الجليل، الطاهر العلىّ، مقام مولانا و ملجئنا و منجانا، و عصمة ديننا و دنيانا، ظهير الدين و عماد المؤمنين، و خليفة ربّ العالمين، (قمر السّعد و صفوة بيت الملک الرفيع المجد، ذى الآثار العليّة و المآثر الجهاديّة) الشهير المناقب، العالى المراتب، أمير المسلمين الغنىّ بالله أبى عبد الله محمد(1) ابن الهمام الأوحد الأشرف الأمجد، المثيل الخطير، الشهير الكبير، الكريم المآثر، السامى المفاخر، أمير المسلمين

1- تولّى مملكة بنى الأحمر عام 797 ه و هو السلطان الحادى عشر من ملوک الدولة النصرية.

المقّدس أبى الحجّاج يوسف ابن مولانا الهمام الأعلى، الأوحد الأسمى، الأشهر الأكبر الأرضى، المجاهد الأمضى، حامى حمى الإسلام، و صدر الملوک و علم الأعلام، أمير المسلمين المقدس أبى الوليد إسماعيل بن نصر، وارث الفخر الأنصارىّ، و منتهى الشرف العربىّ، و ناهيک من شرف صميم، و منتمى كريم، و فخر كبير، و علاء شهير، و مجد ما فوقه مرتقى لمجد، و لا مجال لحمد، و قدر رفع الله محلّه على الأقدار، و جعل نجاره من السادة الأخيار، البررة الأنصار، الذين ثبتوا مع رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- عند الفرار، و كابدوا من أجله حدّ الذّوابل و ذلق الشّفار: سؤدد يكلّ فى وصفه القرطاس و القلم، و تعجز/ (س 5) عن حصره العرب و العجم/ (م 2).
فما جازه مجد و لا حلّ دونهو لكن يصير المجد حيث يصير(1)

ملک الدنيا الذى وقع عليه الإصفاق، و التأم به الاتّفاق، و تحدّثت بسيره الجميلة الرفاق، فتشوّفت إليه الشام و العراق، اليمن مكتنف بسلطانه، و الظفر مبتسم عن سنانه، و النّجح عاقد لوائه، و الحمد نسج ردائه، إذا خفق لواؤه، أذنت بالنصر هيجاؤه، و إن غزا قوما أو نهد إلى بلد، تقدّمه جيشان من الرعب و العدد، و لو لم يقد جحفلا، لكان بنفسه فى الحروب متكفلا، و كيف لا؟!! و هو قد سلب البغاة الأمر قسرا، و أكسب الطغاة من

1- هذا البيت لأبى نواس من قصيدته التى مدح بها الخصيب أمير مصر و أولها:
أجارة بيتينا أبوک غيورو ميسور ما يرجى لديک عسير
ص 480- 481، ديوان أبى نواس« أحمد عبد المجيد الغزالى» المجلد الثانى، الناشر دار الكتاب العربى- بيروت- بلا تاريخ.

خوفه ذعرا، فتحصنّا برقاقه و بواتره، و تحبّسنا بمحاسنه و مفاخره، حين نهج- أيّده الله- طريق الدين من أمم، و اقتدى بالنبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- و أصحابه خير الأمم، فجعل شعاره الجهاد، و شيمته سلوک سبيل الرشاد، فأثجمت بعدله سحائب الخيرات، و أنجمت بعوامله غياهب الملمّات، و تفرّج من الزمان أدهمه، و انبلج عمود الأمان و لاح مبسمه، و عادت به جزيرة الأندلس فى حرز من نزغات الفتن، و حفظ من لزبات الإحن، فحمى حماها، و ذبّ عن أرجائها و فصم رداها، و حصد شوكة أعدائها و وطىء الروم/ (س 6) و كفّها من غلوائها، و ذلّلها بعد استيلائها، و خرّب ديارها، و شتّت أحوالها، و قتل حماتها و أبطالها، فعظيمهم من أجله يتوقّع الحتوف فى كلّ لحظة، و يستجلب العطوف بكلّ لفظة، فالخوف بين ضلوعه كالصلّ، و الثكل فى أحشائه كالنّصل، لا يرى من الليل سترا حالكا إلّا ظنّه جيشا فاتكا، و لا من النهار ثغرا ضاحكا إلا توهّمه عضبا باتكا، و قد حمّ لذلک حمامه و تشعّب نثره و نظامه، و أتى على ضوئه ظلامه، و بكى عليه رمحه و حسامه.
و اتّضح بهذا القطر الأندلسىّ دين الإسلام ببركة دولة هذا البطل الهمام، معمور الأرجاء، موفور النّعماء، مضمون النماء، مصون السرّاء، محجوب الضراء،
فالحمد لله الذى شرف دولته على جميع الدّول، و جعل ملوک الأرض لها كالأتباع و الخول، فهم تحت طاعتها يمرحون، و فى مورد عنايتها يكرعون، و إليها فى مهماتهم يفزعون.
أبقاها الله تعالى فى ذروة العزّ المكين، و الحرز الأمين، و التّوفيق الواضح المستبين بمنّه و فضله و كرمه و طوله.

فإنّ أعظم الفوائد قدرا، و أشرف المعانى ذكرا، و أنجح المساعى أمرا، أن يرفع فنّ من العلم نبيل إلى مقام ملک جليل، لا سيّما إذا كان ذلک فيما يتعلّق بصفة الملک/ (س 7) الغالبة عليه، و يختصّ بسجيته المنوطة به، و قطره الراجع حكمه إليه، فيتضاعف/ (م 3) شرف الموضوع، و يبهر كمال المصنوع، و يكرم جوهر المطبوع، و ذلک هو الذى أوجب على العبد تأليف هذا الكتاب و تلخيصه و تهذيبه و تمحيصه عند ما لاذ به و تمسّک بفاضل مذهبه فى الجهاد و الرّباط و ما ينتظم بذلک من أى قرآنية، و أحاديث نبويّة، و مسائل فقهية، و تواريخ علمية، و صناعة فروسية، و آثار ملوكيّة، و شجاعة طبيعية، و حكمة سياسيّة، و مكيدة حربية، و أبيات شعرية، و جلاد و كفاح، و خيل و سلاح، و ما يختار و يحمد من صفاتها و يكره و يذمّ من شياتها، و جميع ما يختصّ بأحوال المركوب، و يتضمن تعليم الركوب، و تتميم المطلوب إن شاء الله، لنقضى بذلک من حقّ مولانا- أيده الله- بعض ما وجب، و إن كان المؤلفون بجميع فنونهم ينسلون إليه من كلّ حدب، فإنى اعتمدت على مقصد شريف، و منزع يوجب لقاصده التنويه و التشريف.

و جمعت هذا الكتاب من جملة تواليف، و انتقيته من غير ما تصنيف ككتاب ابن يونس فى فقه الجهاد، و كتاب ابن المنذر أيضا فى الجهاد و كتاب سيرة أجواد الأنجاد فى مراتب الجهاد، و كتاب يقظة الناعس لتدريب المجاهد/ (س 8) الفارس، و كتاب تهذيب الإمعان فى الشجاعة و الشجعان، و كتاب راحة القلوب و الأرواح فى الخيل و السلاح، و كتاب سياسة ابن حزم، و كتاب سراج الملوک و نظم السلوک، و كتاب العقد، و كتاب مروج الذهب، و كتاب

ابن أبى حزام، و كتاب الدمياطى فى الخيل و كتاب الحميدى، و كتاب رسالة الفرس، و كتاب الحماسة، إلى غير ذلک من التواليف التى (كأنها) لنزارة المنقول منها هنا لم تكتب، و من الأجزاء التى لصغر حجمها لم تنسب. فجاء بحمد الله تعالى فى فنّه مجموعا كافيا، و فى معناه أسلوبا شافيا، تذكرة لمن عنى بالجهاد و تبصرة لأرباب الطّعان و الجلاد، و تنبيها للفارس، و عونا للبطل الممارس، و سمّيته: «تحفة الأنفس و شعار سكّان الأندلس» و قسمته على قسمين جامعين لفوائد غريبة، و معان صحيحة غير سقيمة و لا معيبة، يشتملان على أربعين بابا، فالقسم الأول فى الجهاد و الرّباط و ما يتعلق بهما و يحتوى على عشرين بابا:

- الباب الأوّل منه: فى فضل الجهاد و ما أعدّ الله للمجاهد و الشهيد فى سبيله.
- الباب الثانى: فى الرباط و فضله و ما خصّت به من ذلک جزيرة الأندلس.
- الباب الثالث: فى فرض الجهاد.
- الباب الرابع: فيما يفعله الغازى عند خروجه/ (س 9) إلى الجهاد.
- الباب الخامس: فى مشاركة الغازى/ (م 4) و معاونته و تجهيزه.
- الباب السادس: فيما يجب على الأمير أن يفعله فى السّفر.
- الباب السابع: فى امتثال الغازى أمر إمامه و أمير عسكره و قائد جماعته.

- الباب الثامن: فى حكم ولاة الثغور و ذكر الصّوائف.
- الباب التاسع: فى وصايا أمراء الجيوش.
- الباب العاشر: فى التحريض على الجهاد.
- الباب الحادى عشر: فيما يجوز فعله فى الغزو، و ما لا يجوز فعله فيه.
- الباب الثانى عشر: فيما يجب عمله عند إرادة اللقاء.
- الباب الثالث عشر: فى القتال و المزاحفة إليه و ما قيل فى التحرّف و الانحياز.
- الباب الرابع عشر: فى مصابرة العدو و مواقفته عند اللقاء.
- الباب الخامس عشر: فى المبارزة.
- الباب السادس عشر: فى الشجاعة و الإقدام.
- الباب السابع عشر: فى صفة الحرب و تدبيرها و المكيدة.
- الباب الثامن عشر: فى الفروسية و التجنّد.
- الباب التاسع عشر: فى ذكر مشاهير فرسان العرب فى الجاهلية و الإسلام.
- الباب العشرون: فى الأمور المحصنة من التغرير، و الداعية إلى النصر فى الحرب.
- و القسم الثانى فى الخيل و السلاح/ (س 10) و ما يتعلّق بهما و يحتوى أيضا على عشرين بابا:
- الباب الأول منه: فى خلق الخيل و أوّل من اتخدها و انتشارها فى الأرض.
- الباب الثانى: فى فضائل الخيل و ما جاء فى ارتباطها.

- الباب الثالث: فى حفظ الخيل و صونها و الوصية بها.
- الباب الرابع: فيما تسمّيه العرب من أعضاء الفرس و عدد ما فى ذلک من أسماء الطير.
- الباب الخامس: فيما يستحب فى أعضاء الفرس من الصفات و ما يستحسن أن يكون شبيها به من الحيوان.
- الباب السادس: فى ألوان الخيل و ذكر الشّيات و الغرر و التّحجيل و الدوائر.
- الباب السابع: فيما يحمد من الخيل و صفة جيادها و أسماء العتاق و الكرام منها.
- الباب الثامن: فى عيوب الخيل خلقة و عادة.
- الباب التاسع: فى اختيار الخيل و اختبارها و الفراسة فيها.
- الباب العاشر: فى تعليم ركوب الخيل على اختلاف حالاته.
- الباب الحادى عشر: فى المسابقة بالخيل و الحلبة و الرّهان.
- الباب الثانى عشر: فى أسماء خيل رسول/: (م 5) الله- صلّى اللّه عليه و سلم- و فحول خيل العرب و مذكوراتها.
- الباب الثالث عشر: فى ذكر ألفاظ شتّى و تسميات أشياء تختصّ بها الخيل.
- الباب الرابع عشر: فى ذكر نبذة من الشعر فى إيثار العرب الخيل على غيرها و إكرامها لها و افتخارها بذلک.
- الباب الخامس عشر: فى ذكر/ (س 11) السيوف.
- الباب السادس عشر: فى ذكر الرماح.
- الباب السابع عشر: فى ذكر القسىّ و النّبل.

- الباب الثامن عشر: فى ذكر الدروع.
- الباب التاسع عشر: فى ذكر التّرسة و شبهها.
- الباب العشرون: فى السلاح و العدّة على الإطلاق.
و هو آخر أبواب القسم الثانى و به تمّت الأربعون بابا، جعل الله ذلک من المقاصد النافعة، و كتبها عنده فى النيّات الصالحة الشّافعة فهو ولىّ التوفيق و الهادى إليه.

ص: 47

القسم الأول

اشارة

ص: 48

ص: 49

الباب الأول فى فضل الجهاد و ما أعد الله للمجاهد و الشهيد فى سبيله

اشارة

ص: 50

ص: 51
فی فضل الجهاد و ما أعدّ الله للمجاهد و الشهید فی سبیله

[فی فضل الجهاد و معناه لغة و اصطلاحا]

و کتاب الله سبحانه أفضل راشد و أصدق شاهد یشهد، و لا شیء أعظم ممّا عظّمه الله تبارک و تعالی، و قد دلّنا علی تجارة رابحة، و صفقة بالفوز و النجاح راجحة، فقال عزّ من قائل: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلی تِجارَةٍ تُنْجِیکُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِیمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ، ذَلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ وَ یُدْخِلْکُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ مَساکِنَ طَیِّبَةً فِی جَنَّاتِ عَدْنٍ، ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ، وَ أُخْری تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِیبٌ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ(1).

و الجهاد فی اللغة العربیة مأخوذ من الجهد، و من ذلک قولهم: بلغ جهده و مجهوده و جهده الأمر إذا استنفد/ (س 12) وسعه و طاقته(2)، قال الله العظیم: وَ جاهِدُوا فِی اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ(3) أی دافعوا عن دینه و قاتلوا فی سبیله بغایة القدرة و منتهی القوّة.

1- سورة الصف 61/ 10، 13

2- فی العربیة: جهد یجهد جهدا: جدّ، و یقال: جهد فی الأمر، أی طلب حتی وصل إلی الغایة.
و بلغ المشقّة أیضا. و جاهد العدوّ مجاهدة و جهادا قاتله. و الجهاد شرعا قتال من لیست له ذمة من الکفار. عن الوسیط.

3- سورة الحج: 22/ 78.

و المأمور به من ذلک شرعا هو الصّبر علی حرب العداة وردع البغاة و قتال الطّغاة و حبس النفس علی مکارهها الدینیة فی العاجل لتنال بذلک درک مسارّها، و دفع مضارّها فی الآجل.

[ذكر الآيات التى تحض على الجهاد]

قال سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أُولئِکَ یَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ(1).
و قال تعالى: فَلْیُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ الَّذِینَ یَشْرُونَ الْحَیاةَ الدُّنْیا بِالْآخِرَةِ، وَ مَنْ یُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَیُقْتَلْ أَوْ یَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً(2).
(م 6) و قال عزّ و جلّ: وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِینَ عَلَى الْقاعِدِینَ أَجْراً عَظِیماً(3).
و قال جلّ و علا: وَ الَّذِینَ جاهَدُوا فِینا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنا(4).
و قال تعالى: وَ الَّذِینَ هاجَرُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَیَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً، وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَیْرُ الرَّازِقِینَ، لَیُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا یَرْضَوْنَهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِیمٌ حَلِیمٌ(5).
و قال سبحانه: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَأْتِی اللَّهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِینَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْکافِرِینَ،

1- سورة البقرة: 2/ 218.

2- سورة النساء: 4/ 74.

3- سورة النساء: 4/ 95 و الآية بتمامها:« لا یستوی القاعدون من المؤمنین غیر أولی الضرر و المجاهدون فی سبیل الله بأموالهم و أنفسهم فضّل الله المجاهدین بأموالهم و أنفسهم علی القاعدین درجة و کلا وعد الله الحسنی و فضّل الله المجاهدین علی القاعدین أجرا عظیما».

4- سورة العنکبوت: 29/ 69 و تتمة الآية:\i« وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِینَ»\E.

5- سورة الحج: 22/ 58، 59.

يُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ لا یَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ، ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ(1).
و قال تبارک و تعالی و ذکر أحوال المجاهدین: ذلِکَ بِأَنَّهُمْ لا یُصِیبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لا نَصَبٌ وَ لا مَخْمَصَةٌ (س 13) فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ لا یَطَؤُنَ مَوْطِئاً یَغِیظُ الْکُفَّارَ وَ لا یَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَیْلًا إِلَّا کُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ، إِنَّ اللَّهَ لا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ، وَ لا یُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِیرَةً وَ لا کَبِیرَةً وَ لا یَقْطَعُونَ وادِیاً إِلَّا کُتِبَ لَهُمْ، لِیَجْزِیَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما کانُوا یَعْمَلُونَ(2).
و قال تعالی: وَ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَلَنْ یُضِلَّ أَعْمالَهُمْ سَیَهْدِیهِمْ وَ یُصْلِحُ بالَهُمْ وَ یُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ(3).
و قال سبحانه: إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الَّذِینَ یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِهِ صَفًّا کَأَنَّهُمْ بُنْیانٌ مَرْصُوصٌ(4).
و قال عزّ من قائل: إِنَّ اللَّهَ اشْتَری مِنَ الْمُؤْمِنِینَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَیَقْتُلُونَ وَ یُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَیْهِ حَقًّا فِی التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِیلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفی بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَیْعِکُمُ الَّذِی بایَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ(5).

1- سورة المائدة: 5/ 54.

2- سورة التوبة: 9/ 120، 121 و بداية الآية 120 قوله تعالى:\i« ما کانَ لِأَهْلِ الْمَدِینَةِ وَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ أَنْ یَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَ لا یَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذلِکَ ...»\E.

3- سورة محمد: 47/ 4، 5، 6 و بداية الآية الرابعة:\i« فَإِذا لَقِیتُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتَّی إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِداءً، حَتَّی تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها، ذلِکَ وَ لَوْ یَشاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَ لکِنْ لِیَبْلُوَا بَعْضَکُمْ بِبَعْضٍ وَ الَّذِینَ ..»\E.

4- سورة الصف: 61/ 4.

5- سورة التوبة: 9/ 111.

و قال سبحانه فی الشهداء: وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْیاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ، فَرِحِینَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ یَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِینَ لَمْ یَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ، یَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللَّهَ لا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِینَ الَّذِینَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ، لِلَّذِینَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِیمٌ(1) و الآی فی ذلک و الدلالات کثیرة.

[الأحاديث و الآثار المروية فى الجهاد]

و مما روى فى المجاهدين و الجهاد من الآثار و ورد فى مشهور الأخبار ما روى عن أبى ذرّ(2) أن رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- قيل له: أىّ الأعمال أفضل؟ فقال: إيمانٌ بالله و جهاد/ (س 14) فى سبيله.
و روى أنه- صلّى اللّه عليه و سلم- قال لرجل سأله: لو قمت الليل و صمت النهار ما بلغت نوم المجاهد.
و فى رواية أخرى: ما بلغت غبار شراک نعل المجاهد.
و سئل- صلّى اللّه عليه و سلم- أىّ الناس أفضل؟ فقال: مؤمن مجاهد فى سبيل الله بماله و نفسه.
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: ما بعد الصلاة المكتوبة أفضل عند الله من الجهاد.

1- سورة آل عمران: 3/ 169، 172.

2- أبو ذر(ت: 32 ه: 652 م): جندب بن جنادة بن سفيان من بنى غفار من كنانة من خزيمة، من كبار الصحابة، قديم الإسلام، يضرب به المثل فى الصدق، هاجر بعد وفاة النبى صلّى اللّه عليه و سلم إلى بادية الشام و جاء إلى دمشق فى أيام عثمان و ولاية معاوية، ثم استدعاه عثمان إلى المدينة و نفاه إلى الربذة من قرى المدينة، و توفى بها. عن الأعلام: 2: 140- الإصابة 7/ 60.

و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا و ما فيها(1).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: (م 7) ما اغبّرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسّه النار(2).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: عينان لا تمسّهما النار، عين بكت فى جوف الليل من خشية الله، و عين باتت تحرس فى سبيل الله(3).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت

1- الحديث فى فيض القدير 10/ 5007 برقم: 7286 و تتمته: و لقاب أحدكم أو موضع قدّه فى الجنة خير من الدنيا و ما فيها، و لو اطّلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا و لأضاءت ما بينهما، و لنصيفها على رأسها خير من الدنيا و ما فيها. و قد أحال محققه إلى مسند أحمد 3: 264 و البخارى 6: 2796 و مسلم 3: 1880 و الترمذى 4: 1651 و ابن ماجة 2: 2755 عن أنس. و القاب: القدر. و القدّ: السوط.

2- ورد هذا الحديث بطرق متعددة و ألفاظ مختلفة كما فى كتاب الجهاد لابن أبى عاصم 1: 325 برقم: 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117 فعن أبى أمامة: ما من رجل يغبارّ وجهه فى سبيل الله إلا أمّنه الله دخان النار يوم القيامة. عن الطبرانى فى المعجم الكبير 8: 114 برقم: 4782 و ابن عدى فى كتاب الكامل 2: 587.
و عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم):« و الذى نفسى بيده ما تغبّرت قدما عبد قط و لا وجهه فى شىء أفضل عند الله من الصلاة المفروضة من الجهاد فى سبيل الله عز و جل.
عن الطبرانى فى المعجم الكبير 20: 75: 114.
و عن رافع بن خديج قال: سمعت أبا عيسى يقول: سمعت رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) يقول: من اغبّرت قدماه فى سبيل الله حرمهما الله على النار.
انظر البخارى: باب المشى إلى الجمعة 2: 390: 907 و الترمذى فى كتاب فضائل الجهاد: باب ما جاء فى فضل من اغبّرت قدماه فى سبيل الله 4: 170: 1632 كما ورد الحديث فى سائر كتب الحديث و السنن.

3- الحديث فى فيض القدير 8: 4069 برقم: 5647 عن أبى يعلى فى

مسنده 7: 4346 و الترمذى 4: 1639 عن ابن عباس و فيه: عينان لا تمسهما النار أبدا. و فى فيض القدير 8:
4070 الحديث نفسه بدون كلمة(أبدا) الترمذى 8: 4070.

بآيات الله، لا يفتر من صيام و لا قيام و لا صلاة حتّى يرجع المجاهد فى سبيل الله(1).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: لا يجتمع الإيمان و الشّحّ فى جوف رجل مسلم، و لا يجتمع غبار الجهاد و دخان جهنّم فى جوف رجل مسلم(2).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: لا يجتمع كافر و قاتله فى النار أبدا(3).
و روى أنه- صلّى اللّه عليه و سلم-: لم يكن يتلثم من الغبار فى سبيل الله(4).

1- الحديث مشهور في كتب الحديث فى أبواب الجهاد، و قد ورد مختصرا فى كتاب الجهاد لابن أبى عاصم 1: 182 برقم: 29 و قال محققه: أخرجه أبو بكر ابن أبى شيبة فى المصنّف 5: 287 و سعيد بن منصور فى السنن 2320 و من طريقهما مسلم فى صحيحه: كتاب الإمارة 3: 1498، 1499 و اللفظ له، و أخرجه مسلم من طريق أخرى و الترمذى فى جامعه: كتاب فضائل الجهاد: باب ما جاء في فضل الجهاد 4: 164 برقم: 1619 و أحمد فى المسند 2: 424، 459 و أبو عوانة فى صحيحه 5: 44، 45 و ابن حبان فى صحيحه 1585- زوائد. و البيهقى فى السنن الكبرى 9: 158 و فى شعب الإيمان 2 ق. 89 ب و للحديث طرق أخرى ..

2- هذا الحديث أورده ابن أبى عاصم فى كتاب الجهاد 1: 339 برقم: 119 بلفظ .. فى جوف امرىء مسلم، و أورد فى رواية أخرى عن عائشة برقم 120 قالت: سمعت رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) يقول: لا يجتمع غبار فى سبيل الله و دخان جهنم فى جوف عبد مؤمن أبدا. و فى رواية أخرى عن أبى هريرة: فى جوف عبد أبدا. قال محقق كتاب الجهاد: أخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط 2: 453، 1932 و أخرجه عبد الله بن المبارک فى كتاب الجهاد 30 و من طريقه الترمذى فى جامعه فى كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فى فضل الغبار فى سبيل الله 4: 171 برقم 2311 و النسائى فى سننه، كتاب الجهاد: باب فضل من عمل فى سبيل الله على قدمه 6: 12 و محمد بن سرى فى كتاب الزهد 465 و أخرجه الطيالسى فى مسنده: 3443.

3- الحديث ذكره فيض القدير 11: 6514 برقم 9949 و عنه: مسند أحمد 2: 297 و مسلم فى كتابه 3: 1891 و أبو داود 3: 2495 و البيهقى فى سننه 9: 165 عن أبى هريرة.

4- فی سنن النسائی برقم: 3062 و 3063 عن أبی هریرة عن النبی(صلّی اللّه علیه و سلم) قال: لا یجتمع غبار فی سبیل الله عز و جل و دخان جهنم فی منخری مسلم أبدا. و ذکر ابن ماجة فی کتاب الجهاد 2764 قول الرسول(صلّی اللّه علیه و سلم) لا یجتمع غبار فی سبیل الله و دخان جهنم فی جوف مسلم ..

و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: من لم يغز و لم يحدّث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق(1).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: (س 15) من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله تعالى و فيه ثلمة(2).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: لموقف ساعة فى سبيل الله أفضل من شهود ليلة القدر عند الحجر الأسود(3).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: إنّ فى الجنّة مئة درجة أعدّها الله للمجاهدين فى سبيله، ما بين الدرجتين كما بين السماوات و الأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنّه أوسط الجنّة و أعلاها، و فوقه عرش الرحمن و منه تفجّر أنهار الجنّة(4).

1- الحديث فى كتاب الجهاد عن أبى هريرة 1: 311 برقم: 98 من لم يغز أو يجهز غازيا أو يخلف غازيا فى أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة و فى المصدر نفسه ص 312 برقم 99 مثله عن أبى أمامة. و الحديث بلفظه الذى ورد عليه فى تحفة الأنفس ورد فى جواهر البحار 2: 751 برقم 1524 و عنه: مسند أحمد 2: 374 و صحيح مسلم 13: 56 و أبو داود 2502 و النسائى 6: 8 كلهم فى باب الجهاد عن أبى هريرة.

2- الحديث فى فيض القدير 11: 6007 برقم 9012 و قال محققه هو فى الترمذى 4: 1666 و ابن ماجة 2: 2763. و الثلمة: النقصان.

3- الحديث فى شرح السير الكبير 1: 10 و فى جواهر البحار 2: 762 و لفظه: موقف ساعة فى سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود قال محققه: رواه ابن حبان 1583 بالموارد عن أبى هريرة أنه كان فى الرباط ففزعوا إلى الساحل، ثم قيل: لا بأس، و انصرف الناس و أبو هريرة واقف فمرّ به إنسان فقال: ما يوقفك يا أبا هريرة؟ فقال: سمعت رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) يقول:(و ذكر الحديث).

4- هناک قطعة من الحديث فى نهاية الأرب 6: 188. و الحديث فى مسند أحمد 2: 335 و 339 بسنده عن أبى هريرة و فى البخارى باب الجهاد 4: 19، 20 بلفظ: مئة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء و الأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة و أعلى الجنة، أراه فوق عرش الرحمن، و منه تفجر أنهار

الجنة.

و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: من جاهد فى سبيل الله خالص النفس طيب المال كتب الله تعالى له كلّ قطرة عرق مثل جبل أحد فى وزن الحسنات، و كلّ نفس يتنفّسه أو حركة يتحركها إلى عشر أمثالها حسنات، و لم يكتب عليه الملكان الحافظان ما قاله أو فعله من شىء حتّى ينصرف، فإذا عاد إلى منزله عاد كالجنين يقع من بطن أمّه.
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: ما جميع أعمال البّر فى الجهاد إلّا كتفلة تفلها أحدكم فى بحر لجىّ.
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: تكفّل الله تعالى لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد فى سبيل الله و تصديق كلمته بأن يدخله الجنّة أو يردّه إلى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من غنيمة و أجر(1).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: من جرح جرحا فى سبيل الله كان عليه طابع الشهداء(2).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم- لن يكلم أحد فى سبيل الله- و الله أعلم بمن يكلم فى سبيله- إلا جاء يوم القيامة (س 16) و جرحه يثعب دما، اللون لون الدم، و الريح ريح المسك(3).

1- الحديث فى الموطا: كتاب الجهاد برقم: 850 و ذكره البخارى فى كتاب التوحيد برقم:
60909 و مسلم فى كتاب الإمارة برقم: 3485.

2- الحديث فى سنن النّسائى: كتاب الجهاد. حديث رقم: 3090 و فيه:« فعليه طابع الشهداء».

3- فى البخارى 4: 22 باب من يخرج فى سبيل الله عز و جل: عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) قال: و الذى نفسى بيده لا يكلم فى سبيله إلا جاء يوم القيامة و اللون لون الدم و الريح ريح المسك و مثله عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذرى فى السيرة النبوية 2: 612 فى أخبار« يوم أحد» عند ما أشرف الرسول(صلّى اللّه عليه و سلم) على قتلى أحد.

و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: ما أحد يدخل الجنّة يحبّ أن يرجع إلى الدنيا و له ما فى الأرض من شىء إلا الشهيد يتمنّى أن يرجع فيقتل عشر مرّات لما رأى من الكرامة(1).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: من طلب الشّهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء و إن مات على فراشه(2).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم- للشهيد عند الله ستّ خصال: يغفر له فى أوّل دفعة من دمه، و يرى مقعده من الجنّة، و يجار من عذاب القبر، و يأمن من الفزع الأكبر، و يوضع تاج الوقار على رأسه، الياقوتة منه خير من الدنيا و ما فيها، و يزوّج ثنتين و سبعين زوجة من الحور العين، و يشفّع فى سبعين من أقربائه(3).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: الشهيد يشفّع فى سبعين من جيرانه حتّى إنّ الجيران

1- صحيح البخارى(باب الجهاد): تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا: عن أنس بن مالک. عن النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) قال: ما أحد يدخل الجنة يحبّ أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة 4: 26. و انظر السيرة النبوية 5: 629.

2- الحديث فى فيض القدير 11: 5900 برقم: 8836 من طلب الشهادة بصدق أعطيها و لو لم تصبه. عن مسلم فى صحيحه 3: 1908 عن أنس و هناک رواية عن سهل بن حنيف و عن معاذ بن جبل. انظر الترمذى 4: 1654 و النسائى 6: 3162 و أبو داود 5: 1520.

3- ورد الحديث فى كتاب الجهاد لابن أبى عاصم 2: 532، 533 عن المقدام بن معدى كرب عن النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) قال:« إن للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له عند أول دفعة من دمه، و يرى مقعده من الجنة، و يحلّى حلّة الإيمان، و يزوّج من الحور العين، و يوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا و ما فيها، و يزوّج ثنتين و سبعين زوجة من الحور العين، و يشفّع فى سبعين إنسانا من أقاربه». و انظر التوسع فى تخريجه فى الكتاب المذكور.

لیختصمون فی قرب الجوار، یقول هذا: أنا أقرب منک جوارا، و یقول هذا: أنا أقرب منک جوارا(1).
و قال- صلّی اللّه علیه و سلم-: الشهید لا یجد ألم الموت إلا کما یجد أحدکم ألم القرصة(2).
و قال- صلّی اللّه علیه و سلم-: من قاتل فی سبیل الله فمات أو قتل فهو شهید، فإن و قصه فرسه أو بعیره أو لدغته هامة أو مات علی فراشه بأیّ حتف کان فهو شهید(3).
و وقع فی بعض الأخبار أنّ الله لا یضحک فی یوم الحساب إلّا للغزاة فی سبیله و الکریم القلیل ذات الید(4).
و لو أردنا التقصّی لخرجنا إلی الإطالة، فإنّ فضل الجهاد/ (س 17) عظیم و ثوابه عند اللّه جسیم، و هو أزکی الأعمال الموجبة لجنته و أکثرها و لوجا باب رضوانه و مغفرته، و الآثار فیه لا تحصی کثرة و شهرة.

1- ذکر معنی هذا الحدیث السابق و مثله فی سنن الترمذی: کتاب فضائل الجهاد برقم:
1586 و قال فیه: حدیث حسن صحیح غریب. و انظر السنن لأبی داود: کتاب الجهاد برقم:
2160 و ابن ماجة: کتاب الجهاد برقم: 2789.

2- فی جواهر البحار 1: 456 برقم: 849 و فیه: الشهید لا یجد مسّ القتل إلا کما یجد أحدکم القرصة یقرصها. و ذکر محققه أنه فی النسائی 6: 31 و الترمذی 1529 و ابن ماجة 2802 و الدارمی 2413 و ابن حبان 1613 عن أبی هریرة.

3- فی سنن أبی داود برقم: 2138 باب الجهاد. و تتمة الحدیث: و إنّ له الجنة.

4- ورد فی کتاب الجهاد 1: 395 برقم: 140 عن أبی سعید الخدری یرفع الحدیث قال: ثلاثة یضحک الله إلیهم: الرجل إذا قام من اللیل یصلّی، و القوم إذا صفّوا فی الصلاة، و القوم إذا صفّوا فی قتال العدو. و انظر تعلیقات محقق کتاب الجهاد.

ص: 61

الباب الثانى فى الرباط و فضله و ما خصت به من ذلک جزيرة الأندلس

اشارة

ص: 62

ص: 63
فی الرباط و فضله و ما خصّت به من ذلک جزیرة الأندلس

[الصبر و الرباط لغة و اصطلاحا]

قال الله العظيم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(1).
الصبر فى اللغة هو الحبس، و المصابرة منه، و ذلک حبس النفس على مقارعة المخالفين و ممانعة المنازعين(2).
و الرّباط هو الثبوت و اللزوم و هو من ربط النفس على الأمر، أى تثبيتها عليه و إلزامها إيّاه(3).
و المندوب إليه من ذلک شرعا ملازمة الثغور و الثبوت بها على السّار و المحذور(4) (فرباط الرجل نفسه هو أن يترک وطنه و يلزم ثغرا من الثّغور

1- سورة آل عمران 3: 200.

2- جاء فى القاموس المحيط:« صبر» الصبر: الحبس، و صبر الإنسان و غيره على القتل أن يحبس و يرمى حتى يموت. و الصبر نقيض الجزع. و قال التهانوى: التصبر هو حمل النفس على المكاره و تجرّع المرارة، و الصبر هو ترک الشكوى إلى غير الله، و الصبر: انتظار الفرج من الله.

3- فى القاموس المحيط:« ربط» الرباط ما ربط به. و ملازمة ثغر العدو كالمرابطة، و واحد الرباطات المبنية. و المرابطة أن يربط كل من الفريقين خيولهم فى ثغره، و كلّ معدّ لصاحبه فسمّى المقام فى الثغر رباطا. و انظر تفصيل القول فى الرباط فى شرح السير الكبير 1: 6 و ما بعدها.

4- من هنا يبدأ سقط فى م.

المخوفة لمعنى الحفظ و تكثير السواد، و أمّا من كان وطنه الثّغر فليست إقامته به رباطا، رواه ابن حبيب(1) عن مالک(2)، و وجه ذلک أن يحبس نفسه و يقيم لهذا الوجه خاصة، فإن أقام لغير ذلک فإنّه بمنزلة سائر تصرفاته فلم يربط نفسه لمدافعة العدوّ، قال الإمام أبو الوليد الباجّى(3) رضى الله عنه: و عندى أنّ من اختار المقام و الاستيطان بالثّغر و موضع الخوف للرّباط خاصّة و أنّه لو لا ذلک لأمكنه المقام بغير ذلک البلد أنّ له حكم الرّباط(4) (س 18).

و فرائض الرّباط:

1- النيّة
2- و الزاد الحلال.
3- و العدّة.
4- و المعقل.

1- ابن حبيب(174- 238 ه- 790- 853 م): عبد الملک بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمى الألبيرى القرطبى أبو مروان، عالم الأندلس و فقيهها فى عصره، أصله من طليطلة، من بنى سليم أو من مواليهم، ولد فى البيرة، و سكن قرطبة وزار مصر، ثم عاد إلى الأندلس فتوفى بقرطبة، كان عالما بالتاريخ و الأدب، رأسا فى فقه المالكية، له تصانيف كثيرة. الأعلام 4: 157.

2- مالک(93- 179 ه- 712- 795 م): مالک بن أنس الأصبحى الحميرى، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، و أحد الأئمة الأربعة، و إليه تنسب المالكية، مولده و وفاته فى المدينة كان صلبا فى دينه، بعيدا عن الأمراء و الملوک، و شى به إلى جعفر عم المنصور العباسى فضربه سياطا انخلعت لها كتفه. له« الموطا» و مصنفات أخر. عن الأعلام 5: 257.

3- الباجى(403- 474 ه- 1012- 1081 م): أبو الوليد الباجى، سليمان بن خلف بن سعد التجيبى القرطبى، فقيه مالكى كبير، من رجال الحديث، أصله من بطليوسBadajoz ، و مولده فى باجةBeja بالأندلس، رحل إلى الحجاز سنة 426، فمكث ثلاثة أعوام و بالموصل عاما و فى دمشق و حلب مدة، و عاد إلى الأندلس فولى القضاء فى بعض أنحائها و توفى بالمريةAlmeria له كتب عديدة منها شرح موطا مالک. عن الأعلام 3: 125.

4- انتهى السقط فى م.

ص: 65

[ذكر الأحاديث الواردة فى الرباط و ما يتصل به]

قال رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم-: (رباط يوم فى سبيل الله خير من الدّنيا و ما فيها)(1).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم- رباط يوم و ليلة خير من صيام شهر و قيامه، و إن مات جزى عليه عمله الذى كان يعمله و أجرى عليه رزقه و أمن العثار(2).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: رباط ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقوم ليلها لا يفتر و يصوم نهارها لا يفطر(3).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-: من رابط فواق ناقة حرّمه الله على النار(4).

1- فى فيض القدير 7: 3360 برقم: 4394 رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا و ما عليها، و موضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا و ما عليها، و الروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا و ما عليها.
أحال محققه إلى مسند أحمد 5: 339 و البخارى 6: 2892 و الترمذى 4: 1664 عن سهل ابن سعد. و انظر أحاديث مماثلة فى شرح السير الكبير 1: 6، 8.

2- الحديث فى فيض القدير 7: 3261 و آخره فيه: و أمن من الفتّان و أخرجه مسلم فى صحيحه 3: 1913 عن سلمان و انظر روايات أخر عن سلمان فى شرح السير الكبير 1: 6.

3- روى مثله بطرق متعددة عن سلمان عن النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) قال: رباط ليلة أو يوم و ليلة أفضل من صيام شهر و قيامه صائما لا يفطر و قائما لا يفتر و إن مات مرابطا أجرى عليه صالح عمله حتى يبعثه الله و وقى عذاب القبر.
انظر كتاب الجهاد لابن أبى عاصم 2: 699 برقم: 308 و 309 و الحديث فى مسند أحمد 5: 441 و هناک رواية أخرى فى كتاب الجهاد 2: 700 و تخريجه ثمة.

4- الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت لأنها تحلب ثم تترک سويعة يرضعها الفصيل لتدر.

و خص الناقة بالذكر لكثرة تداولهم لحلبها فهو أقرب للتعميم و الحديث فى فيض القدير 11:
5807 برقم: 8692 ضعيف جدا، أخرجه العقيلى فى الضعفاء 1: 22- 3: 143 عن عائشة فى كتاب الجهاد لابن أبى عاصم 1: 378 برقم 135 عن أبى هريرة و فيه: من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة فله الجنة، و فى ص 379 عن معاذ بن جبل: وجبت له الجنة ... و انظر تخريج الحديث ثمة.

و قال- صلّى اللّه عليه و سلم- من رابط يوما فى شهر رمضان فى سبيل الله كان أفضل من عبادة ستمئة سنة، و لا يدرک أحد فضله إلا من كان على مثل حاله/ أو زاد عليه.
و عن عصمة بن راشد عن أبيه قال: سمعت قوما من أصحاب رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- يفضّلون الرّباط على الجهاد. قال: فقلت لأبى: و لم ذلک؟
قال: لأنّ فى الجهاد شروطا كثيرة ليست فى الرّباط.
و قال ابن عمر(1): فرض الجهاد لسفک دماء المشركين و الرّباط لحقن دماء المسلمين، و حقن دماء المسلمين أحبّ إلىّ من سفک دماء المشركين.
و قال أبو هريرة(2): لحرس ليلة أحبّ إلىّ من صيام ألف يوم أصومها و أقوم ليلها فى المسجد الحرام و عند قبر النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم.
و عن أبى عطية(3) أنّ رجلا توفى على عهد رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- فقال

1- عبد الله بن عمر 10 ق. ه- 73 ه- 613- 692 م: عبد الله بن عمر بن الخطاب من أعزّ بيوتات قريش فى الجاهلية، كان جريئا جهيرا نشأ فى الإسلام، و هاجر إلى المدينة مع أبيه و شهد فتح مكة و مولده و وفاته فيها. أفتى الناس فى الإسلام ستين سنة. غزا إفريقية مرتين، و كفّ بصره فى آخر حياته و توفى بمكة و هو آخر من توفى فيها من الصحابة.
الإصابة 4: 107 برقم: 4825 و نكت الهميان: 183 و الأعلام 4: 108.

2- أبو هريرة 21 ق. ه- 59 ه- 602- 679 م: عبد الرحمن بن صخر الدوسى الملقب بأبى هريرة، صحابى، كان أكثر الصحابة حفظا للحديث و رواية له، نشأ يتيما ضعيفا فى الجاهلية، و قدم المدينة، و كان رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) بخيبر فأسلم سنة 7 ه و لزم صحبة النبى و روى عنه الكثير ولى إمرة المدينة مدة، و استعمله عمر على البحرين ثم عزله، و كان أكثر مقامه فى المدينة و توفى فيها. عن الأعلام 3: 308.

3- أبو عطية: صحابى ذكره فى الإصابة 7: 131 برقم: 760 و قال: غير منسوب، ذكره الطبرانى و غيره فى الصحابة.

بعضهم: (س 19) يا رسول الله، لا تصلّ عليه، فقال- صلّى اللّه عليه و سلم- هل منكم من أحد رآه على شىء من أعمال الخير. قال: فقال رجل: حرس معنا يا رسول الله ليلة كذا و كذا. قال: فصّلى رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- عليه و مشى إلى قبره، فجعل يحثو عليه التراب و يقول: إنّ أصحابک يظنّون أنّک من أهل النار و أنا أشهد أنّک من أهل الجنّة(1).
و عن مكحول(2) عن علىّ بن أبى طالب(3) رضى الله عنه أنه قال:
لصلاة الرجل متقلدا سيفه فى سبيل الله فضل على صلاته بغير تقليد بسبعين ضعفا، و لو قلت: بسبعمئة ضعف لكان كذلک(4).
و سنّة المرابط فى سبيل الله التقليد كما أنّ السنّة للمعتكف الصيام.

1- الحديث فى الإصابة 7: 131 قال: و أخرج البغوى و أبو أحمد الحاكم من طريق إسماعيل بن عياش و الطبرانى من طريق بقيّة، كلاهما عن بجير ابن سعد عن خالد بن معدان عن أبى عطية .. و ذكر الحديث ..

2- مكحول ت: 112 ه- 730 م: مكحول بن أبى مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله، الهذلىّ بالولاء، فقيه الشام فى عصره، من حفاظ الحديث. أصله من فارس و مولده بكابل، ترعرع بها و سبى و صار مولى لامرأة بمصر من هذيل فنسب إليها فأعتق و تفقّه و رحل فى طلب الحديث إلى العراق فالمدينة و طاف كثيرا من البلدن و استقر فى دمشق و توفى فيها. تهذيب التهذيب 10: 289 و الأعلام 7: 284.

3- علىّ بن أبى طالب 23 ق. ه- 40 ه- 600- 661 م: أبو الحسن، أمير المؤمنين، رابع الراشدين، ولى الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان سنة 35 ه قتله غيلة عبد الرحمن بن ملجم المرادى فى 17 رمضان سنة 40 ه. الإصابة 4: 269 برقم: 5682 و الأعلام 4: 295.

4- ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة عن على ففى اللآلىء المصنوعة 2: 135 بسنده عن على مرفوعا: صلاة الرجل متقلدا سيفه تفضل على صلاته غير متقلد سبعمائة ضعف، إن الله تعالى يباهى بالمتقلد سيفه فى سبيل الله ملائكته، و هم يصلّون عليه مادام متقلده. و قريب منه فى الفوائد المجموعة 208 و كذلک فى تذكرة الموضوعات 120 و مثله فى كتاب الموضوعات 2: 226.

و عن معاذ بن جبل(1) رضى الله عنه قال: الطّاعم فى سبيل الله كالصائم سرمدا فى غيره، و حسنة من حسنات المرابط كجميع حسنات العابد.
قال ابن حبيب: الرّباط هو شعبة من شعب الجهاد و بقدر خوف أهل ذلک الثّغر و تحرّزهم من عدوّهم يكون كثرة ثوابهم.
و قال ابن عمر: اغزوا مادام الغزو حلوا خضرا قبل أن يكون مرّا عسرا، ثم يكون تماما ثم يكون رماما ثم يكون حطاما فإذا انتكأت المغازى و كثرت العزائم و استحلّت الغنائم فخير جهادكم الرباط.
تفسير ذلک: الثمام: الرطب من النبات. و الرمام: اليابس و الحطام: الذى ينكسر و ينحطم. و قوله: انتكأت: تباعدت و قوله: العزائم: يريد حمل السلطان بشدّة الأمر عليهم.
و العزم فيما يشقّ عليهم لبعد المغزى و قلّة/ (س 20) عونهم عليه و غير ذلک.
و إن أسمى ثغر نالت به الهمم العلية مراتب و أقدارا، و أكرم تربة رفع الإيمان بها علما و منارا، و حلّى بها الدين الحنيفىّ منبرا و رسم دينارا، تربة لبست الجهاد فى سبيل الله شعارا/ (م 10) و استوجبت

1- معاذ بن جبل 20 ق. ه- 18 ه- 603- 639 م: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصارى الخزرجى، أبو عبد الرحمن، صحابى جليل، كان أعلم الأمة بالحلال و الحرام، و هو أحد الستة الذين جمعوا القرآن الكريم على عهد النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) و هو فتى و آخى النبى بينه و بين جعفر بن أبى طالب، و شهد العقبة مع الأنصار السبعين و شهد بدرا و أحدا و الخندق و المشاهد كلها مع رسول الله، و بعثه رسول الله بعد غزوة تبوک قاضيا و مرشدا لأهل اليمن كان من أحسن الناس وجها و أسمحهم كفا مات بعد وفاة أبى عبيدة بطاعون عمواس بالأردن.

بخصائصها المنيفة حظوة عند الله و إيثارا، فعزّت جنابا و كرمت أنصارا.
جزيرة الأندلس أزكى تربة راقت صفحة و محيّا، و فازت بمدخور فضل الشهادة أعمار أهلها مماتا و محيا، فخبرها طريف، و أمرها على سائر الأقطار منيف، لأنّها بين بحر زخّار، و عدوّ جرّار، ملازمين أهلها فى الليل و النهار، و الروم بها أمم كثيرة مختلفة لا يعلمهم إلا الله تعالى، و الحرب بينهم و بين المسلمين على قلّتهم بالإضافة إليهم لم تزل سجالا، تارة حال نصر و اقتدار، و تارة حال تمحيص و اختبار، فسبحان العزيز القهّار الذى كلّ شىء عنده بمقدار.

روى عن عائشة(1) رضى الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم:
سينقطع الجهاد و الرباط إلا بجزيرة يقال لها الأندلس بالمغرب الأقصى، المرابط فيها أفضل من شهيد يتشحّط فى دمه.
و روى أيضا عنها أنها قالت: قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم: أفضل رباط على وجه الأرض جزيرة الأندلس، شرقيّها عدوّ و غربيّها عدوّ و قبليّها عدوّ و جوفيّها/ (س 21) عدوّ.
و روى ابن عباس(2) رضى الله عنه قال: قام رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم يوما من

1- عائشة 9 ق. ه- 58 ه- 613- 678 م: عائشة بنت أبى بكر الصديق عبد الله بن عثمان، من قريش، أفقه نساء المسلمين و أعلمهن بالدين و الأدب. تزوجها النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) فى السنة الثانية بعد الهجرة، و كانت أحب نسائه إليه و أكثرهن رواية للحديث، و كان لها موقف من خلافة علىّ و حاربته فى موقعة الجمل. و توفيت فى المدينة- الأعلام 3: 240.

2- ابن عباس 3 ق. ه- 68 ه- 619- 687 م: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى أبو العباس، حبر الأمة، الصحابى الجليل، ولد بمكة و نشأ فى بدء عصر النبوة، و لازم الرسول(صلّى اللّه عليه و سلم) و روى عنه الأحاديث الصحيحة و شهد مع على موقعة الجمل و موقعة صفين. كف بصره فى آخر عمره فسكن الطائف و توفى بها. عن الأعلام 4: 95.

مسجده فأشار بيده مسلّما تلقاء المغرب، فقيل له: على من يا رسول الله؟
فقال: على ناس من أمتى يكونون بالمغرب الأقصى بجزيرة يقال لها الأندلس، إليها آخر ما ينتشر هذا الدين، رباط يوم فيها أفضل من رباط عامين فى ثغور غيرها، حيّها مرابط و ميتها شهيد، تحشرهم السّحاب يوم القيامة من وراء البحر الكافر، فتمطرهم على المحشر كما يمطر الماء(1).
و روى عن شهر بن حوشب(2) أنه قال: ما من بقعة من الأندلس إلا و لها ثواب لا يدركه العاملون، يبعث الله أهل الأندلس يوم القيامة على حدة لا يخالطهم أحد قد تجلّلهم النور و البهاء، و هم رؤساء المجاهدين.
ألا بمثل هذه المزيّة و هذه الآثار تنافس البقاع البقاع و تفاخر الأمصار الأمصار، مزيّة ما فوقها بغية لمختار، و أثرة إليها تنصرف آمال البررة الأخيار .. جعلها الله تعالى من كلأته و عصمته فى أوفى ذمّة و أمنع جوار.

1- الأحاديث التى ورد فيها ذكر« الأندلس» صراحة لا تصح، و غاية ما هناک أن تستشف إشارات إلى ذلک كما فى حديث« أنس بن مالک أن خالته أم حرام بنت ملحان زوجة أبى الوليد عبادة بن الصامت أخبرته أن رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) نام ثم استيقظ و هو يضحک. فقالت له بنت ملحان: ما يضحکک يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتى عرضوا علىّ غزاة فى سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرّة أو مثل الملوک على الأسرّة. و أنه نام مرة أخرى و فعل كفعله الأول. فلما قالت له أم حرام: ادع الله أن يجعلنى منهم، قال: أنت من الأولين» و قد توفيت أم حرام فى قبرس.
و قد أوّل ابن حزم هذا الحديث بأن المراد به الفتوحات البحرية الأولى(صقلية و أقريطش) و الفتوحات التى تلتها و منها الأندلس. عن رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس و ذكر رجالها و الحديث المذكور فى هذه الحاشية مما رواه مسلم 2: 104.

2- شهر بن حوشب 20- 100 ه- 641- 718 م: شهر بن حوشب الأشعرى، فقيه قارىء من رجال الحديث، شامى الأصل، سكن العراق، و كان يتزيّا بزىّ الجند و يسمع الغناء بالآلات، و ولى بيت المال مدة، و هو متروک الحديث. و كان ظريفا.
تهذيب التهذيب 4: 369- الأعلام 3: 178.

ص: 71

الباب الثالث فی فرض الجهاد و ما قیل فی ذلک

اشارة

ص: 72

ص: 73
فی فرض الجهاد و ما قیل فی ذلک

[وجوب الجهاد]

اشارة

لا خلاف بين الأمّة فى وجوب الجهاد، و أنّه فرض على الكفاية، فمن أدلّة الفرضيّة قوله/ (م 11) تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ(1) فقيل فى (كتب): (فرض). و قوله سبحانه: انْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالًا وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ(2).
(س 22-) فقيل فى قوله: «خفافا و ثقالا» أى شبابا و شيوخا، و قيل: أغنياء و فقراء، و قيل: ركبانا و مشاة، و قيل: ذوى عيال و غير ذوى عيال، (3) و قال جلّ ذكره: قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً(4) و قال رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم-: أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منّى دماءهم و أموالهم إلّا بحقّها و حسابهم على الله(5).

1- سورة البقرة 2/ 216.

2- سورة التوبة 9/ 41.

3- انظر نهاية الأرب 6: 153 و هو ينقل عن الأحكام السلطانية للماوردى. و التفسير فى الأحكام السلطانية: 30.

4- سورة التوبة 9/ 123.

5- فى شرح السير الكبير 1: 150 برقم: 153 ذكر عن الحسن رضى الله عنه قال: قال رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم): أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا منّى دماءهم و أموالهم إلا بحقها، و حسابهم على الله.
قال محمد بن الحسن الشيبانى: فكان رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) يقاتل عبدة الأوثان و هم قوم لا يوحّدون الله. فمن قال منهم: لا إله إلا الله. كان ذلک دليلا على إسلامه.

ص: 74

[الجهاد فرض كفاية]

و من أدلّة الكفاية قوله سبحانه: وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً، فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ(1) فجعل تعالى طائفة للجهاد و أخرى لغيره من الأعمال، و منها قوله عزّ و جلّ: لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ(2) ثم قال سبحانه: وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى(3) ففرّق بين الحسنيين و باين بين المثلين، فمن حيث المفاضلة فى الأجر فهمت صورة الكفاية، كما فهم من تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد بسبع و عشرين درجة جواز صلاة الفرد(4)، و لا يعلم لرسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- غزوة خرج فيها إلا وقد تخلّف عنه فيها رجال، و كذلک تخلّف رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- عن سرايا أخرجها، ثبت عنه أنه قال: «لو لا أن أشقّ على أمتى لأحببت أن لا أتخلّف خلف سريّة تخرج فى سبيل الله و لكن لا أجد ما أحملهم عليه/ (س 23) و لا يجدون ما يتحمّلون عليه فيخرجون و يشقّ عليهم أن يتخلّفوا بعدى، فلوددت أنى أقاتل فى سبيل الله فأقتل ثمّ أحيا ثمّ أقتل ثمّ أحيا ثمّ أقتل ثمّ أحيا(5).

1- سورة التوبة 9/ 122.

2- سورة النساء 4/ 95 و الآية بتمامها:« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر و المجاهدون فى سبيل الله بأموالهم و أنفسهم. فضّل الله المجاهدين بأموالهم و أنفسهم على القاعدين درجة و كلا وعد الله الحسنى، و فضّل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما».

3- انظر الحاشية السابقة.

4- قال رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم): صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع و عشرين درجة- صحيح البخارى، كتاب الأذان. برقم 609 و صحيح مسلم: كتاب المساجد و مواضعه برقم: 1038.

5- الحديث فى الموطّا: كتاب الجهاد: باب الترغيب فى الجهاد 2: 40 ص 465 مع خلاف فى بعض الألفاظ و أخرجه البخارى فى 56- كتاب الجهاد، 119 باب الحبائل و الحملان و مسلم فى 33 كتاب الإمارة و 28 باب

فضائل الجهاد و الخروج فی سبیل الله برقم: 103، 106.

و عن أبی سعید الخدری(1) أنّ رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم قال فی غزوة غزاها بنی لحیان: یبعث من کلّ رجلین رجل و الأجر بینهما(2).
ففی تخلّفه صلّی اللّه علیه و سلم عن الخروج إلی الجهاد مع السرایا مع إذنه فی أن ینبعث من کل رجلین رجل، دلیل علی أنّ فرض الجهاد ساقط عن الناس إذا قام به منهم من فیه الکفایة.
فدلّ کتاب الله سبحانه و الأخبار الواردة عن رسوله صلّی اللّه علیه و سلم علی أنّه إن قام بالجهاد بعض المسلمین سقط فرضه عن الباقین. و سنذکر بعد حیث یتعیّن فرضه إن شاء الله تعالی(3).

[فائدة الجهاد و فروضة و أحكامه]

و فائدة القيام به: سدّ الثغور و عمارتها و حراستها و حفظها بالمنعة و العدد.
و قد ناط الشّارع به فروضا و أحكاما، فمن فروضه:
النية لقول الله عزّ و جل: وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

1- أبو سعيد الخدرى 10 ق. ه- 74 ه- 613- 693 م: سعد بن مالک بن سنان الخدرى الأنصارى الخزرجىّ، أبو سعيد، صحابىّ، كان من ملازمى النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) و روى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتى عشرة غزوة. و توفى بالمدينة. الإصابة 3: 85 برقم: 2189 و الأعلام 3: 87.

2- عن أبى سعيد الخدرى أن الرسول(صلّى اللّه عليه و سلم) بعث إلى بنى لحيان فقال: لينبعث من كل رجلين أحدهما و الأجر بينهما» عن صحيح مسلم.

3- انظر شرح السّير الكبير 1: 187 و نورد ما فيه مختصرا: قال أبو حنيفة رحمه الله: الجهاد واجب على المسلمين، إلا أنهم فى سعة من ذلک حتى يحتاج إليهم، فكان الثورى يقول: القتال مع المشركين ليس بفرض، إلا أن تكون البداية منهم فحينئذ يجب قتالهم. قال السرخسىّ:
و الحاصل أن الأمر بالجهاد و بالقتال نزل مرتبا ... و ذكر ترتيب ذلک و انتهى إلى أن المسلمين أمروا بالقتال مطلقا لإعزاز الدين و قهر المشركين فإذا حصل المقصود بالبعض سقط عن الباقين .. لأنه بدون سائر الأشغال لا يتم أمر الجهاد، فلهذا كان فرضا على الكفاية.

الدِّينَ(1) و لقول النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّما (م 12) الأعمال بالنيّات و لكلّ امرئ ما نوى».(2).
و منها: العدّة لقول الله سبحانه: وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ(3) الآية ...
و منها: الثّبات عند اللقاء لقول الله تعالى: إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا(4) و قوله: إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ(5).
و من أحكامه و قيل من سنّته التحريض لأنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم خوطب به فقيل (س 24) له يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتالِ(6) و فعله صلّى اللّه عليه و سلم فى مواطن، و سنفرد له بعد ذلک بابا إن شاء الله.
فقتال الكفّار واجب على ما تقدّم لا يعدل عنه إلا بإجابتهم إلى الدّخول

1- سورة البيّنة 98/ 5.

2- هذا حديث مشهور ذكره النووى أول الأربعين و يكثر الاستشهاد به فى مجالات شتى. قال ابن ماجه 2: 1413 برقم: 4227 عن عمر و هو يخطب الناس فقال: سمعت رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) يقول:
إنما الأعمال بالنيات، و لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله و إلى و رسوله فهجرته إلى الله و إلى رسوله و من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه.(باب النية) قال النووى: و هذا حديث صحيح متّفق على صحته مجمع على عظم موقعه و جلالته و هو أحد الأحاديث التى عليها مدار الإسلام. و كان السلف و تابعوهم من الخلف- رحمهم الله تعالى- يحبّون استفتاح المصنفات بهذا الحديث.

3- سورة الأنفال 8/ 60 و تتمتها:\i« تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ وَ آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ، وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ»\E.

4- سورة الأنفال 8/ 45\i« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»\E.

5- سورة الأنفال 8/ 15.

6- سورة الأنفال 8/ 65.

فى الإسلام أو بذل الجزية لنا فى دارنا(1). قال أبو عمر بن عبد البّر(2): يجب على الإمام إغزاء طائفة من المسلمين إلى العدوّ فى كلّ سنة مرة، يخرج معهم بنفسه أو يؤمّر عليهم من يثق به ليدعوهم إلى الإسلام و يزعهم و يكفّ أذاهم و يظهر دين الله عليهم و يقاتلهم حتّى يدخلوا فى الإسلام و يعطوا الجزية.
و سئل ابن عبّاس رضى الله عنه فى الغزو مع الإمام لا يريد إلا الدّنيا(3) فقال: قاتل أنت على حظك من الآخرة.
قال رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم: الجهاد ماض مذ بعث الله نبيّه إلى آخر عصابة تقاتل الدجّال لا ينقصه جور من جار و لا عدل من عدل(4).

[المهادنة و أحكامها]

و لا تجوز المهادنة إلا لضرورة تدعو إليها، قال الله تعالى: فَلا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَ اللَّهُ مَعَكُمْ(5).

1- انظر شرح السير الكبير 1: 189« و لا ينبغى أن يدع المشركين بغير دعوة إلى الإسلام، أو إعطاء جزية إذا تمكن من ذلک».

2- أبو عمر ابن عبد البر 368- 463 ه- 978- 1071 م: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النميرى القرطبى المالكى أبو عمر، من كبار حفّاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة، يقال له: حافظ المغرب. ولد بقرطبة و رحل رحلات طويلة فى غربى الأندلس و شرقيّها و ولى قضاء لشبونة و شنترين و توفى بشاطبة، و له مؤلفات كثيرة مطبوعة منها الاستيعاب فى معرفة الأصحاب و كتاب بهجة المجالس و أنس المجالس. عن الأعلام 8: 240.

3- سقطت(إلا) من م.

4- استدل فى شرح السير الكبير 1: 160 بهذا الحديث أنه لا يترک الجهاد بجور الأمراء ثم أورد حديثا بمعناه: عن أنس بن مالک قال: قال رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) أصل الإسلام ثلاثة: الكف عمّن قال لا إله إلا الله أن تكفّروه بذنب و لا تخرجوه من الإسلام بعمل، و الجهاد ماض منذ بعثنى الله حتى يقاتل آخر عصابة من أمتى الدجال، و الإيمان بالأقدار كلها.

5- سورة محمد 47/ 35 و انظر شرح السير الكبير 1: 190.

ص: 78

و قد يتعيّن فرض الجهاد فى بعض الأحيان لسببين(1):
أحدهما: أمر الإمام بالخروج للغزو فمن عيّنه تعيّن عليه.
و الثانى: أن يفجأ العدوّ قوما لهم قوة على مدافعته فيتعيّن عليهم دفاعه و قتاله، فإن لم يستقلّوا بذلک لزم من قاربهم أن يخرج إليهم، فإن لم يستقلّ الجميع وجب على من علم بضعفهم و طمع فى إدراكهم و عونهم المضىّ إليهم حتّى يندفع (س 25) عنهم العدوّ.
و يسقط الوجوب عن الصبىّ و المجنون و المرأة و المريض و الأعمى و الأعرج الذى يعجز عن المحاربة و الركوب و حبس السلاح عند الحاجة إلى ذلک.
و كذلک يسقط بالفقر و عدم نفقة الذهاب و الإياب و بالرقّ إلا بإذن السيّد(2) و بالأبوين إلّا بإذنهما إلّا أن يفجأ العدوّ مدينة أو محلّة أو يقع النّفير أو يكون الابن قد أوجبه على نفسه فى وقت معيّن فلا يجوز المنع بوجه و لا يحتاج إذن جدّ و لا جدّة. و إن كان الأبوان كافرين فهما فى ذلک

1- جاء فى السير الكبير و شرحه 1: 199 برقم: 236، فأما إذا جاء النفير عاما فقيل لأهل مدينة: قد جاء العدو يريدون أنفسكم أو ذراريكم أو أموالكم، فلا بأس بأن يخرج بغير إذن والديه قال السرخسى: لأن الخروج فى مثل هذه الحالة فرض عين على كل واحد، قال تعالى:
\i« انْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالًا»\E(التوبة 9/ 41) و ما يفوته بترک هذه الفريضة لا يمكنه استدراكه، و ما يفوته بالخروج بغير إذن الوالدين يمكنه استدراكه بعد هذا، فيشتغل بما هو الأهم، و لأن الضرر فى تركه الخروج أعم، فإذ ذلک يتعدى إليه و إلى والديه و إلى غيرهم من المسلمين.

2- فى شرح السير الكبير 1: 199 برقم: 237، و لا ينبغى للعبد أن يجاهد بغير إذن مولاه ما لم يكن النفير عاما، فإذا كان ذلک، فله أن يخرج و ليس لمولاه أن يمنعه من ذلک. قال السرخسى:
لأن فرضية الخروج عند النفير العام كفرضية الصوم و الصلاة و ذلک مستثنى للعبد مما ملكه عليه مولاه.

كالمسلمين إلّا أن يعلم أنّ منعهما لغير حاجتهما بل ليوهنا الإسلام و لا يعينا المسلمين، فلا يمتنع و إن كرها(1).
و قيل للأوزاعى(2): ما تقول فى رجل غزا بإذن والديه، فاشترطا عليه أن لا يقاتل، فلقوا العدوّ، قال: لا طاعة (م 13) للوالدين فى ترک الفرائض و الجمع و الحجّ و القتال، و لا يسقط الوجوب لخوف لصوص و قطّاع طريق و مخيفى سبيل لأنّ قتالهم أهمّ، قال أبو إسحاق بن شعبان: هم أحقّ بالجهاد من الرّوم، و أمّا إن وطئ الكفّار دار المسلمين فيجب على كلّ من له منّة قتالهم بغاية إمكانه و نهاية قدرته و طاقته حتى العبد و المرأة إن لم يستغن عنهما(3).

1- انظر هذه الأحكام المشار إليها فى شرح السير الكبير 1: 190- 197.

2- الأوزاعى 88- 157- 707- 774 م: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعى من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو، إمام الديار الشامية فى الفقه و الزهد، و أحد الكتّاب المترسلين، ولد فى بعلبک، و نشأ فى البقاع، و سكن بيروت و توفى بها، و عرض عليه القضاء فامتنع. له كتاب السنن و المسائل. عن الأعلام 3: 320.

3- قال فى شرح السير الكبير: 1: 201 و ما بعدها: و كذلک الغلمان الذين لم يبلغوا إذا أطاقوا القتال فلا بأس بأن يخرجوا و يقاتلوا فى النفير العام، و إن كره ذلک الآباء و الأمهات. و عند تحقق الضرورة بوقوع النفير عاما لا بأس للمرأة أن تقاتل بغير إذن وليها و زوجها.

ص: 80

ص: 81

الباب الرابع فيما يفعله الغازى عند خروجه إلى الجهاد

اشارة

ص: 82

فيما يفعله الغازى عند خروجه إلى الجهاد (س 26) يبدأ بإخلاص النيّة كما تقدّم أولا، و يعتقد الجهاد فى سبيل الله و قتال من كفر باللّه لتكون كلمة الله هى العليا و كلمة الذين كفروا السّفلى، و ليكون الدين واحدا، و يؤكّد صلاح النيّة و نقاء الطّوية بطيب المكتسب و أكل الحلال و تجديد التّوبة من كلّ ما سبق من الذّنوب، و إظهار التنّدم على ما فات من حقوق الله تعالى، و تحلّل من له مظلمة فى عرض أو مال أو نفس إن وجد سبيلا إلى ذلک، و إلّا فليستغفر الله عزّ و جلّ و ليعمل صالحا ما استطاع، قال الله العظيم: فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً وَ لا يُشْرِکْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً(1).

[تفعيل القول فيما يسبق الغزو]

اشارة

و الجهاد محلّ لقاء الله سبحانه و باب الدار الآخرة.
كان أبو الدرداء(2) رضى الله عنه يقول: يا أيّها الناس عمل صالح قبل الغزو، فإنّما تقاتلون بأعمالكم(3).

1- سورة الكهف 18/ 110.

2- أبو الدرداء ت 32 ه- 652 م: عويمر بن مالک بن قيس بن أمية الأنصارى الخزرجى، أبو الدرداء، صحابى، من الحكماء الفرسان القضاة. كان قبل البعثة تاجرا بالمدينة ثم انقطع للعبادة، و لما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة و النسک. ولّاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب، و هو أول قاض بدمشق، و هو أحد الذين جمعوا القرآن الكريم حفظا على عهد النبى(صلّى اللّه عليه و سلم). مات بالشام. عن الأعلام 5: 98.

3- انظر عيون الأخبار 1: 107 و نهاية الأرب 6: 159.

و قد روی ذلک عن عمر بن الخطّاب رضی الله عنه(1).

[ذكر الآيات و الأحاديث و الخطب فى ذلک]

و من خطب بعض العلماء فى مثل ذلک:
اعلموا- رحمكم الله- أنّه لا يصلح الجهاد بغير اجتهاد، كما لا يصلح السّفر بغير زاد، فقدّموا مجاهدة القلوب قبل مباشرة الحروب، و مغالبة الأهواء قبل محاربة الأعداء، و بادروا بإصلاح السرائر فإنّها من أنفس العدد و الذخائر، و ادّخروا صلاح الأعمال عدّة لدفع الشدائد و الأهوال، فبالعمل الصالح يقبل الدعاء، و يصرف البلاء، و يأنس المؤمن فى قبره (س 27) و يأمن فى حشره، ثمّ يوطّن نفسه على المرتبة العليا و الدّرجة العظمى و هى الشهادة، فبذلک يبلغ منازل الشهداء، و إن فاز بالسّلامة و الغنيمة.
روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم أنّه قال: من طلب الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء، و إن مات على فراشه(2). و قد تقدّم ذكر هذا الحديث فى بابه.
و الله تعالى يعصم المسلم من أن يخرجه الطّمع فى عرض الدّنيا عن ذلک، قال الله العظيم: تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ(3).

1- عمر بن الخطاب 40 ق. ه- 23 ه- 584- 644 م: عمر بن الخطاب بن نفيل القرشىّ العدوىّ أبو حفص، ثانى الخلفاء الراشدين، أول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابى الجليل الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل، كان فى الجاهلية من أبطال قريش و أشرافهم. أسلم قبل الهجرة بخمس سنين و شهد الوقائع. بويع بالخلافة يوم وفاة أبى بكر سنة 13 ه. قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسى غيلة بخنجر فى خاصرته و هو فى صلاة الصبح.
الإصابة 4: 279 برقم 5731 و الأعلام 5: 45.

2- تقدم ذكره. و هو فى الترمذى 4: 183 برقم: 1653 بلفظ: من سأل و كذلک فى صحيح مسلم.

3- الأنفال 8/ 67.

روی أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم ندب إلی قتل یهودی فقال له رجل: یا رسول الله، إن قتلته إلی حماره؟ و کان علیه السلام إذا سئل شیئا لا یقول فیه (م 14) لا، فقال له: نعم. فذهب الرجل فقتله الیهودیّ، فقیل: طوبی له، قتل فی سبیل الله. فقال النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم: بل فی سبیل الحمار(1).
و نعیذ المسلم بالله أن یقاتل حبّا للمحمدة فی الدنیا أو لیقال: شجاع أو بطل، أو یکون غضبا لغیر الله، أو عصبیّة و حمیّة فی غیر سبیل الله.
فقد روی أنّ الرجل لیوقف بین یدی الله عزّ و جلّ یوم القیامة فیقول له: ما ذا عملت فیما علمت؟ فیقول: أی ربّ، قاتلت فیک حتّی قتلت. فیقول له:
کذبت، بل فعلت ذلک لیقال فقد قیل. اذهبوا به إلی النار(2)، أو کما ورد فی الحدیث.
بل یجب أن یکون جهاد المسلم و قتاله لإعزاز دین الله تعالی و نصر کلمته (س 28) و حمایة الإسلام و الذبّ عن المسلمین ابتغاء وجه الله عزّ و جل.
قال رجل لعبادة بن الصّامت(3): أقاتل بسیفی فی سبیل الله أرید وجه الله و محمدة المسلمین فقال: لا شیء لک، فأعاد علیه ثلاث مرّات، و فی کلّ ذلک یقول: لا شیء لک، ثمّ قال فی الثالثة: إنّ الله عزّ و جلّ یقول:

1- لم نقع علی هذا الحدیث.

2- الحدیث فی مسلم: کتاب الإمارة برقم: 3527 و فی النسائی: الجهاد برقم 3086 و مسند أحمد:
باقی مسند المکثرین برقم: 7928.

3- عبادة بن الصامت 38 ق. ه- 34 ه- 586- 654 م: عبادة بن الصامت بن قیس الأنصاری الخزرجی، أبو الولید، صحابی، من الموصوفین بالورع، شهد العقبة، و کان أحد النقباء، و بدرا و سائر المشاهد، ثم حضر فتح مصر، و هو أوّل من ولی القضاء بفلسطین، و مات بالرملة أو بیت المقدس. و کان من سادات الصحابة. عن الأعلام 3: 258.

أنا أغنى الشركاء عن الشّرک، من عمل عملا فأشرک معی شریکا ترکت نصیبی لشریکی(1).
و حکی اللّه سبحانه عمّن رضی عنه من المؤمنین فی إخلاص العمل قولهم: لا نُرِیدُ مِنْکُمْ جَزاءً وَ لا شُکُوراً(2) و فی حدیث عبد اللّه بن عمر حین سأل النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم قال: یا عبد اللّه بن عمر، علی أیّ حال قاتلت بعثک اللّه علی تلک الحال(3).
و من حدیث أبی هریرة فی غزوة أحد حین سمع النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم الناس یقولون: فلان أجرأ و فلان کذا فقال: إنهم قاتلوا علی قدر ما قسم اللّه لهم من العقل. و فیه: فإذا کان یوم القیامة اقتسموا المنازل علی قدر نیّاتهم و علی قدر عقولهم.
و قد خرجنا بذکر هذا کلّه عمّا تضّمنه هذا الباب لکنّ الکلام متعلّق بعضه ببعض و المسائل تتداخل فیضطرّ لذکرها للاستشهاد بها و لتکمیل الفائدة و تتمیم المعنی.
و یجب علی المسافر أن یتحرّی أداء أمانة إن کانت عنده و قضاء دین إن کان علیه و حلّ أجله، و أن لا یخرج إلّا بإذن ربّ الدّین فإنّ له منعه من

1- صحیح مسلم: کتاب الزهد و الرقائق. برقم: 5300 قال علیه السلام: قال اللّه تبارک و تعالی:
أنا أغنی الشرکاء عن الشرک. من عمل عملا أشرک فیه معی غیری ترکته و شرکه. و ذکره ابن ماجة فی کتاب الزهد برقم: 4192 و 4193.

2- سورة الإنسان 76/ 9.

3- انظر سنن أبی داود: کتاب الجهاد برقم: 2157 و هو جزء من الحدیث.

الخروج، و إن كان لم يحلّ (س 29) أجله لم يمنعه فإن قدّر حلوله فی سفره فلربّ الدّين أن يوكّل من يقبضه حيث حلّ أجله و يمنعه من وجهته، فإن كان معسرا لا يقدر على القضاء فله الخروج بغير إذن ربّ الدّين(1).
و روى أن الشهيد يغفر له كلّ شیء إلا الدّين(2). و قد تقدّم القول فی ذكر الأبوين و السيّد فی عبده.
و من السنّة أن يأتی إخوانه يسّلم عليهم و يستدعی دعاءهم تبرّكا بهم و يرتجی بذلک خيرا، و عليهم إذا قدم أن يأتوه، ثم له الخروج بنفسه و ماله و هو الأفضل، و يجوز بجعالة من متطوّع بها أو معونة يرفده بها من يبتغی الشّركة فی الأجر، و للمسترزق الخروج بمال من بيت مال المسلمين، ثم عند العزم فليستعن بالله (م 15) تعالى فهو خير معين، و ليركع ركعتين عند خروجه.
روى عن ابن عباس رضی الله عنه أنّه قال: من صلّى ركعتين تطوّعا حين يخرج غازيا فی سبيل الله فهلک فی وجهته تلک، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه، و كتب الله له عدد شعر رأسه و سائر جسده حسنات.

1- انظر تفصيل الأحكام فی هذا الأمر فی شرح السير الكبير 4: 1448 و ما بعدها.

2- فی شرح السير الكبير 4: 1450، الفقرة 2808: و استدل على أن المقام(عدم الخروج) أفضل له بما قاله النبی(صلّى اللّه عليه و سلم) فی القتل فی سبيل الله إنه كفارة ثم قال: إلا الدين فإنه مأخوذ به.
و انظر تفصيل الحكم فی ذلک الموضع المشار إليه.

و إنّ كان الجهاد فى أهل بغى أو ضلالة أو لصوص و قطعة طريق و مخيفى سبيل فينوى فى ذلک طاعة الله سبحانه فى تأمين السّبل و ردع الباغى و قمع الضّال، و جمع الكلمة، و الحضّ على الألفة، و استدعاء النّافر، و استنزال الشارد وردّ الخارج إلى السنّة، و المفسد إلى الإصلاح.

و عند ما يضع رجله فى ركابه، أو يقدّم الراجل قدمه للخروج فليقل:
بسم اللّه، اللهم يسّر (س 30) لنا فى سفرنا هذا التّقوى، و من العمل ما ترضى، اللهمّ ازو لنا الأرض، و هون علينا السّفر، و اطو لنا بعيده، اللهمّ أنت الصاحب فى السّفر، و الخليفة فى الأهل، اللهمّ إنّى أعوذ بک من و عثاء السّفر و كآبة المنقلب و سوء المنظر فى الأهل و المال(1).
فإذا استوى الفارس على ظهر فرسه أو الرّاكب على دابّته فليقل:
سُبْحانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَ إِنَّا إِلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ(2)
فقد فعل ذلک كلّه النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم.

1- قال الإمام النووى فى كتابه الأذكار: 198 روينا فى صحيح مسلم فى كتاب المناسک عن عبد اللّه بن عمر رضى اللّه عنهما أن رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و سلم) كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفره كبّر ثلاثا ثم قال:« سبحان الذى سخّر لنا هذا و ما كنا له مقرنين و إنا إلى ربنا لمنقلبون» اللهم إنّا نسألک فى سفرنا هذا البرّ و التقوى، و من العمل ما ترضى، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا و اطو عنّا بعده، اللهم أنت الصاحب فى السفر، و الخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بک من وعثاء السفر و كآبة المنظر و سوء المنقلب فى المال و الأهل. و إذا رجع قالهنّ و زاد فيهن:
آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون. عن صحيح مسلم: باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج و غيره ..

2- سورة الزخرف 43/ 13.

و أحسن الخروج إلى الغزو يوم الخميس (كان ذلک من فعله عليه السلام(1)، روى عن كعب بن مالک(2) أنّه قال: لقلّما كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم يخرج إذا خرج فى سفر إلا يوم الخميس، فكان يخرج يوم الخميس) باكرا و يصلّى ركعتين عند ذلک، و قد تقدّم حديث ابن عباس فى ثواب الركعتين. و كان يرجع يوم الاثنين باكرا فيصلّى ركعتين فى المسجد، ثمّ يحدّث أصحابه ساعة، ثم يدخل.

1- جاء فى كتاب عيون الأخبار 1: 122« قال: حدثنى محمد بن عبيد قال: حدثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن الزهرى قال: كان أحبّ الأيام إلى رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) أن يعقد فيه رايته يوم الخميس، و كان أحب إلى رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) أن يسافر فيه يوم الخميس»
و قال السرخسى فى شرح السير الكبير 1: الخروج فى سائر الأيام جائز من غير كراهة ..
و الخروج فى رمضان جائز. و قد رد السرخسى بقوله هذا على من قال إنه ينبغى اختيار الخميس و السبت اعتمادا على ما روى« اللهم بارک لأمتى فى بكورها سبتها و خميسها» شرح السير الكبير 1: 65.

2- كعب بن مالک ت 50 ه- 670 م: كعب بن مالک بن عمرو بن القين الأنصارى السّلمى الخزرجى، صحابى، من أكابر الشعراء، من أهل المدينة، اشتهر فى الجاهلية، و كان فى الإسلام من شعراء النبى(صلّى اللّه عليه و سلم). شهد أكثر الوقائع ثم كان من أصحاب عثمان، و أنجده يوم الثورة و حرّض الأنصار على نصرته، عمى فى آخر عمره و عاش سبعا و سبعين سنة. الإصابة 5: 308 برقم: 7427 و الأعلام 5: 228.

ص: 90

ص: 91

الباب الخامس فی مشارکة الغازی و معاونته و تجهیزه

اشارة

ص: 92

ص: 93
فی مشارکة الغازی و معاونته و تجهیزه

[ذكر الآثار التى تحض على تجهيز الغازى و معاونته]

روى زيد بن خالد(1) أنّ رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- قال: من جهّز غازيا فى سبيل الله فقد غزا(2).
و عن عبد الله بن عمرو بن العاص(3) أنّه قال: ما من عبد يناول أخاه شيئا فينتفع به فى غزو إلا (س 31) كان له حصنا حصينا من جهنّم بعيدا.
و عن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أنّه قال: سمعت رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- يقول: من أظلّ رأس غاز أظلّه الله فى ظلّه يوم القيامة، و من جهّز

1- زيد بن خالد(ت 78 ه- 697 م): زيد بن خالد الجهنى المدنى، صحابى، شهد الحديبية، و كان معه لواء جهينة يوم الفتح، له 81 حديثا، توفى فى المدينة عن 85 سنة. الإصابة 3: 27 برقم: 2889 و الأعلام 3: 58.

2- و تتمته: و من خلفه فى أهله فقد غزا. انظر جواهر البحار 2: 716 برقم: 1447 و البخارى 6: 389: 390 و مسلم 13: 39- 4 و الترمذى 1493.

3- عبد الله بن عمرو بن العاص 7 ق. ه- 65 ه- 616- 684 م: من قريش، صحابى، من النساك، من أهل مكة، كان يكتب في الجاهلية و يحسن السريانية، و أسلم قبل أبيه فاستأذن رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) في أن يكتب ما يسمع منه فأذن به، و كان كثير العبادة، حتى قال له النبى(صلّى اللّه عليه و سلم): إن لجسدک عليک حقا، و إن لعينيک عليک حقا، و كان يشهد الحروب و الغزوات و يضرب بسيفين، و حمل راية أبيه يوم اليرموک، و شهد صفين مع معاوية، و ولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة، و لما ولى يزيد امتنع عبد الله من بيعته و انزوى- فى إحدى الروايات بجهة عسقلان- منقطعا للعبادة، و عمى فى آخر حياته. و اختلف فى مكان وفاته. الإصابة 4: 111 برقم 4838 و الأعلام 4: 111.

غازيا حتى يستقلّ كان له مثل أجره حتى يموت أو يرجع .. الحديث(1).
و عن محمد بن كعب القرظى(2) عن كعب أنّه قال: من سقى غازيا شربة من ماء سقاه اللّه من الرّحيق المختوم يوم القيامة، و من احتشّ لدابّة غاز فى سبيل الله أعطاه الله كتابه بيمينه.
و عن علىّ بن أبى/ (م 17) طالب رضى الله عنه أنه قال: من سقى لغاز فرسا أو حسّه أو جلّله أو مسح خدّه أو قام إليه بمخلاته فتحت له ثمانية أبواب الجنة، فيقال له: ادخل من أيّها شئت.
و روى أنّ ابن عمر أخرج شيئا ليعطيه الغزاة فأبوا أخذه، و كان فيهم عامر بن عبد الله بن الزبير(3) فقال: ما أنت بالّذى ينفس عليه بالجنّة، بل نأخذه فإن احتجنا إليه أنفقناه، و إن استغنينا عنه وجّهناه وجهه، فأخذ و أخذ القوم، فشكر له ذلك ابن عمر.

1- الحديث فى كتاب الجهاد لابن أبى عاصم 1: 297 برقم: 92 قال محققه: أخرجه أحمد فى المسند 1: 20 و ابن ماجة فى سننه: كتاب الجهاد: من جهز غازيا 2: 921 برقم: 2758 و الحاكم فى المستدرک 2: 89 و البيهقى فى السنن الكبرى 9: 172 و أبو يعلى فى مسنده 1: 217: 253 و معنى قوله: حتى يستقل أى حتى يقدر على الغزو و لا يبقى محتاجا إلى شىء من آلاته و أسبابه عن حاشية السندى على سنن ابن ماجة 2: 172. و انظر تفصيل التخريج فى كتاب الجهاد فى الموضع المذكور أعلاه.

2- محمد بن كعب القرظى ت 108 ه: حليف الأنصار، تابعىّ مشهور، أبوه من بنى قريظة و أمه من بنى النضير و ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعى أهل المدينة- الإصابة 6:
197 برقم: 8530.

3- ورد ذكر عامر بن عبد الله بن الزبير عرضا فى طبقات ابن سعد 5: 183 و لم يذكر فى نسب قريش و إنما فيه: عامر بن حمزة بن عبد الله بن الزبير و كان من سروات آل الزبير و جلدائهم فى العقل و البيان، أنظر نسب قريش 241 و لم يذكر لعبد الله بن الزبير ولدا باسم عامر.

و روى أنّ عبد الله بن رواحة(1) قال: لأن أشيّع رفقة غادية فى سبيل الله أورائحة حتّى أبلغ معهم منزلهم، و أردّ عليهم دوابّهم و أنفض أحلاسهم أحبّ إلىّ من أجر حجّة أو عمرة.
و عن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أنّه قال: من صحب رفقة غزاة فخفّ لهم فى كفّ دوابّهم و نفض أحلاسهم فله من الأجر فى كلّ يوم و ليلة/ (س 32) أفضل من حجة مبرورة.
و عن ابن عبّاس رضى الله عنه أنّه قال: أدنى ما ينقلب به مشيّع الغازى فى سبيل الله سبعون ضعفا أدناها مغفرة تجمع بينه و بين إبراهيم خليل الرحمن فى مقعد صدق. فقيل: ما للغازين؟ قال: هيهات هيهات، انقطع العلم عند ثواب الله تعالى لهم(2).
و عن سحنون(3) عن ابن وهب(4) قال: أخبرنى مسلمة بن علىّ

1- عبد الله بن رواحة ت 8 ه- 629 م: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصارى، من الخزرج، أبو محمد، صحابى، يعد من الأمراء و الشعراء الراجزين، كان يكتب فى الجاهلية، و شهد بدرا و أحدا و الخندق و الحديبية، و استخلفه النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) على المدينة فى إحدى غزواته و صحبه فى عمرة القضاء، و له فيها رجز، و كان أحد الأمراء فى وقعة مؤتة(بأدنى البلقاء من أرض الشام) فاستشهد فيها. عن الأعلام 4: 86.

2- ابن ماجة. كتاب الجهاد. باب تشييع الغزاة.

3- سحنون 160- 240 ه- 777- 854 م: عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخى الملقب بسحنون، قاض فقيه، انتهت إليه رئاسة العلم فى المغرب، كان زاهدا لا يهاب سلطانا فى حق يقوله، أصله شامى، من حمص، و مولده فى القيروان، ولى القضاء بها سنة 234 و استمر إلى أن مات أخباره كثيرة جدا و كان رفيع القدر، عفيفا، أبىّ النفس، روى المدوّنة فى فروع المالكية عن عبد الرحمن بن قاسم عن الإمام مالک، عن الأعلام 4: 5.

4- ابن وهب 125- 197- 743- 813 م: عبد الله بن وهب بن مسلم الفهرى بالولاء، المصرى، أبو محمد، فقيه من الأئمة من أصحاب الإمام مالک، جمع بين الفقه و الحديث و العبادة، و له كتب منها: الجامع فى الحديث و الموطأ فى الحديث و كان ثقة حافظا مجتهدا. مولده و وفاته

بمصر- عن الأعلام 4: 144.

الخشنّى عن مروان بن سالم يرفعه قال: صافحوا الغزاة فى سبيل الله، فإنّه من صافح غازيا فى سبيل الله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه.
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-. من سلّم على مجاهد سلّمت الحور العين عليه، و من أعان المجاهد بكلمة أو زوّده بتمرة وضع الله البركة فى ماله، و حرّم جسده على النار
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم-. من أعطى مجاهدا رمحا أو ترسا أعانه بها، يجىء يوم القيامة و أجنحة الملائكة تحفّه و الملائكة ترعاه، فإذا مرّ على جهنّم لم يعلم بمروره عليها، و لا ارتاع من مهول منظرها.
قال ابن حبيب: و جاءت الرغائب فيمن أنفق فى السبيل أو أعان بماله.
و قال: نفقة الخارج أفضل.
قال زيد بن أسلم(1): نفقة الخارجين (فى سبيل الله(2)) كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَ اللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ(3).
قال ابن حبيب: و من أعطى الغازى شيئا من غير مسألة، فأكثر العلماء لا يرون بأخذه بأسا.

1- زيد بن أسلم ت 136 ه- 753 م: زيد بن أسلم العدوى العمرى، مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبد الله، فقيه مفسر من أهل المدينة، كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته، و استقدمه الوليد ابن يزيد فى جماعة من فقهاء المدينة إلى دمشق مستفتيا فى أمر، و كان ثقة كثير الحديث، له حلقة فى المسجد النبوى، و له كتاب فى التفسير رواه عنه ولده عبد الرحمن. عن الأعلام 3: 56.

2- عبارة(فى سبيل الله) ساقطة من س.

3- عبارة(و الله يضاعف لمن يشاء) ساقط من س و الآية من سورة البقرة 2: 261.

ص: 97
فإن احتاج إليه أنفقه و إلّا فرّقه فى السبيل و قد تقدّم فعل/ (س 33) عامر مع ابن عمر و قوله له رضى الله عنهما.

ص: 98

ص: 99

الباب السادس فيما يجب على الأمير أن يفعله فى السّفر

اشارة

ص: 100

[الرفق بتسيير الجيش و الآثار الواردة فى ذلک]

يجب على الأمير أن يسير جيشه و جمعه بسير أضعفهم، و فى ذلک الرّفق الذى يبلغ به الضعيف و يتوفّر عليه جلد القوىّ، و فى خلاف ذلک استهلاک الضعيف و استفراغ جلد القوىّ(1).
قال رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم-: إنّ الدين متين فأوغلوا فيه برفق، فإنّ المنبتّ لا أرضا قطع و لا ظهرا أبقى، و شرّ السير الحقحقة(2).
و قد قال صلّى اللّه عليه و سلم: سيروا بسير أضعفكم(3). و قال عليه السلام:

1- أصل ذلک ما ورد فى رسالة عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص: و ترفّق بالمسلمين فى مسيرهم و لا تجشمهم مسيرا يتعبهم، و لا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم و السفر لم ينقص قوتهم فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامى الأنفس و الكراع. العقد 1: 130.
و انظر الشروط المفروضة على قائد الجيش فى نهاية الأرب 6: 152 نقلا عن الأحكام السلطانية للماوردى: 35.

2- الحديث فى نهاية الأرب 6: 152 و هو فى الجامع الصغير. و المنبتّ: المنقطع و هو أيضا فى الأحكام السلطانية للماوردى 35. و الحقحقة: أرفع السير و أتعبه للظهر أو اللجاج فى السير، أو السير أول الليل، أو أن يلج فى السير حتى تتعب راحلته أو تنقطع. عن القاموس المحيط.

3- ورد الحديث فى كتاب: المصنوع فى معرفة الحديث الموضوع ص 112 برقم: 158 بلفظ:
سيروا على سير أضعفكم .. قال السخاوى: لا أعرفه بهذا اللفظ.
قال محقق الكتاب: تمام كلام السخاوى فى المقاصد الحسنة ص 247، و لكن معناه فى قوله(صلّى اللّه عليه و سلم) لعثمان بن أبى العاص رضى الله عنه حين أمّره على الطائف: يا عثمان تجاوز فى الصلاة و اقدر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبير و الصغير، و السقيم و البعيد و ذا الحاجة، و هو عند الشافعى فى« سننه» و الترمذى و قال: حسن و ابن ماجة 1: 316 و اللفظ له و صححه ابن خزيمة و الحاكم فى« المستدرک» 1: 199 و 201 و قال إنه على شرط مسلم. و نحوه عند الحارث ابن أبى أسامة عن أبى هريرة رفعه: يا أبا هريرة إذا كنت إماما فقس الناس بأضعفهم و فى- لفظ: بأضعفهم فإن فيهم ... قال المحقق: قلت: روى مسلم 4: 186 و أبو داود

1: 146 و النسائی 2: 23 و ابن ماجة 1: 316 و اللفظ للنسائی:« عن عثمان بن أبی العاص رضی الله عنه قال:
قلت: یا رسول الله، اجعلنی إمام قومی، فقال: أنت إمامهم و اقتد بأضعفهم» و معنی اقتد بأضعفهم أی راع ضعفه فی طول القیام و القراءة حتی کأنک تقوم و ترکع علی ما یرید، فتکون کالتابع له.

«الضعيف أمير الرّفقة»(1)، يريد أنّ من ضعف أو ضعفت دابّته التى تحمله، كان على القوم أن يسيروا بسيره، و يتفقّد ذلک الإمام، و يحبس على الناس بسير دابّته.
و روى: أقطف القوم دابة أميرهم.
و لا بأس إذا كان القوم كلّهم أقوياء و احتاجوا إلى جدّ السير و الإسراع أن يفعلوا ذلک، فقد سار ابن عمر و سعيد بن أبى هند و كانا من خير الناس من المدينة إلى مكة فى ثلاثة أيام، و هى عشرة أيام على السير المعتاد.

[تفقد الخيل و المتاع]

و عليه أن يتفقّد خيلهم التى يجاهدون عليها، و ظهرهم التى يمتطونها و تحمل أثقالهم و أمتاعهم، فيخرج من خيل جهادهم القحم الكبير و الحطم الكسير، و الضرع الصغير، و الأعجف الهزيل، فإنّها لا تغنى، و ربما كان الضعيف من ذلک و هنا فى العسكر (س 34) و يردّ من لا يقدر على

1- الضعيف أمير الرفقة. قال الماوردى فى الأحكام السلطانية: 35 و روى عن النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) أنه قال:
« المضعف أمير الرفقة». يريد أن من ضعفت دابته كان على القوم أن يسيروا بسيره، و الثانى أن يتفقد خيلهم التى يجاهدون عليها و ظهورهم التى يمتطونها، فلا يدخل فى خيل الجهاد ضخما كبيرا و لا ضرعا صغيرا و لا حطما كسيرا و لا أعجف زارحا هزيلا، لأنها لا تقى و ربما كان ضعفها و هنا، و يتفقد ظهور الامتطاء و الركوب، فيخرج منها ما لا يقدر على السير و يمنع من حمل زيادة على طاقتها.

السير، و يمنع أن يحمل على الظهر ما لا يطيقه، و يوكّل بالسّاقة(1) رجالا فى الدخول إلى دار الحرب و فى الخروج يلحقون من تخلّف و يقفون على الضعيف(2).
كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم يقول: ابغونى فى الضّعفاء فإنّما ترزقون بهم و تنصرون بضعفائكم(3).
و من له دابّة لا فضل فيها تحبسه عن الناس نزعوها عنه أو نزعوه عنها و ألحقوه بالناس و إن رأوا ذبحها ذبحوها و لا ضمان عليهم فيها.

[مراعاة أمر المقاتلة و ترتيب المسؤولية]

و عليه(4) أن يراعى أمر المقاتلة من المسترزقة و المطوّعة و يعرّف على كلّ فريق من يثق به من العرفاء و النّقباء ليعرف من قبلهم أحوال جنده و يبلّغون عمّن لديهم إلى الأمير ما يحتاجون إليه، و عن الأمير إليهم الأوامر و النّواهى، و يدعونهم عند الحاجة فذلک أسرع فى الحثّ على الجهاد و أهبة الاستعداد. و قد فعله النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم. و يأخذهم بامتثال أوامره و نواهيه فيما يراه من النظر لهم فى حربهم و غير ذلک من مصالحهم، فمن عصاه فله أدبه بحسب حاله، و لا يغلظ و لا يفرط فيوحشهم قال تعالى:
فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ

1- الساقة: مؤخرة الجيش.

2- النقل بتصرف عن الأحكام السلطانية للماوردى: 35.

3- ورد الحديث فى فيض القدير 1: 154 برقم: 58 بلفظ: أبغونى فى الضعفاء فإنما ترزقون و تنصرون بضعفائكم. و الذى فى أصلنا: أبقونى و هو تصحيف و عن محقق فيض القدير قال:
أخرجه أحمد فى مسنده 5: 198 و أبو داود 3: 594 و الترمذى 4: 1702 و النسائى 6: 3179 و ابن حبان 7: 133 و الحاكم فى المستدرک 2: 106 عن أبى الدرداء. و قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. و صححه الألبانى فى صحيح الجامع.

4- النقل عن الأحكام السلطانية ص 36 و ما بعدها بتصرف.

حَوْلِکَ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ، فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَکَّلْ عَلَی اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُتَوَکِّلِینَ(1).
و قال النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم: «خیر دینکم أیسره»(2) فإن کان الأمیر الأعلی فله ذلک علی (س 35) الإطلاق فی کل زمان و مکان، و إن کان أمیرا خاصّا علی عسکر بعینه أو سریة (م 18) أو التوجّه إلی ثغر بعینه فله ذلک فی عسکره أو سریّته أو مصافة ثغره، فإذا استقرّ فی ثغره فله فیه مثل ذلک.
و لا یتعدّی من أمّر علیه فی خصوص أو عموم و سیأتی حکم ولیّ الثّغر بعد إن شاء الله.

[وضع شعار لكل طائفة]

و عليه أن يجعل لكلّ طائفة شعارا يتداعون بها و يتميزون عند الاجتماع فيه، و يهتدى به من ضلّ عن أصحابه و يرجع به إلى قومه فى حال القتال أو غيره، فيكون بذلك التعاون و التّصابر(3).
روى أن النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم جعل شعار المهاجرين: «يا بنى عبد الرحمن» و شعار الخزرج: «يا بنى عبد الله» و شعار الأوس: «يا بنى عبيد الله» و سمّى خيله: يا خيل الله(4) و كان من شعار الصحابة يوم حنين: «يا أصحاب سورة البقرة».

1- سورة آل عمران 3: 159.

2- فى الجامع الصغير 2: 10 خير دينكم أيسره، عن أحمد و عن البخارى فى الأدب المفرد عن محجن بن الأدرع و الطبرانى فى الكبير عن عمران بن حصين. و عن الطبرانى فى الأوسط و ابن عدى فى الكامل عن أنس، و ورد فى شرح السير الكبير 1: 238 خير دينكم اليسر.

3- النقل عن الأحكام السلطانية للماوردى 36 بتصرف.

4- النقل عن الأحكام السلطانية 36.

و قال عليه السلام: إذا لقيتم العدوّ فشعاركم «حم. لا ينصرون»، أى اللهمّ.
و قال سحنون: الشّعار من الأمر القديم.
قال ابن عباس: كان الشعار يوم بدر: يا منصور(1).

[وجوب تصفح الجيش و إخراج غير الموثوقين منه]

و عليه أن يتصفّح جيشه، و يخرج من عنده تخذيل للمجاهدين أو عين للمشركين أو إرجاف بالمسلمين، و قد ردّ النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم عبد الله بن أبىّ ابن

1- جاء فى شرح السير الكبير 1: 74 برقم: 59: قال محمد رحمه الله: و ينبغى أن يتخذ كل قوم شعارا إذا خرجوا فى مغازيهم حتى إن ضل رجل عن أصحابه نادى بشعارهم، و كذلك ينبغى أن يكون لأهل كل راية شعار معروف، حتى إن ضل رجل عن أهل رأيته نادى بشعاره فيتمكن من الرجوع إليهم، و ليس ذلك بواجب فى الدين، حتى لو لم يفعلوا لم يأثموا، و لكنه أفضل و أقوى على الحرب، و أقرب إلى موافقة ما جاءت به الآثار على ما روى عن سنان ابن وبرة الجهنى قال: كنا مع رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) فى غزوة المريسيع و هى غزاة بنى المصطلق، و كان شعارنا: يا منصور أمت.
قال السرخسى: معناه قد ظفرت بالعدو فاقتل من شئت منهم، و هذ كان شعار النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) يوم بدر، و كان شعاره يوم أحد: أمت أمت.
قال محمد: و عن عائشة رضى الله عنها قالت: جعل رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) شعار المهاجرين: يا بنى عبد الرحمن. و الخزرج يا بنى عبد الله. و الأوس: يا بنى عبيد الله. و قال لهم رسول الله ليلة فى حرب الأحزاب: إن بيتم الليلة فشعاركم: حم. لا ينصرون.
و كان شعارهم يوم حنين: يا أصحاب سورة البقرة و به ناداهم رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) حين ولّوا منهزمين فقال: يا أصحاب سورة البقرة! إلىّ أنا عبد الله و رسوله سائر اليوم. و جعل يتقدم فى نحر العدو، فرجع إليه المسلمون حين سمعوا صوته.
و فى رواية: كان شعارهم يومئذ: حم لا ينصرون. فلما ثاب المسلمون- أى رجعوا إليه- تولّى المشركون. فقال رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم): انهزموا و ياسين. قال السرخسى: فالحاصل أن الشعار هو العلامة، فالخيار فى ذلك إلى إمام المسلمين، إلا أنه ينبغى له أن يختار كلمة دالة على ظفرهم على العدو بطريق التفاؤل. فقد كان رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) يعجبه الفأل الحسن.
قلت: و قد ورد فى شرح السيرة النبوية 2: 890 أن رسول الله(صلّى اللّه

عليه و سلم) كان يقول يوم حنين: يا معشر أصحاب السّمرة.

سلول(1) فی بعض غزواته بتخذیله للمسلمین(2)، و کذلک یتحرّز ممّن بینه و بین العدوّ عهد أو مراسلة و مکاتبة، و یستخبر الثقات المأمونین المعروفین بالنّصیحة و الورع إن کان من هذه صفته فی قومه (س 36) عمّا یسمعونه و یخبرونه من عامّة العسکر.
و قد جاء فی الحدیث بیان عقوبة فاعل ذلک، و هو فی حدیث الظعینة التی أطلع الله نبیّه صلّی اللّه علیه و سلم علی خبرها، فأرسل إلیها و أمر بأخذ الکتاب منها، و أن یخلی سبیلها إن دفعته، و إن منعته قتلت، فأخرجته من عقاصها فإذا فیه: من حاطب بن أبی بلتعة(3) إلی ناس من المشرکین أهل مکة یخبرهم ببعض أمر رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم. فقال: یا حاطب ما هذا؟ قال: یا رسول الله، لا تعجل علیّ، إنّی کنت امرأ ملصقا فی قریش و لم أکن من أنفسها، و کان من معک من المهاجرین لهم قرابات بمکّة یحمون بها أهلهم و أموالهم،

1- عبد الله بن أبیّ ت 9 ه- 630 م: عبد الله بن أبی بن مالک بن الحارث بن عبید الخزرجی، أبو الحباب المشهور بابن سلول، و سلول جدته لأبیه من خزاعة. هو رأس المنافقین فی الإسلام من أهل المدینة، کان سید الخزرج فی آخر جاهلیتهم، و أظهر الإسلام بعد وقعة بدر و لما تهیأ النبی(صلّی اللّه علیه و سلم) لوقعة أحد انخزل عبد الله بن أبیّ و کان معه 300 رجل، و عاد بهم إلی المدینة، و فعل ذلک یوم التهیؤ لغزوة تبوک، و کان کلما حلت بالمسلمین نازلة شمت بهم و کلما سمع سیئة نشرها و له فی ذلک أخبار و لما مات صلّی علیه النبی(صلّی اللّه علیه و سلم) فنزلت« و لا تصلّ علی أحد منهم» و کان عملاقا یرکب الفرس فتخط إبهاماه فی الأرض. عن الأعلام 4: 65 و أخباره فی السیرة النبویة فی غزوة أحد و تبوک و غیرهما.

2- النقل من الأحکام السلطانیة: 37.

3- حاطب: 35 ق. ه- 30 ه- 586- 650 م: حاطب بن أبی بلتعة اللخمی، صحابی، شهد الوقائع کلها مع رسول الله(صلّی اللّه علیه و سلم) و کان من أشد الرماة فی الصحابة، و کانت له تجارة واسعة، بعثه النبی(صلّی اللّه علیه و سلم) بکتابه إلی المقوقس صاحب الإسکندریة، و مات فی المدینة، و کان أحد فرسان قریش و شعرائها فی الجاهلیة.
الإصابة 1: 314 برقم: 1533 و الأعلام 2: 159 و السیرة النبویة 1: 503 و

.850 :2

فأحببت إذ فاتنى ذلک فى النّسب أن أتّخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى، و ما فعلت ذلک كفرا و لا ارتدادا.
فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: قد صدقكم.
فقال عمر: يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق.
قال: إنّه قد شهد بدرا، و ما يدريک لعلّ الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأنزل الله عزّ و جلّ: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ قَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ إِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِى سَبِيلِى وَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِى، تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَيْتُمْ وَ ما أَعْلَنْتُمْ، وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ(1). ففى هذا الخبر ما يدلّ على أنّ من كاتب العدوّ (س 37) قتل، لأنّ علّة إبقاء (م 19) حاطب: تصديق النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم إيّاه فى عذره و لا يصحّ ذلک لغيره، و أنه كان من أهل بدر و قد ورد فيهم ما ورد.
و فيه أيضا: أن لا يوالى كافر و لا يلقى إليه بمودّة، قال سحنون: و من قاتل أهل الحرب قتل و لم يستتب، و ماله لورثته.
و قال غيره: يجلد و يطال حبسه و ينفى من الموضع الذى يقرب من العدوّ.

1- سورة الممتحنة 60: 1- 4: و خبر حاطب مع ما ورد فيه من الحديث و الآيات فى السيرة النبوية 2: 849، 850، 851 و انظر الأحكام السلطانية: 47، 48.

و روی أنّ عینا من المشرکین جاء إلی رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم فلمّا طعم انسلّ، فقال رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم: علیّ بالرّجل، اقتلوه، فابتدره القوم، فسبقهم سلمة ابن الأکوع(1) فقتله فنفّله النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم سلبه(2).
فعلی هذا کله یجب علی الأمیر تصفّح جیشه و استعراض قومه و استنفاض عسکره.

[وجوب أن يكون القائد أسوة و وجوب المشاورة]

و عليه أن يكون أسوة لأهل عسكره جهده فى أحواله و أقواله، و أن يشاور أهل الرأى و الحنكة، قال اللّه تعالى: وَ شاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ(3) و اختلف الناس فى هذا الأمر للنبىّ صلّى اللّه عليه و سلم مع ما أيده اللّه به من التوفيق، و أعانه به من التأييد، فقيل: إنّه ليستقرّ له الأمر الصحيح فيعمل عزمه، و قيل: ذلک لما فى المشاورة من الفضل و النّفع و الأدب مع الأصحاب، و قيل: إن ذلک ليسنّ به المسلمون و يتبعه به المؤمنون، و إن كان عن مشاورتهم غنيّا، قال الحسن(4): ما تشاور قوم إلّا هدوا لأرشد أمرهم(5).

1- سلمة بن الأكوع ت 74 ه- 693 م: سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع الأسلمى، صحابى، من الذين بايعوا تحت الشجرة، غزا مع النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) سبع غزوات منها الحديبية و خيبر و حنين و كان شجاعا بطلا راميا عدّاء، و هو ممن غزا إفريقية فى أيام عثمان. توفى بالمدينة. عن الأعلام 3: 113 و الإصابة 3: 118 برقم: 3382.

2- البخارى: الجهاد و السير. حديث برقم: 2823.

3- سورة آل عمران: 3: 159.

4- ربما كان يريد الحسن البصرى 21- 110 ه- 642- 728 م و اسمه الحسن بن يسار أبو سعيد، تابعى، إمام البصرة و حبر الأمة فى زمنه، و هو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساک، ولد بالمدينة و شب فى كنف علىّ بن أبى طالب، و استكتبه الربيع بن زياد والى خراسان فى عهد معاوية و سكن البصرة و عظمت هيبته فى القلوب. عن الأعلام 2: 226.

5- الأحكام السلطانية: 43.

ص: 109

[وجوب استدناء أهل الفضل و الاعتماد على الخبراء]

و عليه أن يستدنى أهل الفضل و الدّين و النصيحة من المسلمين و (س 38) يقرّب من أهل الثغور و شبههم أهل البصائر و الممارسة للحرب و المعرفة بالجهات و الطّرق و الأرض التى يقصدها، و يحسن إليهم و يطيّب نفوسهم، و يعدهم بالثّواب على الصّدق فى كل حال، ليأمن فى ذلک من كذب المخبر و غشّ النّصيح، فإنّه لا رأى لكذوب و لا ثقة بمغلوب و لا نصح لموتور، و لا حرمة لمهجور.
و يستخبر أهل السّير فى السّير، فما خاف أن يوقع و هنا فى عسكره كتمه و ينظر فى التخلّص منه، و ما كان تقوية لقلوب قومه، و بشارة بمأموله أذاعه و أفشاه و نشط ما استطاع و بشّر النفوس بما يشعر به من الظّفر و يخيّل من أسباب النصر، و يقلّل العدوّ فى أعين المسلمين ليكونوا أجرأ عليهم و أنشط فى قتالهم، قال الله تعالى: وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ فِى الْأَمْرِ(1) و يكون ذلک بسياسة و تحذير من المكائد و تخويف من الخذلان لئلا يغتّر الناس باحتقار العدوّ (فيقع التواكل من بعض الجيش على بعض، فيجد العدوّ فيهم فرصة و لو كان قليلا)(2).
نعوذ بالله من الخذلان، فإنّ قلب الإنسان إذا دخله الخوف شغله الحذر، و إذا اتّسع له الأمن استلبته الغرّة(3).
و عليه أن يعد أهل البصيرة و البلاء بثواب الله إن كانوا من أهل الآخرة، و بالجزاء و النّفل إن كانوا من أهل الدّنيا، و ثواب الآخرة الجنّة

1- سورة الأنفال 8: 42.

2- ما بين المعقوفتين ساقط من م.

3- فى س: العزة.

و ثواب الدنيا الغنيمة، قال الله العظيم وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها، وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها(1)/ (م 20).
و عليه/ (س 39) أن لا يمايل من ناسبه أو صاحبه أو قاربه أو وافق رأيه و مذهبه على من باينه فى شئ من ذلک، فيكون ذلک داعية إلى تفريق الكلمة و التّشاغل بالتقاطع و المضاغنة و الاختلاف، بل يدارى و يرفق و يظهر التسوية فى القرب و التكافؤ فى الحكم، و التجافى عن التخصيص بالعتب و الذمّ. بل يشمل فيما يكره بأن يقول: ينبغى أن لا يفعل كذا، و فيما يجب:
يجب أن يفعل كذا، كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم إذا كره بعض الأمور قام خطيبا ثم قال: ما بال قوم يفعلون كذا ثمّ ينهى عموما أو يأمر عموما. و قد فعل ذلک عمر رضى الله عنه و هو حسن فى النّظر(2).
و قد أغضى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم عن المنافقين و هم أضداد فى الدّين و أعداء المسلمين، لكنّهم لمّا استتروا بالإسلام و اتّسموا بصحبة خير الأنام، أجرى عليهم حكم الظاهر(3)، حتى قال له بعض أصحابه: «دعنى أقتل هذا المنافق- يعنى عبد الله بن أبىّ ابن سلول- فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: أخاف أن يقال: محمد يقتل أصحابه»(4) فعلّمنا بذلک المداراة و الصبر على الأذى و احتمال المكروه مخافة اختلاف الظنون و اقتحام الأهواء على السرّ المكنون. و فيه صلّى اللّه عليه و سلم الأسوة الحسنة، فكثّر بهم العدد و شدّ بهم الشوكة، و كمّل بهم العدّة، و وكلهم فى ضمائرهم و سرائرهم إلى علّام

1- سورة آل عمران 3: 145 و النقل عن الأحكام السلطانية: 43.

2- انظر الأحكام السلطانية: 37.

3- الأحكام السلطانية: 37.

4- انظر الخبر بتفصيله فى السيرة النبوية: 2: 761.

الغيوب(1)، ما لم يظهر منهم التخذيل عن الجهاد، و يبدو عليهم/ (س 40) مخيل الإفساد، فحينئذ يجب إخراجهم إلى حيث تؤمن غائلتهم كما تقدّم، قال الله تعالى: وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ(2) قيل: إنّ المراد بالريح: الدولة، و قيل: القوة، و ضرب لها المثل بالرّيح لقوّتها(3)، و قيل: يحتمل أن يكون للنصر ريح من قبل الله عزّ و جلّ تهبّ بأمره حيث شاء.

[الحرص على جمع الكلمة و وجوب المعاملة العادلة]

و عليه أن يأخذ جيشه بما أوجب الله تعالى من حقوقه و أمر به من حدوده، حتى لا يكون بينهم تجاوز فى دين، و لا تحيّف فى حقّ، فمن جاهد عن الدّين (فهو) أحقّ الناس بالتزام حدوده و القيام بأحكامه و الفصل بين حلاله و حرامه(4).

[وجوب النهی عن الفساد و التشاغل بأمور الدنیا]

روی أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم قال: انهوا جیوشکم عن الفساد فإنّه ما أفسد جیش قطّ إلّا سلّط علیهم الرّجلة، و انهوا جیوشکم عن الغلول، فما غلّ جیش قطّ إلا قذف الله الرعب فی قلوبهم، و انهوا جیوشکم عن الزّنی فما زنی جیش قطّ إلا سلّط علیهم الموتان(5).

1- الأحکام السلطانیة: 37.

2- سورة الأنفال 8: 46.

3- الأحکام السلطانیة: 37.

4- الأحکام السلطانیة: 44.

5- الحدیث فی الأحکام السلطانیة: 44 بهذه الروایة.
روی حارث بن نبهان عن أبان بن عثمان عن النبی صلّی اللّه علیه و سلم أنه قال: أنهوا جیوشکم عن الفساد، فإنه ما فسد جیش قط إلا قذف الله فی قلوبهم الرعب، و انهوا جیوشکم عن الغلول فإنه ما غلّ جیش قط إلا سلط الله علیهم الرّجلة، و انهوا جیوشکم عن الزنی، فإنه ما زنی جیش قط إلا سلط الله علیهم الموتان. و انظر نهایة الأرب 6: 158 و الموّطا، الجهاد: برقم 870.

و الرجلة: موت الدوابّ و الخيل. و الموتان: الوباء الذى يموت فيه عامّة الناس.
و عليه أن ينهى جيشه عن التّشاغل بالتجارة و الزراعة، فإنّ ذلک يصرف هممهم عن مصابرة العدوّ و صدق النيّة فى الجهاد(1).
روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلم أنّه قال: بعثت مرحمة و مرغمة، و لم أبعث تاجرا و لا زارعا، و إنّ شرّ هذه الأمة التجار و الزّارعون إلّا من شحّ على دينه(2) (م 21).
و غزا نبىّ (س 41) من الأنبياء عليهم السلام فقال: لا يغز معى رجل بنى بناء لم يكمله، و لا رجل تزوّج امرأة و لم يدخل بها، و لا رجل زرع زرعا و لم يحصده(3).
و عليه النظر فى حراسة جيشه من غرّة العدوّ، بأن يستنفض المكامن و المراصد و يرتّب الطلائع على الموارد و المقاصد و يتخيّر المنازل بحسب الأحوال فى كلّ زمان و مكان، و لا يغفل عن أوطإ الأرض نزلا و أكثرها مرعى و ماء و منافع، و أحرسها أكنافا و أطرافا، و يحرس حراسة يأمن بها عسكره فى الأنفس و الرّحال، و تسكن إليه النفوس فى حال الدّعة و أخذ

1- الأحكام السلطانية: 44.

2- الحديث بهذه الرواية فى الأحكام السلطانية: 44 و روايته فى فيض القدير 5: 2597 برقم:
3154« بعثت مرحمة و ملحمة و لم أبعث تاجرا و لا زارعا ألا و إن شرار الأمة التجار و الزارعون إلا من شح على دينه» عن ابن عباس. قال محققه: أخرجه أبو نعيم فى الحلية 4: 72 و الديلمى فى مسند الفردوس 2: 1918 عن ابن عباس. و ضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع 2340.

3- هذا الخبر فى الأحكام السلطانية: 44.

الأهبة و التّهيئة لوقت المحاربة، فيكون ذلک أعون على المنازلة و أقوى على المراقبة.

[إعداد ما يحتاج إليه الجيش و تعرف أحوال الناس فى العسكر]

و عليه إعداد ما يحتاج إليه الجيش من زاد و علوفة، يفرّق ذلک عليهم فى وقت الحاجة إذا نفد زادهم لتسكن نفوسهم إليه و يثقوا بمادّة يستغنون عن طلبها فيكونوا على المحاربة أوفر و لمنازلة العدوّ أقوى و أصبر.
و عليه أن يتعرّف أحوال عدوّه و يتسمّع مع السّاعات و فى كلّ الأحيان أخبارهم حتّى يعرف أحوالهم و يعلم مقاصدهم و أغراضهم، و يجتهد فى إذكاء العيون، و بثّ الرّصد، و بعث من يثق به فى الاستعلام بعادة العدوّ، و يتحرّز من مكرهم و خدعهم، و يلتمس الغرّة فى الهجوم عليهم إن رأى ذلک فرصة و تبيّن له منهم غفلة، فإنّ الحرب خدعة، و أيسر الغفلة و التأنّى عند ذلک صرعة/ (س 42).
و عليه أن يتعرّف أحوال الناس فى عسكره، و هل يحتاجون إلى الخروج فى غارة أو معتلفة فيندب لذلک و يحوط الخارجين فى البعوث بتأمير الموثوق به فى نجدته و سياسته و دربته و علمه بالجهات، فإنّ أكثر ما يصابون فى ذلک من الاسترسال و عدم الامتثال، و إن رأى المنع من ذلک لخوف من غرّة أو جهل بمكامن العدوّ نادى بالنّهى عن الخروج حتّى يعيّن أميرا و يندب جماعة تكون ردءا للمعتلفة، و لا يكون الخروج لشىء من ذلک إلّا بإذن و تحت نظر أمير و جماعة، لأنّ ركوب الخطر فى إهمال ذلک عظيم.

ص: 114

ص: 115

الباب السابع فى امتثال الغازى أمر إمامه و أمير عسكره و قائد جماعته

اشارة

ص: 116

ص: 117
فی امتثال الغازی أمر إمامه و أمیر عسکره و قائد جماعته

[وجوب طاعة الغازى أمر إمامه و الآثار الواردة فى ذلک]

يجب على الغازى امتثال أمر إمامه أو أمير عسكره أو قائد جماعته، و أن لا يخالفه في شىء من أمره ما استطاع ممّا يوافق سنّة فى عمل أو تدبير فى رتبة أو حيلة أو مكيدة على عدوّ أو نظر فى بعث طليعة أو سرّية أو رائد أو حراسة لجانب أو كمين لغارة أو تجريد جريدة لشغل جهة أو جلب عير أو قوت أو غنيمة و أشباه ذلک من الوجوه التى للأمير النظر فيها، قال الله تعالى: أَطِيعُوا اللَّهَ/ (م 22) وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ(1) فقيل فى أولى الأمر: إنّهم الولاة الأمراء، قاله أبو هريرة و ابن عباس و غيرهما(2). و قيل: هم أصحاب السرايا.
و قال زيد بن أسلم: هم السلاطين.
و قال جابر(3)/ (س 43) بن عبد الله: هم أهل العلم و الفقه و الخير

1- سورة النساء 4: 59.

2- النقل عن الأحكام السلطانية 48 و فيه: و فى أولى الأمر تأويلان: أحدهما أنهم الأمراء، و هذا قول ابن عباس رضوان الله عليه، و الثانى أنهم العلماء و هذا قول جابر بن عبد الله و الحسن و عطاء.

3- جابر 16 ق. ه- 78 ه- 607- 697 م: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجى الأنصارى السلمى، صحابى، من المكثرين فى الرواية عن النبى(صلّى اللّه عليه و سلم). روى عنه جماعة من الصحابة، له و لأبيه صحبة، غزا تسع عشرة غزوة. و كانت له فى أواخر أيامه حلقة فى المسجد النبوى يؤخذ عنه العلم. الإصابة 1: 222 برقم: 1022 و الأعلام 3: 104.

و الدّين. و قاله مجاهد(1) و قتادة(2) و أبو العالية(3)، و قيل غير ذلک.
و الأكثر على أنّهم الأمراء و السلاطين و اختاره أهل النظر لقول رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- سيليكم بعدى ولاة، البرّ ببرّه و الفاجر بفجوره فاسمعوا و أطيعوا فى كلّ ما وافق الحقّ، و صلّوا وراءهم، فإن أحسنوا فلكم و لهم، و إن أساؤوا فلكم و عليهم. رواه أبو هريرة(4).
و روى أنه- صلّى اللّه عليه و سلم- قال: على المرء المسلم الطاعة فيما أحبّ و كره إلا أن يؤمر بمعصية فلا طاعة(5).
و أنّه- صلّى اللّه عليه و سلم- قال: لا يزال الناس بخير ما استقام لهم هداتهم و ولاتهم.
فالهداة: العلماء. و الولاة: الأمراء.

1- مجاهد 21- 104 ه- 642- 722 م: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى، مولى بنى مخزوم، تابعىّ، مفسّر، من أهل مكة أخذ التفسير عن ابن عباس. تنقل فى الأسفار و استقر فى الكوفة. عن الأعلام 5: 278.

2- قتادة ت 23 ه- 644 م: قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصارى الظفرى الأوسى، صحابى، بدرى من شجعانهم، كان من الرماة المشهورين. شهد المشاهد كلها مع رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم)، و كانت معه يوم الفتح راية بنى ظفر، و توفى بالمدينة و هو ابن 65 سنة. له سبعة أحاديث و هو أخو أبى سعيد الخدرى. الأعلام 5: 189 و الإصابة 5: 229 برقم: 7070.

3- أبو العالية ت 90 ه أو 93 أو 96 ه: أبو العالية الرياحى مولاهم- اسمه رفيع بن مهران، أدرک الجاهلية، و أسلم بعد وفاة الرسول، و قدم فى خلافة أبى بكر. كان عالما بالقرآن.
الإصابة: 7: 141 برقم: 829.

4- حديث أبى هريرة رواه الطبرانى فى الأوسط و فيه: عبد الله بن محمد بن عروة. و هو ضعيف جدا.

5- الحديث فى صحيح البخارى، الأحكام، حديث برقم: 6611 ورد بلفظ: ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع و لا طاعة و انظر: صحيح مسلم- الإمارة- برقم: 3423، و الترمذى، الجهاد. برقم: 1629، و النسائى،

البيعة. برقم: 4135، و أبو داود. الجهاد. برقم: 2257.

و فی حدیث أبی ذرّ قال: أوصانی رسول الله- صلّی اللّه علیه و سلم- بثلاث: أحدها أن أسمع و أطیع و لو لعبد مجدّع الأطراف(1).
و قال- صلّی اللّه علیه و سلم- فی حدیث آخر: و إن أمر علیکم عبد حبشی فاسمعوا و أطیعوا. و فی روایة: إلّا أن یأمر بمعصیة فلا سمع فیها و لا طاعة(2).

[لا يخرج العسكر بغير إذن إمامه إلا لضرورة]

و فى كتاب ابن الموّاز(3):
قلت: أ يغزى بغير إذن الإمام؟
قال: أمّا الجيوش و العساكر فلا خروج لهم إلّا بإذن الإمام و توليته عليهم. و قد أرخص لأهل الثغور ممّن يقرب العدوّ و يجدون الفرصة، و يبعد عنهم إذن الإمام فمهّل مالک فى ذلک، فأمّا سرية تخرج من عسكر فلا يجوز لهم ذلک.
قال عبد الملک(4): و هم عاصون خرجوا ببدعة و رغبوا عن

1- فى مسند أحمد 15: 523 برقم: 21321 عن أبى ذر قال: أوصانى خليلى عليه السلام بثلاثة:
اسمع و أطع و لو لعبد مجدّع الأطراف. و إذا صنعت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر أهل بيت من جيرانک فأصبهم منه بمعروف، و صلّ الصلاة لوقتها و إذا وجدت الإمام قد صلّى فقد أحرزت صلاتک و إلا فهى نافلة، و انظر رواية أخرى فى المسند 15: 549 برقم: 21393.

2- الحديث فى البخارى كتاب الأحكام 4 و مسلم فى كتاب الإمارة: 36، 37 و الترمذى: جهاد 28 و ابن ماجة: جهاد 39 ... و فى مسند أحمد 4: 69، 70 و 5: 381 و 6: 412- 413 جاء فى مسند أحمد 4: 70 عن يحيى بن حصين عن أمه قالت: سمعت رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) يخطب فى حجة الوداع يقول: يا أيها الناس، اتقوا الله و اسمعوا و أطيعوا و إن أمّر عليكم عبد حبشىّ مجدّع ما أقام فيكم كتاب الله عز و جل.

3- ابن المواز ت 281 ه- 894 م: محمد بن إبراهيم بن زياد المواز أبو عبد الله، فقيه مالكى، من أهل الإسكندرية، انتهت إليه رئاسة المذهب فى عصره. من تصانيفه: الموازية. لم تطبع عن الأعلام ...

4- هو عبد الملک بن حبيب، و يرد ذكره فى كتابنا باسم: ابن حبيب ... و قد تقدمت ترجمته.

سنّة رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- (س 44) و الأئمة بعده، و لا أرى أن ينفّلوا، و لا ينفّل إلّا من أطاع، و يؤدّبون على قدر أحوالهم بما يراه الإمام.
و قد نهى النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- أصحابه عن القتال و هم مستقبلو العدوّ، فقاتل رجل، فأمر- صلّى اللّه عليه و سلم- من ينادى: لا تحلّ الجنّة لعاص(1).
و سئل مالک فى العدوّ ينزل بساحل المسلمين أيقاتلونهم بغير إذن الإمام؟
فقال: إن قرب منهم استأذنوه، و إن بعد قاتلوهم و لا يتركوهم.
قال ابن حبيب: سمعت أهل العلم يقولون: إذا نهى الإمام عن القتال لأمر فيه مصلحة فلا يحلّ لأحد أن يقاتل إلّا أن يغشاهم العدوّ و تدهمهم منه قوة، فلا بأس بقتالهم قبل إذنه.
و روى أشهب(2) عن مالک فى الجيش بأرض العدوّ يحتاج بعضهم ..
فخرجت جماعة إلى قرية و أخرى كذلک فربما قتل بعضهم أو أسر؟
قال: لا ينبغى أن يخرجوا إلا فى كنف و منعة و ما جاؤوا به فلا ينبغى أن يبيعوه.
قيل: فإنّا نعتلف و لا نستأذن الإمام.

1- فى شرح السير الكبير 1: 63 برقم: 173. قوله« لا تحلّ الجنّة لعاص» أمر رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) بأن ينادى به يوم خيبر حين نهاهم عن القتال فقيل: استشهد فلان. فقال عليه السلام: أبعد ما نهيت عن القتال؟ قالوا: نعم. فقال: لا تحلّ الجنّة لعاص.

2- أشهب 145- 204 ه- 762- 819 م: أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسى العامرى الجعدى أبو عمرو، فقيه الديار المصرية فى عصره، كان صاحب الإمام مالک. قال الشافعىّ:
ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لو لا طيش فيه. قيل: اسمه مسكين. و أشهب لقب له. مات بمصر. تهذيب التهذيب 1: 359 و الأعلام 1: 333.

قال: لو كان بإذنه كان أحبّ إليّ إن استطعتم، و لكنّ الناس أكثر من ذلک، فإن خرجتم ففی کثرة و عدّة(1).

[وجوب المشاورة و الطاعة]

فلذلک کلّه یجب طاعة (م 22) الأمیر فیما یأمر به و ینهی عنه و أن لا ینازع، قال الله تعالی: وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِیحُکُمْ(2) و قد أمر عمرو بن العاص(3) جیشه فی عهد رسول الله صلّی اللّه علیه و سلم أن لا یوقدوا نارا فی لیلة باردة، فلمّا قدموا شکوا ذلک، فقال عمرو: کان فی أصحابی قلّة فکرهت أن یراهم (س 45) العدوّ. فأعجب ذلک النبیّ صلّی اللّه علیه و سلم.
و إذا أمرهم الأمیر بأمر یخاف فیه الهلکة و أجمعوا علی أنه خطأ فلهم أن یسألوه عنه و یناظروه علیه، فإمّا أن یبین لهم صوابه فیرجعوا إلیه أو یبین له الزلل فیرجع هو عنه.
و قد رجع الصحابة إلی أبی بکر الصدّیق(4) فی قتال أهل الردّة

1- انظر شرح السیر الکبیر 1: 174 برقم: 186 إلی 195.

2- سورة الأنفال 8: 46 و انظر أحکام الطاعة فی شرح السیر الکبیر 1: 165 و ما بعدها و فی الأحکام السلطانیة: 48.

3- عمرو بن العاص 50 ق. ه- 43 ه 574- 664 م: عمرو بن العاص بن وائل السهمی القرشی، أبو عبد الله، فاتح مصر، و أحد عظماء العرب و دهاتهم و أولی الرأی و الحزم و المکیدة فیهم، کان فی الجاهلیة من الأشداء علی الإسلام، و أسلم فی هدنة الحدیبیة و ولاه النبی(صلّی اللّه علیه و سلم) مرة جیش« ذات السلاسل» و أمدّه بأبی بکر و عمر، ثم استعمله علی عمان، ثم کان من أمراء الجیوش فی الجهاد بالشام فی زمن عمر، و هو الذی افتتح قنسرین و صالح أهل حلب و منبج و أنطاکیة و ولاه عمر فلسطین ثم مصر فافتتحها و عزله عثمان. و لما کانت الفتنة بین علیّ و معاویة کان عمرو مع معاویة، فولاه معاویة علی مصر سنة 38 ه و أطلق له خراجها ست سنین فجمع أموالا طائلة و توفی بالفسطاط، الإصابة 5: 2 برقم: 5177 و الأعلام 5: 79.

4- أبو بکر 51 ق ه- 13 ه 573- 634 م: أبو بکر الصدیق، عبد الله بن عثمان(أبی قحافة) بن عامر القرشی، أول الخلفاء الراشدین و أول من آمن برسول الله(صلّی اللّه علیه و سلم) من الرجال- - ولد بمکة و نشأ سیدا من سادات قریش و غنیا و عالما بالأنساب. بویع بالخلافة یوم وفاة

النبی(صلّی اللّه علیه و سلم) سنة 11 ه فحارب المرتدین و افتتحت فی أیامه بلاد الشام و قسم کبیر من العراق، و توفی بالمدینة، عن الأعلام 4: 102.

و إنقاذ جيش أسامة(1). و إذا اختلفوا فرأى بعضهم رأى الأمير فليرجع إليه من خالفهم، و ليتّهم رأى نفسه حتى يرى الأمر البيّن.
و إذا نادى منادى الأمير: يكون فلان و جنده فى الميمنة، و فلان و جنده فى الميسرة و كذلک فى المقدّمة و فى السّاقة فلا يتعدّ أمره، و من تعدّاه من غير عذر فللإمام تأديبه إذا رأى ذلک نظرا و بقدر ما يرى من حاله و بحسب زمانه و مكانه و دواعى الترغيب و الترهيب(2).
و إذا كان رجل فى العسكر و سمع النداء: السلاح السلاح فليلبس سلاحه و لا يذهب نحو الصوت و لكن إلى الأمير ليسمع أمره و نهيه، إلّا أن يخاف العدوّ على الموضع الذى ضربوا فيه فليقصد الموضع. و إن كان النداء ليلا فليمض إلى مضرب الإمام.
و إذا نادى منادى الإمام: الصلاة جامعة، فلا يتخلّف أحد إلّا من يحفظ الرّحال: رجل أو اثنان فى كل رحل.

1- أسامة 7 ق. ه- 54 ه 615- 674 م: أسامة بن زيد بن حارثة من كنانة عوف، أبو محمد، صحابى جليل، ولد بمكة و نشأ على الإسلام لأن أباه كان أول الناس إسلاما، و كان رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) يحبه حبا جما، و ينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن و الحسين، و هاجر مع النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) إلى المدينة، و أمّره رسول الله قبل أن يبلغ العشرين من عمره فكان مظفرا موفقا، و لما توفى رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) رحل أسامة إلى وادى القرى فسكنه ثم انتقل إلى دمشق فى أيام معاوية، فسكن المزة و عاد بعد ذلک إلى المدينة فأقام إلى أن مات بالجرف. و فى تاريخ ابن عساكر أن رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) استعمل أسامة على جيش فيه أبو بكر و عمر، الإصابة 1: 29 برقم: 89 و الأعلام 1: 291.

2- انظر النص فى شرح السير الكبير 1: 168 برقم: 172.

و إن نادى الزموا السّاقة لزمها كلّ امرئ إلا مستضعف(1).
و إن نادى منادى الإمام: من أراد العلف فليخرج تحت لواء فلان، فلا ينبغى أن يتعدّى ذلک و لا يفارقون اللواء مفارقة يغيب (س 46) فيها بعضهم عن بعض(2).
و إذا بعث سرية و قال: لا تخرج إلا ثلاثمئة فلا ينبغى أن يتجاوز ذلک، فإن خرج أكثر فغنموا فللإمام منع الذين تعدّوا من سهامهم أدبا لهم إن ظهر له ذلک(3).
فهذا كلّه مما يجب علمه على الخاصة و العامة.

1- انظر الأحكام فى شرح السير الكبير 1: 169 و ما بعدها.

2- شرح السير الكبير 1: 177 و ما بعدها.

3- شرح السير الكبير 1: 179 برقم: 197.

ص: 124

ص: 125

الباب الثامن فى حكم ولاة الثغور و ذكر الصّوائف

اشارة

ص: 126

ص: 127
فی حکم ولاة الثغور و ذکر الصّوائف

[تخير رجال الثغور و مدهم بما يحتاجونه]

ينبغى للإمام أن يتخيّر للثّغور رجالا من أهل الورع و الصّرامة، شجعان النفوس، و إن لم يكونوا يحسنون الفروسيّة، ذوى سياسة و كتمان لأسرارهم، و صبر و مداراة، مجدّين ليس لشىء من الهزل إليهم طريق، ذوى أنفة و حيل و قوّة على الأسفار و الحركة، ما ئلين إلى خشونة العيش، علماء بأحكام الجهاد و المصالحة و أحكام الفىء و الخمس و المغانم و الأنفال.

و يجرى على والى كلّ ثغر ما يقوم به و بأعوانه و دوابّه على التوسّع فى ذلک. و يتفقّد تحصين الثّغور و بنيانها و إدرار الأرزاق على الأدلّاء و الجواسيس (م 24) و صلاتهم.

[تكثير رجال الثغور و وجوب تبديل الجند كل ستة أشهر]

و يكثّر بالجند فى كلّ ثغر من أهله و سكّانه، و يأخذهم بتعلّم العمل بالسّلاح من السيف و الرّمح و الرّمى و الفروسية و الجرى رجّالة، و استجادة الخيل و اتخاذها و تخفيف سروجها و لجمها، و أن لا يكون فيها فضّة و لا ذهب أصلا، لكن بما لا بدّ منه من الحديد لئلا يثقلها ذلک عند الجرى.
و ليكن عند أمير كلّ ثغر جند مندوبون مدالون فى كلّ ستة أشهر بغيرهم يقوى بهم على (س 47) من تصعّب و تمنّع من إنفاذ الحقّ عليه من أهل ثغره، فقد كان مع رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم المهاجرون الأوّلون و الأوس و الخزرج يتبارون فى الطاعة، و يؤخذ الحقّ من بعضهم لبعض. و يكون

لأولئک المندوبين منازل ينزلونها معدّة لهم لئلا ينزلوا على أهل البلدة فيثقلوا عليهم، و تزاح عللهم فى أرزاقهم لئلا يتعدّوا على مال أحد و لا على طعامه و لا على ثماره و لا على ما شيته.
و ليكن وكد الأمير أن لا يغفل منع من أراد إيقاع شرّ أو عصبيّة بين الطّوائف المذكورة، بين الجند البلدىّ و الجند المندوب فيعاقبه و يخرجه عن البلد و لا بدّ. و لا يميل بعصبيّة إلى طائفة دون أخرى، فهذه طريقة البقاء و السّلامة، و فى تعدّيها الدّمار الشّامل و الهلاک العاجل.
و يكثّر فى كل ثغر الأدلّاء الثّقات، و لا يكونوا إلا مسلمين و لا بدّ.

[الاهتمام بالتجسس و طرد الجنود غير الأكفاء]

و يكثّر من الجواسيس، و إن أمكن أن لا يكونوا إلّا كفارا فهو أولى مثل تجار اليهود و مسافرى النّصارى لأنّها مرتبة غدر لا عزّ فيها فينبغى أن يصان المسلمون عنها، و لكن يجرى عليهم أرزاقا يغنون بها عن التصرّف للمعاش فى غير ذلک الطريق، و لا يسقط عنهم الجزية، و يستظهر فى معرفة صدقهم من كذبهم بأن يكونوا جماعة كبيرة لا يعرف بعضهم بعضا، و هذا كلّه بخلاف الأدلاء، لأنهم- نعنى الأدلاء- ينبغى أن يكونوا مكرّمين لأنّهم يشاورون فى العظائم، و ينبغى أن تجرى عليهم الأرزاق الواسعة، و يكون الجند كله (س 48) مزاح العلل، متى دعوا النّفير أسرعوا للوقت و لم يترددوا، و يعترض والى الثّغر جنده إن أمكن فى كلّ جمعة، و إلّا مرّتين فى الشهر، و يعترض سلاحهم و خيلهم، فمن رآه مقصّرا فى استجادة الفرس و السّلاح حرمه عطاءه، فإن ازدجر و إلّا أسقطه و ألحق غيره مكانه، و من رآه مهتبلا لفرسه و سلاحه أكرمه و أعانه على ذلک.

و ينبغى أن يطرح من الجند كلّ مهذار و كلّ محرّک لأطماعهم و كلّ مستزيد لا يقنع و كلّ جبان.

و ينبغى أن يجتنبوا اللذات جملة و إن كانت مباحة، و أمّا الفواحش فلا تباح لأحد أصلا، لأنّه لا سبيل إلى الانتفاع فى الحرب بكلّ مائل إلى اللذّات و الانخراق فى الملابس و الحلى، و واحد من أهل البصائر و الجد خير من ألف من أهل البطالة و الصّلف، بل كلّما كثرت هذه الطبقة الخسيسة كانوا أضّر على من استنصر بهم لأنّهم مؤونة بلا معونة مائلين إلى كلّ طمع.

و يجعل على كلّ ثمانية من الجند ناظرا و يعقد له عقدة، و على كلّ خمسة نظّار عريفا و يعقد له بندا (م 25) و على كلّ خمسة عرفاء نقيبا و يعقد له لواء، و على كلّ خمسة نقباء قائدا و يعقد له علما، و على كلّ خمسة قوّاد أميرا و يعقد له راية إن كثر الجند.
و يرتّب لهم أرزاقا معلومة لكلّ طائفة على قدر الكفاية لا يطمع أحد منهم أن يزاد فيها فلس فما فوقه، فمن أبلى منهم و أراد الأمير أو الإمام الإحسان إليه وصله صلة غير مرتبة، لأنّه إن تعدّى (س 49) هذا العمل انفتحت له أبواب الطّمع التى لا يقدر فاتحها على غلقها أبدا بل يؤدى ضمانا و لا بدّ إلى الهلكة و هلاک الناحية التى هم فيها و هلاكهم.
و إنّما رتّبنا الرتبة التى ذكرنا لأنّ العدد إذا كثر لم يقدر الأمير، فكيف الإمام، على مباشرتهم و لقائهم بنفسه، لكن يأمر الإمام أو الأمير الواسع النظر أمراءه، و يأمر كلّ أمير منهم قوّاده، و يأمر كلّ قائد منهم نقباءه، و يأمر كلّ نقيب منهم عرفاءه، و يأمر كلّ عريف منهم نظّاره، و يأمر كل ناظر منهم فرسانه و رجّالته، فيتمّ كلّ أمر- و إن عظم- من ساعته.
و قد كان للمسلمين فى أيّام رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم عرفاء و نقباء و رؤساء

فيرفعون إليه عليه السلام أمور من إلى أيديهم، و يتولّون جمعهم إذا احتيج إليهم.
و لا يفتر والى الثغر فى الغزو و مداولة جنده فى ذلک، و كلّ ما غنم خمّسه، فعزل الخمس و رفعه إلى الإمام ليضعه حيث أمر الله تعالى فى كتابه، ثمّ ينفّل من رأى تنفيله على حسب ما فعل رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم لا يتعدّى شيئا صحّ عنه عليه السّلام فى ذلک. و يقسم الغنيمة حيث غنمت، فمن وقع فى سهمه شىء دفع إليه و كلّف حمله.

[واجبات الإمام فى فتح البلاد و الصوائف]

و ليجتهد فى افتتاح البلاد، فكلّ بلد فتحه فليقسمه على مفتتحيه، فإن رأى أن يستطيب نفوسهم ليتركوا الأرض للمسلمين فلا بأس بذلك، فمن طابت نفسه عن سهمه فله أجره، و من أبى أعطاه حصّته من الأرض المفتتحة (س 50) لا يحلّ غير ذلك أصلا و إن كان فى المال سعة فليدخل الأمير معه دوابّ للجرحى و المرضى.

و واجب على الإمام أن لا يغفل الصّوائف فى كلّ عام، ففيها قمع العدوّ و عزّ الإسلام، و حسم طمع ولاة الثّغور عن التغلّب و التعزّز الذى هو سبب الدمار و البوار.

و أمر الصّوائف كما ذكرنا فى ولاة الثغر سواء سواء إلا أنّهم تسقط ولاية ولاتها برجوعهم عنها.

و ليدخل مع أمير الصّائفة الأطباء و أهل صناعة الجير و البناؤون و النجاجرة لآلات القتال و فتح الحصون و تسهيل الطّرق للعسكر و الحدادون و السلاح من السيوف و التّراس و المطارد و القسىّ و النّبل و غير ذلك ممّا يحتاج و يفتقر إليه.

ص: 131

الباب التاسع فى وصايا أمراء الجيوش

اشارة

ص: 132

ص: 133
فى وصايا أمراء الجيوش

[كتاب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح]

كتب عمر بن عبد العزيز(1) رضي الله عنه إلى الجرّاح(2):
إنّه بلغنى أنّ رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم كان (م 26) إذا بعث جيشا أو سريّة قال:
اغزوا باسم الله، و فى سبيل الله تقاتلون من كفر بالله، لا تغلّوا و لا تغدروا و لا تمثّلوا، و تقتلوا امرأة و لا وليدا. فإذا بعثت جيشا أو سريّة فمرهم بذلك(3).

[وصية الصديق ليزيد بن أبى سفيان]

و لمّا وجّه أبو بكر الصدّيق(4) رضى الله عنه يزيد بن أبى سفيان(5) إلى الشّام شيّعه راجلا، فقال له يزيد: إمّا أنّ تركب و إمّا أن

1- عمر بن عبد العزيز(61- 101 ه- 681- 720 م): ابن مروان بن الحكم الأموى القرشى أبو حفص، الخليفة الصالح، ولد و نشأ بالمدينة، و ولى إمارتها للوليد ثم استوزره سليمان بالشام، و ولى الخلافة بعهد من سليمان سنة 99 ه فبويع فى مسجد دمشق و لم تطل مدته إذ اقتصرت على سنتين و نصف. و أخباره فى عدله و حسن سياسته كثيرة. عن الأعلام 5: 50.

2- الجراح بن عبد الله الحكمى: الأمير، أبو عقبة، ولى البصرة، و له ترجمة فى تاريخ ابن عساكر، و كان من صلحاء الأمراء و مجاهديهم، توفى فى حدود العشرين و مئة عن الوافى بالوفيات ج 11.

3- الوصية فى العقد الفريد 1: 128.

4- سبقت ترجمته.

5- يزيد بن أبى سفيان ت 18 ه 639 م: يزيد بن صخر(أبى سفيان) بن حرب، الأموىّ، أبو خالد، أمير صحابى، من رجالات بنى أمية شجاعة و حزما، أسلم يوم فتح مكة، و استعمله النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) على صدقات بنى فراس و كانوا أخواله، ثم استعمله أبو بكر على جيش و سيّره إلى الشام، و خرج معه يشيّعه راجلا، و لما استخلف عمر ولّاه فلسطين، ثم ولى دمشق و خراجها و افتتح قيسارية، و هو أخو معاوية، له وقائع كثيرة و أثر محمود فى فتوح البلاد الشامية. توفى بدمشق بالطاعون و هو على الولاية. الأعلام 8: 184 و انظر الإصابة 6: 341 برقم: 9266.

أنزل. فقال: ما أنت بنازل و لا أنا براكب. إنّی احتسبت خطای هذه فی سبیل الله، ثم قال: إنّک (س 51) ستجد قوما حبسوا أنفسهم للّه فذرهم و ما حبسوا أنفسهم له،- یعنی الرهبان- و ستجد قوما فحصوا عن أوساط رؤوسهم، فاضرب ما فحصوا عنه بالسّیف.
ثم قال له: إنّی أوصیک بعشر:
لا تقتلنّ امرأة و لا هرما و لا ولیدا و لا تقطعنّ شجرا مثمرا و لا تعقرنّ شاة و لا بعیرا إلّا ما أکلتم و لا تحرقنّ نخلا و لا تخربنّ عامرا و لا تغلّ و لا تجبن(1).

[وصية الصديق لخالد بن الوليد]

و قال أبو بكر رضى الله عنه لخالد بن الوليد(2) و قد وجّهه لحرب(3):
سر على بركة الله، و إذا دخلت أرض العدوّ فكن بعيدا من الحملة فإنّى لا آمن عليک الجولة، و استظهر بالزّاد، و سر بالأدلّاء، و لا تقاتل بمجروح

1- وصية أبى بكر فى العقد الفريد 1: 128، 129 و آخرها و لا تبخس بدلا من و لا تجبن.

2- خالد بن الوليد(ت 21 ه 642 م): ابن المغيرة المخزومى القرشى سيف الله، الفاتح الكبير، الصحابى، كان من أشراف قريش فى الجاهلية، يلى أعنة الخيل، و شهد مع مشركيهم حروب الإسلام بل عمرة الحديبية، و أسلم قبل الفتح(فتح مكة) هو و عمرو بن العاص سنة 7 ه، فسرّ به رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) و ولاه الخيل، و لما ولى أبو بكر وجّهه لقتال مسيلمة، و من ارتد من أعراب نجد، ثم سيّره إلى العراق سنة 12 ه ففتح الحيرة و جانبا عظيما منه، و حوّله إلى الشام و جعله أمير من فيها من الأمراء و لما ولى عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام و ولّى أبا عبيدة بن الجراح، فلم يثن ذلک من عزمه، و استمر يقاتل بين يدى أبى عبيدة إلى أن تمّ لهما الفتح سنة 14 ه فدعاه عمر ليوليه فأبى و مات بحمص فى سورية. كان مظفرا خطيبا فصيحا يشبه عمر بن الخطاب فى خلقه و صفاته، قال أبو بكر: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد. روى له المحدثّون 18 حديثا و أخباره كثيرة. الأعلام 2: 300.

3- فى العقد 1: 129: حين وجهه لقتال أهل الردة.

فإنّ بعضه ليس منه، و احترس من البيات فإنّ فى العرب غرة. و أقلل من الكلام فإنّما لک ما وعى عنک، و اقبل من الناس علانيتهم و كلهم إلى الله فى سريرتهم. و أستودعک الله الذى لا تضيع و دائعه(1).

[كتاب خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس]

فكتب خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس مع ابن بقيلة الغسّانى(2):
الحمد لله الذى فضّ حزمتكم، و فرّق جمعكم و أوهى بأسكم، و سلب ملككم و أذلّ عزّكم، فإذا أتاكم كتابى هذا فابعثوا إلىّ بالرّهن و اعتقدوا منّا الذّمّة، و أجيبوا إلى الجزية و إلّا و الله الذى لا إله إلا هو لأسيرنّ إليكم بقوم يحبّون الموت كما تحبّون الحياة، و يرغبون فى الآخرة كما ترغبون فى الدنيا(3).

1- ذكرت هذه الوصيّة فى عيون الأخبار 1: 108، 109 على أنها مما أوصى به أبو بكر يزيد بن أبى سفيان حين وجهه إلى الشام، و زاد فيها- أى ابن قتيبة- بعد قوله:« ما وعى عنك» ما يلى:
و إذا أتاك كتابى فأنفذه فإنما أعمل على حسب إنفاذه، فإذا قدمت عليك و فود العجم فأنزلهم معظم عسكرك و أسبغ عليهم النفقة و امنع الناس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين، و لا تلجنّ فى عقوبة فإن أدناها وجع و لا تسرعن إليها و أنت تكتفى بغيرها كما زاد بعد قوله« و كلهم لله فى سريرتهم- سرائرهم» قوله: و لا تجّسس عسكرك فتفضحه و لا تهمله فتفسده. و ذكرت فى العقد الفريد 1: 129 كما وردت فى تحفة الأنفس.

2- ابن بقيلة الغسانى ت 12 ه- 633 م: عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة الغسانى، معمّر، من الدهاة، من أهل الحيرة(فى العراق) له شعر و أخبار، يقال: إنه بانى قصر الحيرة، عاش زمنا طويلا فى الجاهلية و أدرک الإسلام، و ظل على النصرانية، و اجتمع به خالد بن الوليد فى الحيرة. و وقع اسمه فى بعض المصادر(كالعقد) ابن نفيلة و هو خطأ من النساخ. ففى أمالى المرتضى: كان بقيلة يدعى ثعلبة أبا الحارث، و خرج فى بردين أخضرين فقيل له: ما أنت إلا بقيلة. عن الأعلام 4: 153.

3- نص رسالة خالد فى العقد الفريد 1: 129، 130.

ص: 136

[قول لعمر بن الخطاب عند عقد الألوية]

و كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول عند عقد الألوية:
بسم الله الرحمن الرحيم و بالله و على عون/ (س 52) الله امضوا بتأييد الله و النصر و لزوم الحّق و الصبر، فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله و لا تعتدوا إن الله لا يحبّ المعتدين، و لا تجبنوا عند اللقاء، و لا تمثّلوا عند القدرة، و لا تسرفوا عند الظّهور، و لا تقتلوا امرأة و لا هرما و لا وليدا، و توقّوا قتلهم إذا التقى الزحفان(1) و عند شنّ الغارات(2).

[كتاب عمر بن الخطاب إلى سعد]

و كتب عمر رضى الله عنه إلى سعد بن أبى وقّاص(3) و من معه من الأجناد:
أما بعد، فإنّنى آمرک و من معک بتقوى الله على كلّ حال، فإنّ تقوى الله أفضل العدّة على العدوّ، و أقوى المكيدة فى الحرب. و آمرک و من معک، أن تكونوا أشدّ احتراسا من المعاصى من احتراسكم من عدوّكم(4)، فإنّ ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوّهم، و إنّما ينصر المسلمون على عدوّهم

1- زاد فى عيون الأخبار 1: 107، 108 و عند حمّة النهضات- أى شدتها و معظمها.

2- زاد فى عيون الأخبار 1: 106: و لا تغلّوا عند الغنائم، و نزّهوا الجهاد عن عرض الدنيا و أبشروا بالرّياح فى البيع الذى بايعتم به و ذلک هو الفوز العظيم.
و وصية عمر هذه فى عيون الأخبار: 107، 108 و العقد الفريد 1: 128.

3- سعد بن أبى وقاص(23 ق. ه- 55 ه- 600- 675 م): أبو إسحاق، الصحابى الأمير، القرشى الزهرى، فاتح العراق و مدائن كسرى، و أحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، و أول من رمى بسهم فى سبيل الله و أحد العشرة المبشرين بالجنة، و يقال له: فارس الإسلام. أسلم و هو ابن سبع عشرة سنة و شهد بدرا و افتتح القادسية، ولى الكوفة لعمر و أمره عثمان زمنا ثم عزله، فعاد إلى المدينة و فقد بصره. و توفى بها. له فى كتب الحديث 271 حديثا انظر الأعلام 3: 87 و تهذيب التهذيب: 3: 483 و الإصابة 3: 83 برقم: 3586.

4- فى العقد 1: 130 منكم من عدوكم.

بمعصية عدوّهم لله(1)، و لو لا ذلک لم تکن لنا بهم قوّة لأنّ عددنا لیس کعددهم و لا عدّتنا کعدّتهم، فإن استوینا فی المعصیة کان لهم/ (م 27) الفضل علینا فی القوة، و إن لم(2) ننصر علیهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا.
و اعلموا أنّ علیکم فی سفرکم حفظة من الله یعلمون ما تفعلون فاستحیوا منهم، و لا تعملوا بمعاصی الله و أنتم فی سبیل الله، و لا تقولوا إنّ عدوّنا شرّ منّا فلن یسلّطوا(3) علینا و إن أسأنا، فربّ قوم(4) سلّط علیهم شرّ منهم، کما سلّط علی بنی إسرائیل لمّا عملوا بمعاصی الله کفرة المجوس فَجاسُوا خِلالَ الدِّیارِ وَ کانَ وَعْداً مَفْعُولاً(5). فسلوا الله العون علی أنفسکم کما تسألونه النصر علی عدوّکم، أسأل الله تعالی ذلک لنا/ (س 53) و لکم.
و ترفّق بالمسلمین فی مسیرهم، و لا تجشّمهم سیرا یتعبهم، و لا تقصّر بهم عن منزل یرفق بهم حتّی یبلغوا عدوّهم و السیر لم ینقص قوّتهم، فإنّهم سائرون إلی عدوّ مقیم حامی الأنفس و الکراع.
و أقم بمن معک فی کل جمعة یوما و لیلة، یکن ذلک لهم راحة، یجمّون(6) فیها أنفسهم و یرمون أسلحتهم و أمتعتهم، و نحّ منازلهم عن قری أهل

1- فی العقد 1: 130 و إنما ینصر المسلمون بمعصیة عدوهم لله.

2- فی العقد: و إن لا.

3- فی العقد: فلن یسلّط.

4- فی العقد: قد سلّط.

5- سورة الإسراء 17/ 5.

6- یجمّون: یریحون و فی العقد: یحیون.

الصلح و الذمّة فلا يدخلها من أصحابک إلا من تثق بدينه، و لا يرزؤوا(1) واحدا من أهلها شيئا فإنّ لهم حرمة و ذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصّبر عليها، فكما صبروا لكم ففوا لهم(2)، و لا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح، و إذا وطئت أدنى أرض العدو فأذک العيون بينک و بينهم و لا يخف عليک أمرهم و ليكن عندک من العرب أو من أهل الأرض من تطمئنّ إلى نصحه و صدقه، فإنّ الكذوب لا ينفعک خبره و إن صدق فى بعضه، و الغاشّ عين عليک و ليس عينا لک. و ليكن منک عند دنوّک من أرض العدوّ أن تكثر الطلائع و تبثّ السرايا بينک و بينهم فتقطع السرايا أمدادهم و مرافقهم(3)، و تتبع الطلائع عوراتهم.
و انتق للطلائع أهل الرأي و البأس من أصحابک و تخيّر لهم سوابق الخيل، فإن لقوا عدوّک(4) كان أول من يلقاهم أهل القوّة(5)، و اجعل أمر السرايا إلى أهل الاجتهاد و الصبر على الجلاد، و لا تخصّ بها أحدا بهوى فيضيع من رأيک و أمرک أكثر مما حابيت به أهل خاصّتک. و لا تبعثنّ طليعة و لا سريّة فى وجه/ (س 54) تتخوّف فيه عليها(6) ضيعة و نكاية، فإذا عاينت العدوّ فاضمم إليک أقاصيک و طلائعک و سراياک، و اجمع إليک مكيدتک و قوّتک، ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهک قتال، حتّى تبصر عورة عدوّک و مقاتله، و تعرف الأرض كلّها كمعرفة أهلها(7)،

1- فى العقد: و لا يرزأ أحد من الرزء و هو المصيبة.

2- فى العقد: فما صبروا لكم فتولّوهم خيرا.

3- فى العقد: و موافقهم؟!

4- فى العقد: عدوا.

5- فى العقد: كان أول ما تلقاهم القوة من رأيک.

6- فى العقد: تتخوف عليها فيه غلبة أو ضيعة أو نكاية.

7- فى العقد: كمعرفة أهلها بها.

فتصنع بعدوّک کصنیعه بک(1)، ثم أذک أحراسک علی عسکرک و تحفّظ من البیات جهدک(2)، و کلّ أسیر أتیت به لیس له عهد فاضرب عنقه(3) لترهب بذلک عدوّ الله و عدوّک، و الله ولیّ أمرک و من معک و ولیّ النصر لکم علی عدوّکم و هو(4) المستعان(5).

[خبر معاوية مع عبد الرحمن بن خالد و سفيان بن عوف]

قال العتبى(6):
جاشت الروم و غزوا المسلمين برا و بحرا، فاستعمل معاوية(7) على

1- فى العقد: فتصنع بعدوک کصنعه بک.

2- فى العقد: و تيقظ من البيات.

3- فى العقد: و لا تؤتى بأسير ليس له عقد؟ إلا ضربت عنقه.

4- فى العقد: و الله المستعان.

5- نص کتاب عمر فى العقد 1: 130، 131، 132.

6- العتبّى(ت 228 ه- 842 م): محمد بن عبيد الله بن عمرو أبو عبد الرحمن الأموى، من بنى عتبة بن أبى سفيان، أديب، کثير الأخبار، حسن الشعر من أهل البصرة، و وفاته فيها، له تصانيف منها: أشعار النساء أحببن ثم أبغضن و الأخلاق و أشعار الأعاريب و الخيل قال ابن النديم: کان العتبى و أبوه سيدين أديبين فصيحين. و قال ابن قتيبة: الأغلب عليه الأخبار و أکثر أخباره عن بنى أمية، و هو غير العتبى المؤرخ محمد بن عبد الجبار. عن الأعلام 6: 258، و قد نقل عنه صاحب العقد فى مواضع عدة.

7- معاوية 20 ق. ه- 60 ه- 603- 680 م: معاوية بن أبى سفيان(صخر بن حرب) القرشى الأموى، مؤسس الدولة الأموية فى الشام، و أحد دهاة العرب المتميزين الکبار، کان حليما فصيحا و قورا ولد بمکة و أسلم يوم الفتح(8 ه) و کان يعرف القراءة و الحساب فجعله رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) فى کتّابه. ولّاه أبو بکر قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبى سفيان فکان على مقدمته فى فتح مدينة صيداء و عرقة و جبيل و بيروت و جعله عمر واليا على الأردن ثم ولّاه دمشق بعد موت يزيد بن أبى سفيان ثم جمع له عثمان الديار الشامية کلها و جعل ولاتها تابعين له.
بعد مقتل عثمان بن عفان اختلف معاوية مع على بن أبى طالب، و قال أهل الشام بإمامة معاوية. و بويع خليفة للمسلمين بعد مقتل علىّ و سمّى ذلک العام(40 ه) بعام الجماعة. دامت له الخلافة إلى أن بلغ الشيخوخة فعهد

بها إلى ابنه يزيد و مات فى دمشق. و تمت فى أيامه فتوحات كثيرة. عن الأعلام 7: 261- الإصابة 6: 112 برقم: 8062.

الصّائفة(1) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد(2) فلمّا كتب له عهده قال: ما أنت صانع بعهدى؟ قال: أتخذه إماما لا أعصيه. قال: اردد إلىّ عهدى.
ثمّ بعث إلى سفيان/ (م 28) بن عوف الغامدى(3) فكتب له عهده ثم قال: ما أنت صانع بعهدى؟ قال: أتخذه إماما ما أمّ الحزم، فإذا خالفه خالفته. فقال معاوية: هذا الذى لا يكفكف بكفله من عجلة و لا يدفع بظهره من خور، و لا يضرب على الأمور ضرب الجمل الثفال(4).

[وصية عبد الملک لأحد الأمراء]

و أوصى عبد الملک بن مروان(5) أميرا سيّره إلى أرض الرّوم فقال: أنت تاجر الله لعباده فكن كالمقارض الكيّس الذى إن وجد ربحا أتجر

1- الصائفة: الغزو فى الصيف.

2- عبد الرحمن بن خالد(ت 46 ه- 666 م): ابن الوليد. كان يؤمر على غزو الروم أيام معاوية و شهد معه« صفين» و كان عظيم القدر عند أهل الشام، و ذكر أن ابن أثال الطبيب قد قتله بالسم بحمص. الإصابة 5: 68 برقم: 6203.

3- ورد اسمه فى النسختين س و م: العامرى و قد صوّبناه من الإصابة و الأعلام و هو سفيان بن عوف الأسلمى أو الغامدى- كما ذكر فى الإصابة- صحب النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) و كان له بأس و نجدة و سخاء. كان مع أبى عبيدة بن الجراح بالشام حين افتتحت. ولّاه معاوية الصائفتين فظفر و اشتهر، ثم سيّره بجيش إلى بلاد الروم فأوغل فيها إلى أن بلغ أبواب القسطنطينية فتوفى فى مكان يسمى الزنداق. نعاه معاوية إلى الأمصار و الأجناد فبكى الناس عليه فى كل مسجد.
و ذكره فى الأعلام باسم سفيان بن عوف الأزدى الغامدى. الإصابة 3: 106 برقم: 3316 و الأعلام 3: 105.

4- الخبر فى العقد الفريد 1: 132 و الثفال: البطىء.

5- عبد الملک بن مروان(26- 86 ه- 646- 705 م): عبد الملک بن مروان بن الحكم الأموى القرشى، أبو الوليد، من أعاظم الخلفاء و دهاتهم، نشأ فى المدينة فقيها واسع العلم متعبدا ناسكا، استعمله معاوية على المدينة و هو ابن 16 سنة. انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة 65 ه فضبط أمورها، و اجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب و عبد الله ابنى الزبير.
و له مآثر كثيرة فى الإسلام. و كان صاحب علم و حديث. الأعلام 4: 165.

و إلّا تحفّظ برأس المال، و لا تطلب الغنيمة حتى تحوز(1) السلامة و كن من احتيالک على عدوّک أشدّ حذرا من احتيال عدوّک عليک(2).
و كان/ (س 55) زياد(3) يقول لقوّاده:
تجنّبوا اثنتين لا تقاتلوا فيهما العدوّ: الشتاء، و بطون الأودية(4).

[خبر الوليد مع عباد بن زياد]

و أغزى الوليد بن عبد الملک(5) جيشا فى الشتاء فغنموا و سلموا فقال لعبّاد(6): يا أبا حرب، أين رأى زياد من رأينا؟ قال: يا أمير المؤمنين قد أخطأت و ليس كلّ عورة تصاب(7).

1- فى العقد: حتى تحرز.

2- الخبر فى العقد: 1: 132.

3- زياد(1- 53 ه- 622- 673 م): زياد ابن أبيه، أمير، من الدهاة القادة الفاتحين، الولاة، من أهل الطائف، أدرک النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) و لم يره، و أسلم فى عهد أبى بكر، و كان كاتبا للمغيرة بن شعبة ثم لأبى موسى الأشعرى أيام إمرته على البصرة، ثم ولاه على بن أبى طالب إمرة فارس، و لما توفى على امتنع زياد على معاوية و تحصن فى قلاع فارس. و تبين لمعاوية أن زيادا أخوه من أبيه(أبى سفيان) فكتب إليه بذلک، فقدم زياد عليه و ألحقه معاوية بنسبه سنة 44 ه فكان عضده الأقوى و ولّاه البصرة و الكوفة و سائر العراق. فلم يزل فى ولايته إلى أن توفى.
و قام بأعمال جليلة. عن الأعلام 3: 53، و الإصابة 3: 42 برقم: 2981.

4- الخبر فى العقد 1: 132.

5- الوليد بن عبد الملک 48- 96 ه- 668- 715 م: ابن مروان، أبو العباس، ولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 86 ه، فوجه القواد لفتح البلاد، و امتدت فى زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند فتركستان فأطراف الصين شرقا، و كان و لوعا بالبناء و العمران و حفر الآبار و إصلاح الطرق، و هو أول من أنشأ المستشفيات فى الإسلام، و بنى المسجد الأقصى فى القدس و مسجد دمشق الكبير المعروف بالجامع الأموى و كانت وفاته بدير مرّان من غوطة دمشق.
و دفن بدمشق، عن الأعلام 8: 121.

6- عباد ت 100 ه- 718 م: عباد بن زياد ابن أبيه، أبو حرب، أمير، كانت إقامته بالبصرة، ولّاه معاوية سجستان سنة 53 ه، فغزا بلاد الهند، و كان فى الشام أيام عبد الملک بن مروان. تهذيب التهذيب 5: 93 و الأعلام 3: 257.

7- الخبر فى العقد 1: 132.

ص: 142

[خبر دريد بن الصمة مع مالک بن عوف فی حرب هوازن يوم حنين]

و قال دريد بن الصمّة(1) لمالک بن عوف النّصری(2) قائد هوازن يوم حنين(3):
يا مالک، إنّک قد أصبحت رئيس قومک، و إنّ هذا يوم له ما بعده من الأيّام.
مالی أسمع رغاء البعير و نهاق الحمير و بکاء الصغير(4)؟
قال: سقت مع الناس أبناءهم و نساءهم و أموالهم.
قال: و لم ذلک؟
قال: أردت أن أجعل خلف کلّ رجل أهله و ماله ليقاتل عنهم.
فأنقض به(5) دريد ثم قال: راعی ضأن و الله، و هل يردّ المنهزم شیء؟!!

1- دريد: ت 8 ه- 630 م: دريد بن الصمة الجشمیّ البکری من هوازن، شجاع، من الأبطال الشعراء المعمرين فی الجاهلية، کان سيد بنی جشم و فارسهم و قائدهم، و غزا نحو مئة غزوة لم يهزم فی واحدة منها. و عاش حتی ذهب حاجباه عن عينيه، و أدرک الإسلام و لم يسلم، فقتل علی دين الجاهلية يوم حنين(8 ه) و کانت هوازن خرجت لقتال المسلمين فاستصحبته معها تيمنا به و هو أعمی. فلما انهزمت جموعها أدرکه ربيعة بن رفيع السلمی فقتله. و له أخبار کثيرة، و الصّمة لقب أبيه معاوية بن الحارث. الأعلام 2: 339 و الأغانی 10: 3 و السيرة النبوية 2: 884.

2- مالک بن عوف ت 20 ه- 640 م تقريبا: مالک بن عوف بن سعد بن يربوع النصری، من هوازن، صحابی من أهل الطائف. کان رئيس المشرکين يوم حنين. قاد هوازن کلها لحرب رسول الله(صلّی اللّه عليه و سلم)، و کان من الجرارين(و لم يکن الرجل يسمّی جرارا حتی يرأس ألفا) ثم أسلم و شهد القادسية و فتح دمشق. و کان شاعرا رفيع القدر فی قومه. استعمله النبی(صلّی اللّه عليه و سلم) عليهم.
و کانت له دار فی دمشق تعرف بدار بنی نصر. عن الأعلام 5: 264.

3- يوم حنين سنة 8 ه. انظر السيرة النبوية 2: 884.

4- فی السيرة: و يعار الشاء.

5- فأنقض به أی زجره من الإنقاض، و هو أن تلصق لسانک بالحنک الأعلی ثم تصوت فی حافتيه من غير أن ترفع طرفه عن موضعه. أو هو التصويت

بالوسطى و الإبهام كأنک تدفع بهما شيئا، و ذلک حين تنكر على غيرک قولا أو عملا. عن حاشية العقد 1: 133.

إنها إن كانت لک لم ينفعک إلا رجل بسيفه و رمحه، و إن كانت عليک فضحت فی أهلک و مالک، و يحک إنک لم تصنع بتقديم بيضة هوازن(1) إلی نحور الخيل شيئا، ارفعهم إلی ممتنع بلادهم و عليا قومهم ثم الق الصّبّاء(2) علی متون الخيل، فإن كانت لک لحقک من وراءک، و إن كانت عليک كنت قد أحرزت أهلک و مالک.
قال: لا و الله لا أفعل، إنک قد كبرت و ذهل عقلک.
قال دريد": هذا يوم لم أشهده و لم يفتنی، ثمّ أنشأ يقول:
يا ليتنی فيها جذعأخبّ فيها و أضع
أقود وطفاء الزّمعكأنّها شاة صدع(3)

[وصية قتيبة لأصحابه]

و كان قتيبة بن مسلم(4) يقول/ (س 56) لأصحابه:

1- بيضة هوازن: جماعتهم.

2- الصبّاء جمع صابىء، يريد المسلمين. كانوا يسمونهم بهذا الاسم لأنهم عندهم صبؤوا عن دينهم، أى خرجوا من دين الجاهلية إلى الإسلام. عن حاشية العقد 1: 133.

3- الخبر و الشعر فى السيرة النبوية 2: 885. و الجذع: الصغير السن بلا تجربة أخبّ و أضع من الخبب و الوضع و هما ضربان من السير. و وطفاء الزمع: الفرس طويلة الشعر. و الشاة: الوعل.
و الصّدع: ليس بالعظيم و لا الحقير.

4- قتيبة بن مسلم 49- 96 ه- 669- 715 م: قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلى، أبو حفص، أمير، فاتح، من مفاخر العرب، كان أبوه كبير القدر عند يزيد بن معاوية، و نشأ هو فى الدولة المروانية، فولى الرى فى أيام عبد الملک و خراسان فى أيام ابنه الوليد، و وثب لغزو ما وراء النهر فتوغل فيها و افتتح كثيرا من المدائن كخوارزم و سجستان و سمرقند و غزا أطراف الصين، و ضرب عليها الجزية .. و اشتهرت فتوحاته فاستمرت ولايته ثلاث عشرة سنة و هو عظيم المكانة مرهوب الجانب، و لما استخلف سليمان و كان يكره قتيبة، فأراد قتيبة الاستقلال بما فى يده، و جاهر بنزع الطاعة، و اختلف عليه قادة جيشه فقتله وكيع بن حسان التميمى بفرغانة، و كان مع بطولته دمث الأخلاق، داهية، طويل الروية، راوية للشعر، عن الأعلام 5: 189.

ص: 144
إذا غزوتم فأطيلوا الأظفار و قصّروا الشّعور، و الحظوا الناس شزرا، و كلّموهم رمزا و اطعنوهم و خزا(1).

[وصية سعيد بن زيد لبنيه]

و كان سعيد بن زيد(2) يقول لبنيه:
قصّروا الأعنّة، و اشحذوا الأسنّة، تأكلوا القريب و يرهبكم العدوّ(3).

[خبر عیسی بن موسی مع المنصور]

و قال عیسی بن موسی(4): لما وجّهنی المنصور(5) إلی المدینة

1- انظر الخبر فی عیون الأخبار 1: 141 و العقد 1: 134.

2- سعید بن زید 22 ق. ه- 51 ه- 600- 671 م: سعید بن زید بن عمرو بن نفیل العدوی القرشی، أبو الأعور، صحابی، من خیارهم، هاجر إلی المدینة، و شهد المشاهد کلها إلا بدرا، و کان غائبا فی مهمة أرسله بها النبی(صلّی اللّه علیه و سلم). و هو أحد العشرة المبشرین بالجنة، و کان من ذوی الرأی و البسالة. و شهد الیرموک و حصار دمشق، و ولّاه أبو عبیدة دمشق. مولده بمکة و وفاته بالمدینة. الإصابة 3: 96 برقم: 3254 و الأعلام 3: 94.

3- الخبر فی العقد 1: 134.

4- عیسی بن موسی 102- 167 ه- 721- 783 م: عیسی بن موسی بن محمد العباسی، أبو موسی، أمیر من الولاة القادة، و هو ابن أخی السفاح، کان یقال له« شیخ الدولة» ولد و نشأ فی الحمیمة، و کان من فحول أهله و ذوی النجدة و الرأی منهم، و له شعر جید، ولّاه عمه الکوفة و سوادها سنة 132 ه و جعله ولیّ عهد المنصور، فاستنزله المنصور عن ولایة عهده سنة 147 و عزله عن الکوفة و أرضاه بمال و فیر و جعل له ولایة عهد ابنه المهدی. فلما ولی المهدی خلعه سنة 160 ه بعد تهدید و وعید و کان ولی العهد لا یخلع ما لم یخلع نفسه و یشهد الناس علیه.
فأقام بالکوفة إلی أن توفی. عن الأعلام 5: 109.

5- المنصور أبو جعفر 95- 158 ه- 714- 575: عبد الله بن محمد بن علی بن العباس، ثانی خلفاء بنی العباس، و أول من عنی بالعلوم من ملوک العرب، کان عارفا بالفقه و الأدب، مقدما فی الفلسفة و الفلک محبا للعلماء، ولد فی الحمیمة من أرض الشراة قرب معان. و ولی الخلافة بعد وفاة أخیه السفاح سنة 136 ه و هو بانی مدینة بغداد، أمر بتخطیطها سنة 145 ه، کان بعیدا عن اللهو و العبث، کثیر الجد و التفکیر، و هو والد الخلفاء العباسیین. و قد قتل خلقا کثیرا حتی استقام ملکه. توفی ببئر میمون من أرض مکة محرما بالحج. عن الأعلام 4: 117.

لمحاربة بنى عبد الله بن الحسن(1) جعل يوصينى و يكثر فقلت: يا أمير المؤمنين إلى متى توصينى؟
إنى أنا السّيف الحسام الهندىأكلت جفنى و فريت غمدى
فكلّ ما تطلب عندى عندى(2)

1- عبد الله بن الحسن 70- 145 ه- 690- 762 م: عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، أبو محمد، تابعى، من أهل المدينة، قال الطبرى: كان ذا عارضة و هيبة و لسان و شرف، و كانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز، و لما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين على السفاح و هو بالأنبار، فأعطاه ألف ألف درهم، و عاد إلى المدينة، ثم حبسه المنصور عدة سنوات من أجل ابنيه محمد و إبراهيم و نقله إلى الكوفة فمات سجينا فيها كما حققه الخطيب البغدادى. عن الأعلام 4: 78.

2- الخبر مع الرجز فى العقد الفريد 1: 134 و فيه إنى أنا ذاک. و انظر أيضا العقد 5: 87.

ص: 146

ص: 147

الباب العاشر فى التحريض على الجهاد

اشارة

ص: 148

[وجوب تحريض الإمام للناس على الجهاد]

ينبغى للإمام أن يحضّ الناس و يحرّضهم على الجهاد، فقد أمر الله تعالى بذلک نبيّه- صلّى اللّه عليه و سلم- فقال عزّ من قائل: يا أَيُّهَا النَّبِىُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتالِ(1)

[الرسول م يحرض على الجهاد]

و كان النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- يحرّض و يقول يوم بدر:
و الذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلّا أدخله اللّه الجنّة(2).
و روى أنه- صلّى اللّه عليه و سلم- قال: لا يتقدّم أحدكم إلى شىء حتّى أكون أنا دونه، فدنا المشركون، فقال- صلّى اللّه عليه و سلم- قوموا إلى جنة عرضها السماوات و الأرض. فقال عمير بن الحمام(3) من بنى سلمة و بيده تمرات يأكلهنّ:
بخ بخ، ما بقى بينى و بين أن أدخل الجنّة إلّا أن يقتلنى هؤلاء القوم/ (س 57) فقذف بالتّمرات من يده و أخذ السيف و قاتل حتّى قتل و هو يقول:
ركضا إلى اللّه بغير زادإلا التّقى و عمل المعاد
و الصبر فى اللّه على الجهادفكلّ زاد عرضة النّفاد
غير التّقى و البرّ و الرشاد(4)

1- سورة الأنفال 8: 65.

2- الخبر فى السيرة النبوية 1: 459« أخبار وقعة بدر» و فى الأحكام السلطانية 41.

3- عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد الأنصارى السلمى، ذكر فيمن شهد بدرا انظر أخباره فى الإصابة 5: 31 برقم: 6025 و السيرة النبوية 1: 459- 527.

4- الخبر مع الرجز فى الأحكام السلطانية: 41 و الإصابة 5: 31.

ص: 150
و التحريض من أفعال البرّ، و أعمال الخير، و أسباب الثبوت عند اللقاء، و من باب التعاون على البرّ و التّقوى، و كان يقال: محرّض واحد خير من مئة مقاتل.

[عمر يشجع الخطباء على التحريض]

و روى أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أعطى الخطباء و الشعراء أعطياتهم و أمرهم أن يلحقوا بجيوش المسلمين بالشّام ليحرّضوا و يحضّوا.

[جواز التحريض للشهادة بشرطين]

و يجوز للإمام أن يعرّض للشهادة من الرّاغبين فيها من يعلم أنّه إن قتل فى المعركة أثار أحد أمرين:
1- إمّا تحريضا للمسلمين على القتال حميّة له.
2- و إمّا تخذيلا للمشركين بالجرأة عليهم فى نصر الدين.

[من تحريض الإمام على لأصحابه]

و مما ذكر من التحريض ما روى أنّ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه سمع يحرّض الناس و هو يقول: عباد الله، اتّقوا الله و غضّوا الأبصار و اخفضوا الأصوات و أقلّوا الكلام و وطّنوا أنفسكم على المنازلة و المبارزة و المعانقة و المكادمة و اثبتوا، وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(1) وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(2)، اللهمّ ألهمهم الصبر و أنزل عليهم النصر/ (س 58) و أعظم لهم الأجر.
و سمع فى حرب يقول لأصحابه:
أ ما تخافون مقت الله، حتّى متى؟! ثمّ انفتل إلى القبلة فرفع يديه فقال:

1- سورة الأنفال 8: 45.

2- سورة الأنفال 8: 46.

يا الله، يا رحمن، يا واحد، يا إله محمّد، اللهمّ إليک نقلت الأقدام و رفعت الأيدى، و مدّت الأعناق و شخصت الأبصار و طلبت الحوائج، نشكو إليک غيبة نبيّنا و كثرة عدوّنا و تشتيت أهوائنا. ربّنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين. ثمّ قال لهم: سيروا على بركة الله، ثم نادى: لا إله إلا الله و الله أكبر كلمة التقوى.
و سمع أيضا و هو يقول:
انّ الله قد دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، إيمان بالله و رسوله و جهاد فى سبيله، و جعل ثواب ذلک/ (م 30) مغفرة الذّنوب و مساكن طيبة فى جنّات عدن، و رضوان من الله أكبر، ذلک هو الفوز العظيم. و أخبركم بالذى يحب فى ذلک فقال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ(1) فسوّوا صفوفكم- رحمكم الله- كالبنيان المرصوص، و قدّموا الدارع و أخّروا الحاسر، و عضّوا على الأضراس فإنّه أنبا للسيوف عن الهام، و أربط للجأش، و أسكن للقلوب، و أميتوا الأصوات، فإنّه أوّل الوقار، و راياتكم فلا تميلوها و لا تزيلوها و لا تجعلوها إلا بأيدى شجعانكم الحامين الذّمار الصّبر عند نزول الحقائق، و أهل الحفاظ الذين يحفّون برایاتهم و يضربون أمامها قدما، و ليقاتل/ (س 59) كلّ رجل منكم قرنه، و ليواس أخاه بنفسه و لا يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه فيكتسب بذلک اللائمة و يأتى به الدناءة، و أن لا يكون هذا كهذا، و هذا يقاتل اثنين و هذا ممسک بيده قد خلّى قرنه عليه هاربا منه و قام ينظر إليه، من يفعل هذا يمقته الله فلا تعرضوا لمقت الله فإنّما مردّكم إليه قال تعالى: قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ

1- سورة الصف 61: 10، 13.

الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا(1) و الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآجلة، فاستعينوا بالصدق عند اللّقاء، و الصّبر عند البلاء، فإنّ بعد الصبر ينزل النصر.

[تحريض لأبى الهيثم الأنصارى و غيره]

و حرض أبو الهيثم الأنصارى(2) و كان من أصحاب رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- عقبيّا بدرّيا، فجعل يسوّى الصفوف و يقول: يا معاشر المسلمين، إنّه ليس بين الفتح العاجل، و الجنة فى الآجل إلا ساعة من نهار، فأرسفوا أقدامكم و سوّوا صفوفكم و أعيروا جماجمكم، و استعينوا باللّه و اصبروا إنّ الله مع الصابرين و إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتّقين.
و حرّض آخر فقال:
يا أيها الناس، غضّوا الأبصار، و عضّوا على النواجذ، ثم استقبلوا القوم بهامكم، و شدّوا شدّة قوم موتورين قد وطّنوا أنفسهم على الموت، و طيّبوا عباد الله بدمائكم دون دينكم، فإنّ الفرار فيه سلب العزّ و ذلّ الحياة/ (س 60) و الممات، و عار فى الدنيا و الآخرة.
ثم اختصّ بالقول عصابة من قومه فقال:
عضضتم بصمّ الجندل، ما أرضيتم ربّكم و لا نصحتم له فى عدوّكم.

1- سورة الأحزاب 33: 16.

2- أبو الهيثم الأنصارى ت 20 ه- 641 م: مالک بن التّيهان الأنصارى الأوسى أبو الهيثم، صحابى، كان يكره الأصنام فى الجاهلية، و يقول بالتوحيد هو و أسعد بن زرارة، و كانا أول من أسلم من الأنصار بمكة، و هو أحد النقباء الأثنى عشر. شهد بدرا و أحدا و المشاهد كلها.
و توفى فى خلافة عمر. و قيل: شهد صفين مع على. و قتل بها سنة 37 ه.
و كان شاعرا، و له قصيدة فى رثاء النبى(صلّى اللّه عليه و سلم)، الإصابة 6: 20 برقم: 7595 و الأعلام 5: 258.

ص: 153
و كيف ذلک و أنتم أبناء الحرب، و أصحاب الطّعن و الضّرب الذين لم يكونوا يسبقون بثأرهم، و لا تطلّ دماؤهم، فاتّقوا الله و اصدقوا عدوّكم، إنّ الله مع الصادقين. فعمل ذلک الكلام فيهم و شدّوا شدّة رجل واحد، و ضاربوا أعداءهم حتّى أزالوهم عن مواقعهم.

[خبر تحريض النعمان بن مقرن لأصحابه]

و يروى أنّ النّعمان بن مقرّن(1) كان الأمير فى غزاة نهاوند حين برز إليه جموع الكفر، و تعبّا الفريقان و تهيؤوا و تأهّبوا أهبة لم ير مثلها، و وافق ذلک يوم جمعة، فجعل النعمان يحرّض الناس و يعدهم و ينشّطهم و يذكرهم و يتثاقل عن مناشبة الحرب، و يثبط عنها، فرمى المسلمون بالنّشّاب/ (م 31) و كثرت فيهم الجراحات و هو يلوى الناس، فعذله المغيرة بن شعبة(2) و ندبه إلى مناشبة الحرب، و الإذن للمسلمين فى المزاحفة فقال النّعمان: ربّما أشهدک الله مثلها مع النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- شهدته إذا لم يقاتل أوّل النهار انتظر حتّى تهبّ الأرواح و تحضر الصّلوات و قد دنا الزّوال

1- النعمان بن مقرّن ت 21 ه- 642 م: النعمان بن مقرن بن عائذ المزنى، أبو عمرو، صحابى فاتح، من الأمراء القادة الشجعان، كان معه لواء مزينة يوم فتح مكة، سكن البصرة، ثم تحول عنها إلى الكوفة، و وجهه سعد بن أبى وقاص بأمر عمر إلى محاربة الهرمزان، فزحف بجيش الكوفة إلى الأهواز و هزم الهرمزان و تقدم إلى تستر فشهد وقائعها و عاد إلى المدينة بشيرا بفتح القادسية، ثم ولاه عمر غزو أصفهان ففتحها و هاجم نهاوند فاستشهد فيها، و نعاه عمر إلى الناس فى مسجد المدينة. و كانت وقعة نهاوند سنة عشرين للهجرة. انظر البلدان و فتوحها و أحكامها للبلاذرى 349 و ما بعدها، الأعلام 8: 42.

2- المغيرة بن شعبة 20 ق. ه- 50 ه- 603- 670 م: المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى أبو عبد الله، أحد دهاة العرب و قادتهم و ولاتهم، صحابى، يقال له: مغيرة الرأى، ولد فى الطائف و ذهب إلى الإسكندرية،(فى الجاهلية) و عاد إلى الحجاز، أسلم سنة 5 ه و شهد الحديبية و اليمامة و فتوح الشام و ذهبت عينه باليرموک، و شهد القادسية و نهاوند و همدان و غيرها، و ولّاه عمر البصرة ففتح عدة بلاد ثم عزله ثم ولّاه الكوفة، و أقرّه عثمان ثم عزله، و لما حدثت الفتنة بين علىّ و معاوية اعتزلها المغيرة. ثم ولّاه معاوية الكوفة و بقى فيها إلى أن مات. عن الأعلام.

و هذا يوم الجمعة، ثم كلّم الناس و حرضهم فمن قوله بعد حمد الله و الثناء عليه و الصلاة على النبى- صلّى اللّه عليه و سلم-:(1)
أيها الناس، أنتم حزب الله و أنصار دينه و أتباع نبيّه محمد- صلّى اللّه عليه و سلم- (س 61) و حملة كتابه و القائمون بحدوده، و أهل الصّلاة و الصيام و ذادة الإيمان و الإسلام، شرّفكم الله بنبيّه المصطفى، و اختار لكم دينه المرتضى، و وهبكم العقول الراجحة و النيّات الصادقة، و القلوب الثابتة. و إنما برزتم إلى حزب الشيطان و أهل الضّلالة و البهتان، و ذادة الأصنام و الأوثان، دعاهم رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- إلى الهدى و النّور فجانبوه، و صرخ بهم الشيطان إلى الردى و الغرور فاتّبعوه بآراء ساقطة و عقول خاسرة، و قلوب طائرة، و قد برزتم إليهم و برزوا إليكم، و إنّ الله ناظر إليكم و مطّلع عليكم، فاستحيوا منه أن يكون حزب الشيطان و ذادة الأصنام و الأوثان، أجدّ على الباطل و البهتان، و أصبر على النّزال و الطّعان من حزب الرحمن و ذادة الإسلام و الإيمان، و حملة السّنن و القرآن، و إنّما يتربّصون بكم إحدى الحسنيين، و نحن نتربّص بهم أن يصيبهم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا.
يا معشر المسلمين، إن تكونوا تألمون فإنّهم يألمون كما تألمون، و ترجون من الله ما لا يرجون، إنّى مكبّر لكم ثلاث تكبيرات، فإذا كبّرت الأولى فليصلح كلّ واحد منكم من شأنه و يشدّ على نفسه و فرسه.
و إذا كبّرت الثانية فلينظر كلّ رجل منكم موقع سهمه و موضع عدوّه و مكان فرصته. و إذا كبّرت الثالثة فاحملوا على اسم الله و اصبروا إنّ الله مع الصابرين/ (س 62).

1- انظر مجمل هذه الأقوال و الأخبار فى كتاب: البلدان للبلاذرى 349 و ما بعدها و العقد 1: 98.

و روى أنّه قال:
إنّى هازّ لكم الراية ثلاثا ... ثم ذكر ما رتّبه، ففعل الناس ذلک و طلبوا الصفّ الأوّل، ثم حملوا عند الثالثة على العدوّ فتطاعنوا و تجالدوا من الزّوال إلى ثلث الليل، فهزم اللّه العدوّ و أخذتهم السيوف و ذهبوا على وجوههم، و صدّهم المسلمون عن جسر كان هنالک راموا العبور عليه فتردّى منهم كثير، و قتل منهم أمم و أصاب المسلمون غنائم كثيرة(1)، قيل: إنه قسم للرجل و لفرسة ثلاثة و ثلاثون ألفا، و للراجل أحد عشر ألفا.
قال ابن نافع: و بذلک مضت السّنّة(2).
و روى أنّ النّعمان قال عند ما ذكر هزّ الراية و قوله: فإنّى حامل فاحملوا و إن قتل أحد فلا يلوينّ أحد على أحد، و إن قتلت أنا فلا تلووا، و إنّى داع إلى اللّه بدعوة، فعزمت على كلّ امرىء مسلم لمّا أمّن عليها. ثم قال: اللهمّ ارزق النعمان اليوم شهادة تنصر المسلمين، فأمّن القوم و فعل ما ذكر فكان أوّل صريع رحمه اللّه(3).

[مما كان يحرض به من الكلام البليغ]

و مّما كان يحرّض به قديما من الكلام المختصر البليغ قولهم:
يا خيل الله اركبى و أبشرى بالجنّة. و فيه من المعنى الجسيم و الحّظ/ (م 32) العظيم الإضافة إلى الله تعالى تشريفا و تكريما، و تحت ذلک النسبة إلى نصر دين الله، قال الله تعالى: إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ

1- انظر العقد 1: 98.

2- جاء فى كتاب الخيل لأبى عبيدة: 13 بسنده قال: قسم رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) خيبر فجعل للفرس سهمين و لفارسه سهما. فكان للرجل و فرسه ثلاثة أسهم و هناک أحاديث أخرى فى الموضع نفسه. و انظر نهاية الأرب 9: 376 و السيرة النبوية 2: 810 ذكر مقاسم خيبر.

3- البلدان: 350.

يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ(1) و فيه اليقين بالبشارة بالجنّة. كان رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- يقول فى تحريضه: قوموا إلى جنة عرضها السماوات و الأرض.
قال عبد الله بن قيس(2)/ (س 63): كنا فى غزاة فلقينا العدوّ و قيل:
يا خيل الله اركبى و أبشرى بالجنة. فركب الناس و ركبت، و إذا بفتى أمامى يعاتب نفسه يقول:
يا نفس ألم أشهد مشهد كذا و كذا فقلت لى: أهلک عيالک، فأطعتک و رجعت، و الله لأعرضنّک اليوم على الله قبلک أوردّک.
فقلت: لأرمقنّ هذا الفتى حتّى أنظر ما يصنع. فلحقنا العدوّ فجعل يحمل على المشركين فيكون فى أوّل الناس، فإذا حمل المشركون على المسلمين كان فى حماتهم، فلم يزل كذلک حتّى رأيته صريعا، فعددت فيه و فى فرسه ستين ضربة أو طعنة رحمه الله.

و من كلام بعض المحرّضين:

أيّها الناس، قد جدّت بكم الحرب فجدّوا، و شمّرت عن ساقها فشدّوا،

1- سورة محمد 47: 7.

2- عبد الله بن قيس ت 53 ه- 673 م: عبد الله بن قيس الحارثى، حليف بنى فزارة، أمير البحر فى صدر الإسلام، كان مقيما فى الشام و أراد معاوية غزو قبرس فولّاه قيادة الغزاة سنة 27 ه فتقدم يريدها فالتقى بعبد الله بن سعد قادما من مصر لغزوها، فصالحهما أهلها على سبعة آلاف دينار يؤدونها كل سنة، و بقى عبد الله على البحر، فغزا خمسين غزاة صيفا و شتاء، لم يغرق من جيشه أحد و لم ينكب. و قتله الروم و هو يطوف فى أحد المرافىء متخفيا، دلتهم عليه امرأة كانت تتسول فأعطاها فعرفته فراسة. عن الإصابة 3: 94 برقم: 6335 و الأعلام 4: 114 و هناک آخر باسم عبد الله بن قيس الهمدانى الحمصى. له ذكر فى الفتوح و كان يوم اليرموک. الإصابة 5: 94 برقم: 6336.

و أعدّت لكم مكايدها فاستعدّوا، و أخلصوا نيّاتكم و أسرار ضمائركم، و غيروا غيرة الرجال في حمى ذماركم، و كونوا على عدوّكم يدا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَ لَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً(1) فاصبروا إنّ الله مع الصابرين، و اعلموا أنّ اللَه مع المتّقين، و اتقوا الله يا عباد الله جهدكم، و لا يكثرنّ فى ثوابه زهدكم، و أجيبوا دعوته فقد دعاكم، و جاهدوا فى سبيله يعطكم رضاكم، و انصروا الإسلام يرفع الله لكم الأعلام، و قد وعدكم النصر، و ذخر لكم الأجر، و جعلكم ردءا للمسلمين و ظهيرا على أعداء الله الكافرين، وَ لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(2) و احمدوا الله الذى خصّكم بهذه الفضيلة/ (س 64) و آثركم بهذه الموهبة الجليلة، فتوكّلوا عليه، و استعينوا بتقواه و طاعته و اضرعوا إليه فى أن يؤيّدكم بنصره و كفايته، فهو سبحانه يصرف السوء عن عباده المؤمنين، و يجعل دائرة السوء على القوم الكافرين، قال علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه:

جزى الله قوما قاتلوا فى لقائهملدى الرّوع قوما ما أعفّ و أكرما
و أطيب أخبارا و أفضل شيمةإذا كان أصوات الرجال تغمغما(3)

1- سورة الكهف 18: 20.

2- سورة آل عمران 3: 139.

3- البيتان من قصيدة منسوبة للإمام على و هى فى ديوانه 127 و أولها:
لنا الراية الحمراء يخفق ظلهاإذا قيل قدّمها حضين تقدما
و رقم القصيدة 278 و رواية البيتين فيها مع العلم أن ثانيهما هنا ورد قبل الأول:
و أحزم صبرا حين يدعى إلى الوغىإذا كان أصوات الكماة تغمغما
جزى الله قوما قاتلوا فى لقائهملدى البأس خيرا ما أعف و أكرما

ص: 158

[الأسلوب المطلوب فى التحريض]

و مما ينبغى للمحرّض أن يستعمله فى ذلک الكلام الفصيح القريب من فهم عامّة زمانه و أهل مكانه، و يستطيبه الجمهور مع موافقة الألفاظ الشرعية التى ترغّب فى الآخرة و تزهّد فى الدنيا، و تقوّى القلوب و تشدّ النفوس، و تنبّه على قوّة اليقين، و تحضّ على الدرجة العليا، و تبيّن فضل الشهادة، و توقظ الهمم، و تغرس الشجاعة فى القلب، و تثمر الأنفة من العار، و تعلّم الحياء من الله تعالى، و تعلّم أنه حاضر لا يغيب، و شاهد لا يغفل، و رقيب على كل نفس، و ناظر لكلّ فعل/ (م 33) و ربما استعمل البليغ فى تضاعيف كلامه نظر الجليل سبحانه إلى الفئتين و اطلاعه على الفريقين، و مباهاته الملائكة بأهل الثبات و الصبر، وجوده على الصابرين بالنصر، و يذكر ما فى الفرار من المقت العاجل و الآجل و ما فى الثبات من العزّ الثابت غير الزائل، و حنو البهائم على أولادها، و الطير على أفراخها، و أنّ الذبّ عن الأطفال/ (س 65) و العيال من أفعال كرام الرّجال، و أنّ المسلم ألوف عطوف حامى الذمار كريم الجوار، و أنّ أهل الدين الواحد كالجسد الواحد، و الحرّ لا يسلّم أولياءه كما لا يفارق أعضاءه، و كذلک يعظّم الإسلام و أهله، و يقبّح فرع الكفر و أصله، و يذكر عزّة المسلم عند الحفيظة و الحقيقة، و ذلّة الكافر إذا تخلّل فريقه، قال الله تعالى بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ(1) أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ(2) و قال سبحانه: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ(3) و من الشعر اللائق بذلک قول الجحّاف بن حكيم(4):

1- سورة المائدة 5: 54.

2- سورة الفتح 48: 29.

3- سورة المائدة 5: 54.

4- الجحّاف بن حكيم ت نحو 90 ه- 709 م: الجحّاف بن حكيم السّلمىّ، فاتک، ثائر، شاعر، كان معاصرا لعبد الملک بن مروان، و غزا تغلب بقومه فقتل منهم كثيرين، فاستجاروا بعبد الملک فأهدر دم الجحاف، فهرب إلى الروم فأقام سبع سنين. و مات عبد الملک فأمنه الوليد فرجع. عن الأعلام 2: 113.

نعرّض للطّعان بكلّ ثغرخدودا لا تعرّض للّطام
شهدن مع النبىّ مسوّماتحنينا و هى دامية الحوام
و وقعة راهط شهدت و حلّتسنابكهنّ بالبلد الحرام(1)

فيذكر المشاهد و كرم المعاهد التى يعطف عليها و يحنّ إليها، و كما يقال:
و ضربة السيف فى عزّ مصاولةألذّ من ضرب(2) للحرّ فى ذلّ

و ممّا ينبغى أن يكون عليه المحرّض: الاعتزاز بالله و الإخلاص فى أمر الله، و الشدّة على أعداء الله، و لا سيّما إن قام فى أهل كرم و دين و حفيظة و يقين، قال الله تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ، وَ إِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ، فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ(3) و قال النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم-/ (س 66): و الذى نفسى بيده إنّ

1- الأبيات فى السيرة النبوية 2: 879 و فيها:
و قال الجحاف بن حكيم السّلمىّ:
شهدن مع النبى مسومات‌حنينا و هى دامية الكلام
و غزوة خالد شهدت و جرت‌سنابكهن بالبلد التهام
نعرض للطعان إذا التقيناوجوها لا تعرّض للّطام
و لست بخالع عنى ثيابى‌إذا هز الكماة و لا أرامى
و لكنى يجول المهر تحتى‌إلى العلوات بالعضب الحسام
و الأبيات فى الحماسة منسوبة للجحاف و لغيره، انظر شرح المرزوقى 1: 1321 برقم: 21 و نسبت للحريش بن هلال.

2- الضّرب: العسل.

3- سورة آل عمران 3: 185.

نفسا لن تموت حتّى تستكمل رزقها و أجلها فاتّقوا الله و أجملوا فى الطّلب(1). فهذا قسم مبرور و تجارة مع الله لن تبور.

[قصيدة لقيط بن يعمر الإيادى]

و أنشد بعضهم قول لقيط الإيادىّ(2):
يا أيّها الراكب المزجى مطيّتهإلى الجزيرة مرتادا و منتجعا(3)

1- الحديث فى سنن ابن ماجة: كتاب التجارات 2: 2144 ص 725 و لفظه: قال رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم):
أيها الناس، اتقوا الله و أجملوا فى الطلب، فإن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها و إن أبطأ عنها. فاتقوا الله و أجملوا فى الطلب، خذوا ما حل. و دعوا ما حرم.

2- لقيط بن يعمر الإيادى ت 250 ق. ه تقريبا- 380 م شاعر جاهلى فحل، من أهل الحيرة، كان يحسن الفارسية و اتصل بكسرى سابور ذى الأكتاف، فكان من كتابه و المطلعين على أسرار دولته، و من مقدمى تراجمته، و القصيدة العينية المذكور قسم منها كبير فى كتابنا هى من غرر شعره، بل إن أبا الفرج الأصفهانى قال: ليس يعرف له شعر إلا هذه القصيدة و قطع من الشعر لطاف متفرقة، و كان لقيط قد وجّه بالقصيدة العينية إلى قومه بنى إياد ينذرهم بأن كسرى وجه جيشا لغزوهم، و سقطت القصيدة فى يد أوصلتها إلى كسرى فسخط على لقيط و قطع لسانه ثم قتله، و انظر خبر قبيلة إياد مع كسرى فى الأغانى 22/ 393 و انظر الأعلام 5/ 244 أما القصيدة العينية فقد رواها ابن الشجرى فى مختاراته كما أوردها المرزوقى فى أماليه و ذكر قسما منها أبو الفرج فى الأغانى. و سنعتمد فى المقارنة رواية المرزوقى. أمالى المرزوقى: 242 و القصيدة فى ديوانه بتحقيق د. محمد التونجى دار صادر.
بيروت 1998 م. و انظر فى أخباره أيضا: رغبة الآمل 5: 99 الشعر و الشعراء: 151- 154 ط.
الحلبى. المؤتلف و المختلف: 175 و ذكر أبو الفرج أن لقيطا جعل عنوان الكتاب:
كتاب فى الصحيفة من لقيطإلى من بالجزيرة من إياد
بأن الليث كسرى قد أتاكمفلا يشغلكم سوق النّقاد
و النقاد: الغنم الصغار

3- المزجى: الذى يسوق مطيته، و الارتياد و النجعة: طلب الكلأ و هذا البيت

هو البيت التاسع من القصيدة و روايته عند المرزوقى:
بل أيها الراكب المزجى على عجلنحو الجزيرة مرتادا و منتجعا
و قبله:- - 1-
يا دار عمرة من محتلّها الجرعاهاجت لى الهمّ و الأحزان و الوجعا

أبلغ إيادا و عمرا فی سراتهمأنی أری الرأی إن لم أعص قد نصعا(1)
یا لهف نفسی إن کانت أموورکمشتّی، و أصبح أمر الناس مجتمعا(2)
إنّی أراکم و أرضا تعجبون بهامثل السفینة تغشی الوعث و الطّبعا(3)

1- روایة المرزوقی: أبلغ إیادا و خلل فی سراتهم.
و التخلیل: التخصیص. و السراة جمع سری و هو الشریف.

2- روایة المرزوقی: .. و أحکم أمر الناس فاجتمعا.

3- هذا البیت لیس فی روایة المرزوقی و لا الأغانی.

أ لا تخافون قوما لا أبالكمأمسوا إليكم كأمثال الدّبا سرعا(1) (م 34)
فی کلّ یوم یسنّون الحراب لکملا یهجعون إذا ما غافل هجعا(2)
خزر عیونهم کأنّ لحظهمحریق نار تری منه السّنا قطعا(3)
لا الحرث یشغلهم بل لا یرون لهممن دون بیضتکم ریّا و لا شبعا(4)
و أنتم تحرثون الأرض عن سفهفی کلّ معتمل تبغون مزدرعا(5)

1- الدّبا: أصغر ما یکون من الجراد و النمل. و السّرع- بفتح السین و کسرها- نقیض البطء.

2- هذا هو البیت السابع عشر فی روایة المرزوقی و قبله:
أبناء قوم نآووکم علی حنقلا یشعرون أضرّ الله أم نفعا
أحرار فارس أبناء الملوک لهممن الجموع جموع تزدهی القلعا
فهم سراع إلیکم بین ملتقطشوکا و آخر یجنی الصاب و السّلعا
لو أنّ جمعهم راموا بهدّتهشمّ الشماریخ من ثهلان لا نصدعا
و قوله: نآووا: أی تألبوا و تجمعوا.
و تزدهی: من ازدهیت فلانا إذا تهاونت به. و القلع: السحاب العظیم.
و الصاب: شجر مرّ له عصارة بیضاء کاللبن بالغة المرارة.
و السلع: شجر مرّ ینبت فی الیمن و هو من الفصیلة العنبیة. و کنّی بالصاب و السلع عن السلاح.
و الهدّة: الصوت الشدید تسمعه من سقوط رکن أو حائط أو ناحیة جبل، و هی الجبلة. یرید کثرة عددهم.
و الشماریخ: جمع شمراخ(بکسر الشین) و هی رؤوس الجبال. و الصدع: الشق.
و ثهلان: جبل ضخم بالعالیة. و ثهلان جبل لبنی نمیر بن عامر بن صعصعة بناحیة الشریف به ماء و نخیل. و یضرب بثهلان المثل فی العلو. معجم البلدان: ثهلان.
الشروح عن محقق أمالی المرزوقی و کذلک فی سائر الأبیات.

3- خزرت العین: صغرت و ضاقت خلقة، و تخازر: ضیّق عینیه لیحدد النظر.

4- البیضة هنا کنایة عن عقر الدار و محلة القوم.

5- فى المرزوقى، و أنتم تحرثون الأرض عن عرض.
و المعتمل: موضع العمل. و المزدرع: موضع الزرع.

و تلبسون ثياب الأمن ضافيةلا تفزعون و هذا الليث قد جمعا(1)
مالى أراكم نياما فى بلهنيةو قد ترون شهاب الحرب قد لمعا(2)
و قد أظلّكم من شطر ثغركمهمّ له ظلم تغشاكم قطعا(3)
صونوا جيادكم و اجلوا سيوفكمو جدّدوا للقسىّ النّبل و الشّرعا(4)
و اشروا بلادكم فى حرز أنفسكمو حرز نسوتكم لا تهلكوا هلعا (س 67)(5)

1- هذا هو البيت الثانى بعد العشرين فى المرزوقى و قبله:
و تلقحون حيال الشّول آونةو تنتجون بذات القلعة الرّبعا
و الإلقاح: إنزاء الفحل على الناقة، يقال: ناقة حائل و نوق حيال إذا ضربها الفحل و لم تحمل.
و الشّول: جمع شائل و هى الناقة ترفع ذنبها للفحل تطلب اللقاح.
ذات القلعة أو دار القلعة: المنزل إذا لم يكن مستوطنا. و القوم على قلعة: أى رحلة. و لعله أراد بالقلعة الموضع الذى فى البادية أو القرية التى دون حلوان العراق. و لعله أراد مرج القلعة الذى بينه و بين حلوان منزل و هو من حلوان إلى جهة همدان
« معجم البلدان: القلعة. و مرج القلعة».
و فى المرزوقى: و تلبسون ثياب الأمن ضاحية.

2- هذا هو البيت الخامس بعد العشرين برواية المرزوقى و قبله:
أنتم فريقان هذا لا يقوم لههصر الليوث و هذا هالك صقعا
و قد أظلّكم من شطر ثغركمهول له ظلم تغشاكم قطعا
و هصر الليوث: افتراسها، و الصقع: الضرب، و صقع به الأرض: صرعه.
و فى المرزوقى: و قد ترون شهاب الحرب قد سطعا و البلهنية: الرخاء و سعة العيش

3- ورد هذا البيت قبل البيت السابق فى رواية المرزوقى.

4- اجلوا سيوفكم: اصقلوها. من جلا الصيقل السيف جلوا و جلاء إذا صقله و النبع: شجر ينبت فى قلة الجبل تتخذ منه القسىّ و السهام، و يقال: فلان صليب النبع أى شديد المراس، و هو من نبعة كريمة: ماجد أصيل. و الشرع- بكسر الشين و فتحها- جمع شرعة و هى وتر القوس و العود.

5- فی المرزوقی: و اشروا تلادکم.
و اشروا من شری یشری شراء و شری: ضد باع. و التلاد: المال القدیم. و الحرز المکان الذی یحفظ فیه. الهلع: الجزع و شدة الخوف.

هيهات لا مال من زرع و لا إبلیرجی لغابرکم إن أنفکم جدعا(1)
لا تثمروا المال للأعداء إنّهمإن یظهروا یحتووکم و البلاد معا(2)
یا قوم إنّ لکم من إرث أوّلکممجدا قد اشفقت أن یودی و ینقطعا(3)
و ما یردّ علیکم عزّ أوّلکمإن ضاع آخرکم أو ذلّ و اتّضعا(4)
یا قوم بیضتکم لا تفجعنّ بهاإنی أخاف علیها الأزلم الجذعا(5)

1- هذا البیت هو الخامس بعد الثلاثین بروایة المرزوقی و قبله:
و لا یدع بعضکم بعضا لنائبةکما ترکتم بأعلی بیشة النّخعا
أذکوا العیون وراء السرح و احترسواحتی تری الخیل من تعدائها رجعا
فإن غلبتم علی ضن بداارکمفقد لقیتم بأمر حازم فزعا
لا تلهکم إبل لیست لکم إبلإنّ العدوّ بعظم منکم فزعا
و بیشة: قریة غنّاء فی الیمن. و النّخع: قبیلة من الأزد.
و أذکوا العیون: أرسلوا الطلائع لکشف العدو. و السرح: شجر کبار لا ترعی و إنما یستظلّ به و التوراء: العدو. رجعا من الرجع و هو ترجیع الدابة یدیها فی السیر.
و الغابر: الآتی. و جدع الأنف: قطعه و هذا کنایة عن الإذلال.

2- فی المرزوقی: و التلاد معا. و التلاد المال القدیم.
و یحتووکم: یستولون علیکم.

3- هذا البیت هو الثامن بعد الثلاثین فی المرزوقی و قبله:
و الله ما انفکّت الأموال مذ أبدلأهلها إن أصیبوا مرة تبعا
و معنی قوله: یودی: یذهب و یهلک.

4- الاتضاع هنا بمعنی الذلّ.

5- هذا هو البیت الحادی و الأربعون عند المرزوقی و قبله:
و لا یغرنکم دنیا و لا طمعأن تنعشوا بزماع ذلک الطمعا
و الزماع هو المضاد فی الأمر و العزم علیه.
و البیضة: الحمی و الحوزة. و الأزلم الجذع هو الدهر لأنه جدید أبدا، و یرید به هنا کسری.

-

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيراعلى نسائكم كسرى و ما جمعا(1)

1- الغير: جمع غيور و هو الذى يغار على زوجه و أهله و قد ورد بعد هذا البيت فى المرزوقى خمسة عشر بيتا هى:-
هو الجلاء الذى تبقى مذلّتهإن طار طائركم يوما و إن وقعا
هو الفناء الذى يجتث أصلكمفشمروا و استعدوا للحروب معا
و قلّدوا أمركم لله دركمرحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا إن رخاء العيش ساعدهو لا إذا عض مكروه به خشعا
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثههمّ يكاد أذاه يحطم الضلعا
مسّهد النوم تعنيه أموركميؤمّ منها إلى الأعداء مطّلعا
ما زال يحلب درّ الدهر أشطرهيكون متّبعا يوما و متّبعا
و ليس يشغله مال يثمّرهعنكم و لا ولد يبغى له الرّفعا
حتى استمرت على شزر مريرتهمستحكم السنّ لا قحما و لا ضرعا
كمالک بن قنان أو كصاحبهزيد القنا يوم لاقى الحارثين معا
إذا عابه عائب يوما فقال لهدمّث لنفسک قبل اليوم مضطجعا
فساوروه فألفوه أخا عللفى الحرب يختبل الرئبال و السّبعا
مستنجدا يتحدى الناس كلّهملو قارع الناس عن أحسابهم قرعا
هذا كتابى إليكم و النذير لكمفمن رأى مثل ذا رأيا و من سمعا
لقد بذلت لكم نصحى بلا دخلفاستيقظوا إن خير القول ما نفعا
و يجتث أصلكم: يقتلعه من الجذور. و شمروا: خفوا و انهضوا.
و لله دره: للتعجب أى لله عمله. و رجب الذراع: واسع القوة عند الشدائد و مضطلع أى قوى مجرّب.
الريث: الإبطاء و المعنى أنه لا ينام إلا بمقدار ما يدعى فيجيب.
و مسهد النوم صفة لقوله: رحب الذراع و السهاد الأرق.
و المطّلع: الموضع الذى تشرف منه.
و قوله: حلب الدهر أشطره أى مرت عليه ضروب من خيره و شره، و أصل ذلک أخلاف الناقة، لها خلفان قادمان و خلفان آخران، فكل خلفين شطر.
و الرّفع جمع رفعة و هى خلاف الضعة.
و الشزر: فتلک الحبل مما يلى اليسار و ذلک أشدّ لفتله. و المريرة من إمرار الحبل: شدة فتله.
و القحم: الشيخ الهرم، و الضّرع: الرجل الضعيف.
دمث الشىء: إذا مرسه حتى يلين.- - ساوروه: و اثبوه. و العلل: الشرب

بعد الشرب تباعا و هو هنا مجاز و معناه أنه لا يسأم الحرب.
يختبل أى يهلک و يصرع. و الرئبال: الأسد و الذئب الخبيث.
مستنجدا: أى مجترئا .. يقال: استنجد على فلان: اجترأ عليه بعد أن كان يهابه.
و الحسب: ما يعدّه المرء من مناقبه أو شرف آبائه. و قارع معناها غالب.
الدّخل: الغش.
هذه الشروح مقتبسة من تعليقات محقق أمالى المرزوقى.

ص: 166

[قصيدة لبعض المتأخرين فى الحض على الجهاد]

و أنشد بعض المتأخرين:
جاهد تصل للعيش من باب الردىو اقبس بنار الحرب أنوار الهدى
و إذا أردت لباس حلّة سندسفالق الأعادى بالحسام مجرّدا
فالحور تستحيى إذا ما لم تشمخدّ المهنّد بالنجيع مورّدا
و الربّ يضحک من شهيد حاسرلا يبتغى لبس الدلاص مسرّدا
هو يخلع الجثمان فى يوم الوغىكيف الدروع؟ لقد تعطّر و اهتدى
يا من يريد على الإله وفادةاجعل مطيتک الجهاد المجهدا
و صل المهنّد بالصّراب لتجتنىصدرا برمّان النهود منهّدا
أو عانق السّمر الطوال فبعدهابيض تحاكيها الغصون تأوّدا
عجبا لأحوال الشهيد فإنّهفى لمحة من دهره بلغ المدى (م 35)
لا يجتنى ثمر الأسنّة و القناإلا و يسقط عندها مثل الندى (س 68)

و مثل هذا القول كثير قديما و حديثا.

ص: 167

الباب الحادى عشر فيما يجوز فعله فى الغزو و ما لا يجوز فعله فيه

اشارة

ص: 168

فیما یجوز فعله فی الغزو و ما لا یجوز فعله فیه

[جواز القتال فی کل وقت و فی الشهر الحرام]

قال سحنون: أجمع العلماء على جواز القتال فی الشهر الحرام و قال إنّ الكفّ عنه كان أوّل الإسلام حتى قتل ابن الحضرمیّ(1) فأنزل الله تعالى يَسْئَلُونَکَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ، قُلْ: قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ. وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ(2).

قال مالک: خرج النبیّ- صلّى اللّه عليه و سلم- عام الحديبية فی الشهر الحرام، و لم أسمع أنّ أحدا قال: لا يقاتل فی الشهر الحرام(3).

[صنفا المشركين و موقف المسلمين من كل منهم]

فإذا(4) وصل عسكر المسلمين إلى بلاد العدوّ فالمشركون صنفان:
صنف بلغته الدعوة بالإسلام فامتنعوا و قاتلوا فيجوز قتالهم و قتلهم غرّة و بياتا و مصافّة و على كلّ حال، و صنف لم تبلغهم الدعوة، و قلّما يوجدون اليوم، إلّا أن يكونوا وراء من يقاتلنا فى أقاصى بلاد الروم و ما يبعد عن المسلمين، فهؤلاء لا يقاتلون حتّى يدعوا إلى الإسلام و تقام الحجّة عليهم،

1- ابن الحضرمى: المقصود به: مالک بن عباد و کان تاجرا فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه قتلوه و أخذوا ماله فثارت الثارات بين بکر و خزاعة إلى أن حجز بينهم الإسلام. انظر تفصيل ذلک فى السيرة النبوية 2: 842 ذکر الأسباب الموجبة المسير إلى مکة و ذکر فتح مکة فى شهر رمضان سنة ثمان.

2- سورة البقرة 2: 217.

3- خرج رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) فى ذى القعدة إلى مکة معتمرا فى آخر سنة ست للهجرة انظر السيرة النبوية 2: 776.

4- النقل عن الأحکام السلطانية للماوردى: 37.

قال الله العظيم: ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ(1) فقيل فى الحكمة: إنها أمور النبوّة و إلقاء المعجزات و إظهار الحجّة. و قيل: هى القرآن؛ و قيل فى الموعظة الحسنة قولان:/ (س 69).
أحدهما: بالقرآن فى لين من القول.
و الثانى: ما فيه من الأمر و النهى(2).
و جادلهم بالتى هى أحسن: أن يبيّن لهم الحقّ و توضّح عليهم الحجة.
فإن قتلهم الأمير قبل ذلک غرّة و بياتا ضمن ديات نفوسهم، و كانت على الأصحّ من مذهب الشافعىّ(3) كديات المسلمين، و قيل: بل كديات الكفّار على اختلافها(4).
و قال أبو حنيفة(5): لا دية على الأمير فى قتلهم و نفوسهم هدر. فإن أعجلونا عن الدعوة قاتلناهم قبلها(6).

1- سورة النحل: 16: 125

2- الأحكام السلطانية: 38.

3- الشافعى 150- 204 ه 767- 820 م: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى المطلبى، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة، و إليه نسبة الشافعية كافة. ولد فى غزة بفلسطين و حمل منها إلى مكة و هو ابن سنتين، و زار بغداد مرتين و قصد مصر سنة 199 و توفى بها و قبره معروف الآن بالقاهرة. عن الأعلام 6: 26.

4- النقل من الأحكام السلطانية: 38.

5- أبو حنيفة 80- 150 ه- 699- 767 م: النعمان بن ثابت، التيمى بالولاء، الكوفى، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة، ولد و نشأ بالكوفة، و كان يبيع الخز و يطلب العلم فى صباه، ثم انقطع للتدريس و الإفتاء و أريد على القضاء فرفض، فحبسه أبو جعفر المنصور إلى أن مات. كان أبو حنيفة قوىّ الحجة و من أحسن الناس منطقا، كريما فى أخلاقه جوادا حسن المنطق و الصورة. قال الشافعى: الناس عيال فى الفقه على أبى حنيفة .. الأعلام 8: 36.

6- النقل عن الأحكام السلطانية: 38.

و فی حدیث ابن عون(1) عن نافع(2) و قد کتب إلیه یسأله عن دعاء المشرکین فقال: إنّما کان ذلک فی أوّل الإسلام، فحیث قلنا بالتوقف عنهم و دعائهم إلی الإسلام فأمکنوا من ذلک، فإن أجابوا کفّ عنهم، و إن أبوا طولبوا بالجزیة، فإن أجابوا طولبوا بالانتقال إلی حیث ینالهم سلطاننا و الإقامة علی حکم یمکّن قهرهم أو علی ما یراه الإمام مصلحة، فإن أجابوا ترکوا علی شرطهم و أخذوا بالجزیة، و إن أبوا عن ذلک قوتلوا کمن بلغته الدعوة، غرّة و بیاتا و قتلا و تغریقا، و فی إضرام النار علیهم خلاف.

[تحريق المشركين أيجوز أم لا يجوز]

روى أنّ أبا بكر الصّديق رضى الله عنه حرق قوما من أهل/ (م 36) الرّدة(3). و قيل لعلّ ذلک قبل أن يبلغه النهى. فإن كان فيهم أسارى من المسلمين لم يجز تحريقهم و ترسل المجانيق و العرّادات على حصونهم و قلعهم فى الحصار، و إن كان فيهم نساء و صبيان- و قد أرسل النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- على (س 70) أهل الطائف منجنيقا-، و تهدم عليهم بيوتهم إن ظهر ذلک للإمام نظر(4).

1- ابن عون: ت 151 ه: عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى مولاهم أبو عون الخزار البصرى رأى أنس بن مالک. كان من سادات أهل زمانه عبادة و فضلا و ورعا و نسكا و صلابة فى السنة. تهذيب التهذيب 3: 211 برقم: 4080.

2- نافع ت 99 ه- 717 م: نافع بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل من قريش من كبار الرواة للحديث. تابعى ثقة من أهل المدينة. كان فصيحا، عظيم النخوة، جهير المنطق، يفخم كلامه، و فيه تيه، و كان ممن عنه و يفتى بفتواه .. تهذيب التهذيب 10: 404 و الأعلام 7: 352.

3- الأحكام السلطانية: 53.

4- الأحكام السلطانية: 52 و قد ورد فى السيرة النبوية 2: 683 أمر إجلاء بنى النضير، قال ابن هشام: و ذلک فى شهر ربيع الأول، قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه فى الحصون، فأمر رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) بقطع النخيل و التحريق فيها فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد و تعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل و التحريق فيها؟ و إنما كان رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) يعاقبهم على غدرهم و على نقضهم المواثيق. و هناک خلاف حول تاريخ هذا الحديث. انظر فتح البارى- - بشرح صحيح البخارى ط دار الفكر- بيروت 7: 329- 335 و فى السيرة 2: 919 فى ذكر غزوة الطائف أن رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) نزل تحت سدرة يقال لها: الصادرة، قريبا من مال رجل من ثقيف فأرسل إليه رسول الله: إما أن تخرج و إما أن نخرب عليک حائطک. فأبى أن يخرج فأمر رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) بإخرابه.
و جاء فى شرح السير الكبير 4: 1554 قد بيّنا أنه لا بأس بتحريق حصونهم

و تغريقها ماداموا ممتنعين فيها، سواء كان فيها قوم من المسلمين أسراء أو مستأمنين أو لم يكونوا، و الأولى لهم إذا كانوا يتمكنون من الظفر بهم بوجه آخر ألا يقدموا على التغريق و التحريق.

ص: 172

[حكم المتترسين بالمسلمين أو بالنساء و الأطفال]

و إن تترّسوا بأسارى مسلمين لم نقصد الترس و إن خفنا منهم، لأنّ دم المسلمين لا يباح بالخوف إلّا أن يكون ذلک فى صفّ القتال، و لو تركناهم لا نهزم المسلمون و عظم الشرّ و خيف استئصال قاعدة الإسلام أو جمهور أهل القوّة من المسلمين، وجب علينا الدفع حينئذ و لم نراع الترس على ذلک(1).

و يجب التحرّز من قتل مسلم فى أيديهم، فمن علم بأنّه مسلم فقتله لزمه الدّية و الكفّارة، و إن لم يعلم أنه مسلم لزمه الكفّارة وحدها(2).

و إن تترّسوا بنسائهم و أطفالهم توقّى قتل النساء و الأطفال، و عمد إلى قتل المقاتلة، فإن لم يوصل إليهم إلّا بقتل نسائهم و أطفالهم جاز ذلک(3)،

[لا يجوز الاستعانة بالمشركين]

و لا يستعان بأحد من المشركين و لا ببعضهم على بعض، قال رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- إنّا لا نستعين بمشرك(4). و قيل: إنّ هذا فى الصفّ و الزّحف و شبه

1- الأحكام السلطانية: 41، 42.

2- الأحكام السلطانية: 42.

3- الأحكام السلطانية: 41- 42.

4- إنا لا نستعين بمشرك: جاء فى سنن الترمذى 4: 128 برقم: 1558 عن عائشة أن رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) خرج إلى بدر، حتى إذا كان بحرّة الوبر لحقه رجل من المشركين يذكر منه جرأة و نجدة فقال النبى(صلّى اللّه عليه و سلم): تؤمن بالله و رسوله؟ قال: لا، قال: ارجع فلن أستعين بمشرك.- - و فى شرح السير الكبير 4: 1432 برقم: 2751 و لا بأس بأن يستعين المسلمون بأهل الشرك على أهل الشرك إذا كان حكم الإسلام هو الظاهر عليهم.
و ما ذلک إلا نظير الاستعانة بالكلاب على قتال المشركين. أما إذا كان المشركون أهل منعة و لا يقاتلون تحت راية الإسلام فإنه يكره الاستعانة بهم. و قد رد النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) ابن أبىّ حين عرض عليه أن يخرج فيقاتل معه قال: لا، إنا لا نستعين بمشرک .. قال محمد بن الحسن: و عندنا، إذا رأى الإمام الصواب فى ألا يستعين بالمشركين لخوف الفتنة فله أن يردّهم. شرح السير الكبير 4: 1423 برقم: 2753 و انظر الأحكام السلطانية: 60.

ذلک مما یخاف فیه غشّهم و لا یؤمن خذلانهم و مکرهم، و أمّا فی الخدمة و الهدم و رمی المجانیق و الصنعة فلا بأس بذلک. و قیل: لا بأس أن یقوم الإمام بمن سالمه منهم علی من لم یسالمه من الحربیین و یأمرهم بالنکایة، و کذلک بأهل الذمّة، و یجوز استئجارهم إذا جوّزنا الاستعانة بهم، و کذلک یجوز استئجار المسلمین من القاعدین و المتطوعین، و للإمام أن یرغبهم و یعینهم بالسلاح و شبهه و بما رآه. و یجوز استئجار العبد بإذن سیّده/ (س 71) و یستعان بالأحرار البالغین و بالمراهقین إن کان فیهم منّة.

[الرسول يعرض أطفال الأنصار كل عام]

روى أنّ رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- كان يعرض غلمان الأنصار فى كل عام، فمرّ به غلام فأجازه فى البعث، و عرض عليه من بعد سمرة بن جندب الفزارى(1) فردّه لصغر سنّه. فقال سمرة: يا رسول الله، لقد أجزت غلاما ورددتنى و لو صارعته لصرعته. قال: فصارعه إذن. قال سمرة: فصارعته فصرعته فأجازنى رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- فى البعث(2).

1- سمرة بن جندب ت 60 ه- 679 م: سمرة بن هلال الفزارى، من الشجعان القادة، نشأ فى المدينة، و نزل البصرة، فكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة، و لما مات زياد أقرّه معاوية عاما أو نحوه ثم عزله، و كان شديدا على الحرورية، و له رواية عن النبى(صلّى اللّه عليه و سلم). الإصابة 3: 130 برقم: 3467 و الأعلام 4: 139.

2- فى السيرة النبوية 2: 588 فى غزوة أحد قال ابن هشام: و أجاز رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) يومئذ- - سمرة بن جندب الفزارى و رافع بن خديج أخا بنى حارثة و هما ابنا خمس عشرة سنة. و كان قد ردّهما فقيل له: يا رسول الله، إنّ رافعا رام فأجازه. فلما أجاز رافعا قيل له: يا رسول الله، فإن سمرة يصرع رافعا فأجازه.

ص: 174

[حكم قتال العبيد و الاستعانة بهم]

و يستعان بالعبيد إن أذن سادتهم. روى أنّ عبدا قاتل مع رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- فقال له رسول الله: أأذن لک سيّدک؟ قال: لا، قال: لو قتلت لدخلت النار. قال سيّده: هو حرّ يا رسول الله. فقال رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- الآن فقاتل(1).

[ما يجوز أن يفعله المسلمون بأرض عدوهم]

و يجوز تحريق أرض العدوّ و زرعهم و عقر دوابّهم إن لم يمكن أن يملكها المسلمون، و كذلک قطع شجرهم و تخريب بلادهم، و فعل كلّ ما ينكيهم إذا رأى الإمام فى ذلک صلاحا و استعجالا بإسلامهم أو ليضعفهم به فيعين ذلک على الظّفر بهم عنوة أو صلحا، فإن لم ير ذلک/ (م 37) نظرا للمسلمين تركه.

و قد قطع النبى- صلّى اللّه عليه و سلم- كروم الطائف فكان سببا لإسلامهم و أمر فى بنى النضير(2) بقطع نوع من نخلهم يقال له: الأصفر يرى نوى التمرة منه من وراء لحائها، و كانت النخلة أحبّ إليهم من الوصيف فحزنوا له.

و لمّا كان ذلک عظم فى صدور المسلمين فقالوا: يا رسول الله، هل لنا فيما قطعنا من أجر و علينا فيما تركنا من وزر؟؟

1- جاء فى شرح السير الكبير 4: 1455 برقم: 2824 و العبد لا يغزو بغير إذن مولاه إذا لم يكن النفير عاما، لأن خدمة المولى و طاعته فرض عليه بعينه. و عند النفير العام لا بأس بأن يخرج إلى ذلک المكان بغير إذن مولاه لأنه يدفع بخروجه عن نفسه و عن مولاه و عن سائر المسلمين.

2- انظر شرح السير الكبير 4: 1467 و الأحكام السلطانية 52، 53 و السيرة النبوية 2: 683 أمر إجلاء بنى النضير.

فأنزل الله عزّ و جلّ/ (س 72) ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ(1) و يكره تحريق النّخل و تغريقها إلّا أن يكثر انتفاع العدوّ بها و يؤثّر فيهم فقدها فيجوز ذلك(2).
و يجوز تغوير مياههم و قطعها عنهم و إن كان فيهم نساء و أطفال لأنّه أقوى الأسباب فى ضعفهم و الظّفر بهم. و إذا استسقى منهم عطشان كان الأمير مخيّرا بين سقيه أو منعه كما هو بين قتله أو تركه إذا أسره، و من قتل منهم واراه عن الأبصار، و قد أمر النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- بإلقاء قتلى بدر فى القليب، و هى البئر غير المطويّة(3)،

[ما لا يجوز أن يفعله المسلمون بعدوهم]

و لا يحرق بالنّار منهم حيّ و لا ميّت.
روى أنّ رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- قال: (لا تعذّبوا عباد الله بعذاب الله)(4) و تحريق الأموات لا فائدة فيه من ألم و لا نكاية، و فى المثل: (الشاة المذبوحة لا تألم للسّلخ) و قد نهى عن المثلة(5) و الحرق أشدّ منها.

1- سورة الحشر: 59: 5 جاء فى الأحكام السلطانية بعد ذكر هذه الآية ص 53 ما يلى:
و فى« لينة» أربعة أقوال: أحدها: أنها النخلة من أى الأصناف كانت .. و هذا قول مقاتل.
و الثانى: أنها كرام النخل. و هذا قول سفيان.
و الثالث: أنها الفسيلة لأنها ألين من النخلة.
و الرابع: أنها جميع الأشجار للينها بالحياة.

2- الأحكام السلطانية: 53 و شرح السير الكبير 4: 1467 برقم: 2855.

3- انظر خبر إلقاء قتلى المشركين فى القليب فى السيرة النبوية 1: 468 فى أخبار وقعة بدر.

4- الحديث فى فيض القدير: 12: 6442 برقم: 9830: لا تعذبوا بعذاب الله. عن ابن عباس. قال محققه: أخرجه البخارى 6: 3017 و أبو داود 4: 4351 و الترمذى 4: 1458 و النسائى 7: 4071 و ابن ماجة 2535 و الحاكم 3: 539 و ورد فى سنن أبى داود 4: 126 برقم: 4351: حدثنا أحمد ابن محمد بن حنبل، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا أيوب عن عكرمة أن عليا عليه السلام أحرق ناسا ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلک ابن عباس فقال: لم أكن لأحرقهم بالنار، إن رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) قال: لا تعذبوا بعذاب الله. و كنت قاتلهم بقول رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) فإن رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) قال: من بدّل دينه فاقتلوه. فبلغ ذلک عليا عليه السلام فقال: ويح ابن عباس.

5- الشاة المذبوحة لا تألم السلخ. ذكره الميدانى فى مجمع الأمثال 2: 211 فى الأمثال المولدة- - جاء فى السيرة النبوية 2: 611 فى أخبار غزوة أحد

أن الرسول(صلّى اللّه عليه و سلم) نهى عن المثلة. و فيه عن سمرة بن جندب قال: ما قام رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) فى مقام قط ففارقه حتى يأمرنا بالصدقة و ينهانا عن المثلة.

و لا يجوز حمل رؤوس الكفّار من بلد إلى بلد، و لا إلى الولاة، و قد كرهه أبو بكر(1) و قال: هذا فعل أهل العجم و به قال سحنون. و قيل: يجوز ذلک(2).
و فی کتاب الشرف(3) أنّ أوّل رأس علق فی الإسلام رأس أبی عزّة(4)، جعل فی رمح و حمل إلی المدینة، و یحتمل أن یکون ذلک إلی نظر الإمام علی ما یراه بحسب الحال.

1- جاء فی شرح السیر الکبیر 1: 110 برقم: 105 و ذکر عن عقبة بن عامر الجهنی رضی الله عنه أنه قدم علی أبی بکر الصدیق رضی الله عنه برأس یناق البطریق. فأنکر ذلک. فقیل له: یا خلیفة رسول الله، إنهم یفعلون ذلک بنا فقال: فاستنان بفارس و الروم؟!! لا یحمل إلیّ رأس، إنما یکفی الکتاب و الخبر.

2- قال السرخسی فی شرح السیر الکبیر: 110 و أکثر مشایخنا رحمهم الله علی أنه إذا کان فی ذلک کبت و غیظ للمشرکین أو فراغ قلب للمسلمین بأن کان المقتول من قواد المشرکین أو عظماء المبارزین فلا بأس بذلک.
و استدل علی ذلک بأن عبد الله بن مسعود حمل رأس أبی جهل إلی الرسول(صلّی اللّه علیه و سلم) و لم ینکر علیه ذلک. و جاء محمد بن مسلمة إلی رسول الله(صلّی اللّه علیه و سلم) برأس کعب بن الأشرف فلم ینکر علیه ذلک. انظر شرح السیر الکبیر، الموضع السابق.

3- الشرف الوافی: هو عنوان الشرف الوافی فی الفقه و التاریخ و النحو و العروض و القوافی لشرف الدین إسماعیل بن أبی بکر الیمنی المعروف بابن المقری المتوفی عام 837 ه و هو کتاب عجیب لا یغنی وصفه عن مشاهدته. طبع بمؤسسة دار العلوم بالدوحة بقطر بلا تاریخ بمراجعة عبد الله إبراهیم الأنصاری بعنوان« الشرف الوافی» ثم صحح العنوان فی الطبعة الثانیة إلی« عنوان الشرف الوافی».

4- أبو عزة ت 3 ه- 625 م: عمرو بن عبد الله بن عثمان الجمحی، شاعر جاهلی، من أهل مکة، أدرک الإسلام و أسر علی الشرک یوم بدر، فأتی به إلی النبی(صلّی اللّه علیه و سلم) فقال: یا رسول الله، لقد علمت، مالی من مال، و إنی لذو حاجة و عیال، فامنن علیّ و لک ألا أظاهر علیک أحدا،- -

فامتن عليه فنظم قصيدة يمدحه بها(السيرة 1: 487) ثم لما كان يوم أحد دعاه صفوان بن أمية سيد بنى جمح للخروج فقال: إن محمدا قد منّ علىّ و عاهدته أن لا أعين عليه، فلم يزل به يطمعه حتى خرج و سار فى بنى كنانة و اشترک مع عمرو بن العاص(قبل إسلامه) فى استنفار القبائل، و نظم شعرا يحرض به على قتال المسلمين، فلما كانت الوقعة(أحد) أسره المسلمون، فقال: يا رسول الله، امنن علىّ، فقال النبى(صلّى اللّه عليه و سلم): لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.
لا ترجع إلى مكة تمسح عارضيک و تقول: خدعت محمدا مرتين و أمر به عاصم بن ثابت فضرب عنقه.
السيرة النبوية 1: 486، 487(غزوة بدر) و 2: 616، 636(غزوة أحد) و الأعلام 5: 80.

و لا يجوز قتل النساء و الصبيان فى حرب و لا غيرها مالم يقاتلوا، فإن قاتلوا قتلوا مقبلين و تركوا مدبرين. و روى أن النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- نهى عن قتل الوصفاء و العسفاء. فالوصفاء: المماليک، و العسفاء(1)/ (س 73) الأجراء.
فإن شکّ فى بلوغ الصبىّ کشف عن مؤتزره و اعتبر نبات شعر العانة منه.
و قيل: لا يقتل إلا المحتلم و لا يقتل الشيخ الفانى و لا الرهبان أهل الصوامع و الدّيارات خارج المدينة، إلّا أن يکون منهم ذو رأى و تدبير و يخشى منه أذيّة فيقتل، و قد يکون الرأى أنکى من القتال(2). و قد قتل دريد ابن الصّمة فى حرب هوازن يوم حنين و قد جاوز مئة سنة من عمره، و رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و سلم- يراه و دريد يقول حين قتل(3):

1- فى السيرة النبوية 2: 900، 901 في يوم حنين: قال ابن إسحاق: و حدثنى بعض أصحابنا أن رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و سلم) مرّ يومئذ بامرأة قد قتلها خالد بن الوليد و الناس متقصفون عليها فقال: ما هذا؟ فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد .. فقال رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و سلم) لبعض من معه: أدرک خالدا فقل له: إن رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و سلم) ينهاک أن تقتل وليدا أو امرأة أو عسيفا.

2- انظر تفصيل القول فى ذلک فى شرح السير الکبير 4: 1554 و الأحکام السلطانية 41 و ما بعدها.

3- انظر الخبر فى السيرة النبوية 2: 896(يوم حنين فى سنة ثمان بعد الفتح).

أمرتهم أمری بمنعرج اللّوی‌فلم یستبینوا النّصح إلا ضحی الغد
فلّما عصونی کنت فیهم و قد أری‌غوایتهم، إنّی إذن غیر مهتد

و قد قیل: یقتلون علی الجملة. و علی القول بترکهم فیترک لهم من أموال معاشهم قدر الکفایة، فإن کانت أکثر أخذ ما زاد علی الکفایة.
و فی المترهّبات من النّساء قولان:
أحدهما: أسرهنّ إذ الرهبانیّة/ (م 38) تختص بالرجال.
و الثانی: ترکهنّ لانقطاعهنّ عن أهل الکفر.
و لا یقتل المعتوه و لا الأعمی و لا الزّمن، إلّا أن یکون الأعمی و الزّمن من ذوی الرأی و یخشی منهما إذایة فیقتلان. و قیل: لا یقتلان علی حال(1).
و لا یقتل المسلم أباه الکافر إلّا أن یضطره أو یخافه علی نفسه، و سیرد ذلک و بعض ماورد فیه فی باب المبارزة إن شاء الله(2).
و من قتل من لم یبح له قتله، فإن کان فی دار الحرب قبل أن یصیر مغنما فلیستغفر الله و لا شیء علیه، و إن کان بعد أن صار مغنما فعلیه قیمته یجعله فی المغنم.
و لا یمنع الجیش من التبسّط فی أطعمة العدوّ و ما داموا فی الحرب لحاجتهم إلی ذلک من القوت و اللحم و الشعیر للعلوفة و شبه ذلک(3).

1- انظر شرح السیر الکبیر 4: 1415 باب من یکره قتله من أهل الحرب من النساء و غیرهم.

2- انظر شرح السیر الکبیر 1: 106 باب قتل ذی الرحم المحرم. و سیأتی التعلیق علی هذا الموضع فی باب المبارزة.

3- انظر شرح السیر الکبیر 4: 1174 باب ما یأخذه الرجل فی دار الحرب فیکون أهل العسکر فیه شرکاء و ما لا یکون. و الأحکام السلطانیة 54.

ص: 179

[جواز ذبح الأنعام و أكل الطعام و أخذ بعدوهم]

و يجوز ذبح الأنعام للأكل و منعه بعضهم، و الجواز أكثر و أشهر. فعلى الجواز ينتفع ذابحها بجلودها إن احتاج إليها، فإن استغنى عنها ردّها إلى المغنم، و يجوز الأكل لمن معه طعام و لمن لا طعام له، و لكن بقدر الحاجة، فإن فضل منه شىء بعد الرجوع إلى دار الإسلام و تفرّق الجيش تصدّق به إن كان كثيرا، و ينتفع به إن كان يسيرا(1).
قال ابن حبيب: من السنّة أن لا يقسم مطعم و لا مشرب، و من أصابه أحقّ به إلّا أن يواسى فيه أو يكون فيه فضل عن حاجته، و له أن ينفق منه إلى منصرفه، فما فضل تصدّق به، و لا ينفقه فى أهله إلا التّافه مثل يسير من قديد و كعک و الحجّة فى ذلک حديث الجراب(2):
روى أنّ رجلا غنم جراب شحم فى محاصر خيبر فنازعه فيه صاحب المغانم. فقال الرجل: لا و الله حتّى أذهب به إلى أصحابى. فقال النبى- صلّى اللّه عليه و سلم- خلّ بين الرجل و بين جرابه يذهب به إلى أصحابه(3).
و قال ابن القاسم(4) فى الرجل يغنم الطعام و الودک من منازل الرّوم فيقدم على أهله فيأكله فى القرار:

1- انظر شرح السير الكبير 4: 1184 برقم: 2205.

2- السيرة النبوية 2: 802 و سنورد الحديث بتمامه فى التعليق التالى.

3- الخبر بتمامه كما ورد فى السيرة النبوية 2: 802(نبذ من ذكر وادى القرى) قال ابن إسحاق:
و حدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن مغفل المزنىّ قال: أصبت من فىء خيبر جراب شحم فاحتملته على عاتقى إلى رحلى و أصحابى قال: فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها، فأخذ بناحيته(لعلها بناصيته) و قال: هلم هذا نقسمه بين المسلمين، قال: قلت: و الله لا أعطيكه؛ قال: فجعل يجاذبنى الجراب. قال: فرآنا رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) و نحن نصنع ذلک. قال: فتبسم رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) ضاحكا ثم قال لصاحب المغانم: لا أبالک، خل بينه و بينه قال: فأرسله، فانطلقت به إلى رحلى و أصحابى فأكلناه.

4- ابن القاسم 132- 191 ه- 750- 806 م: عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة- - العتيقى المصرى أبو عبد الله، و يعرف بابن القاسم، فقيه،

جمع بين الزهد و العلم و الفقه. تفقه بالإمام مالک و نظرائه، مولده و وفاته بمصر. له المدونة: طبعت في ستة عشر جزءا و هى من أجل كتب المالكية رواها عن الإمام مالک. عن الأعلام 5: 323.
و فى أصلنا: ابن القاسم و سالم(أو و سلام) و قد حذفناها لأنه ينقل عن ابن القاسم وحده عادة.

لا بأس بذلک، و کرها له بیعه، و قال محمد: یتصدّق منه حتّی یبقی الیسیر فیأکله مع أهله.
و لیس علی الناس استئمار الإمام فی کلّ ما وجد من بقر و غنم، و لو نهاهم السلطان عن إصابة/ (س 75) ذلک ثم اضطروا إلیه لکان لهم أکله.
و لو أخذ الناس حاجتهم من ذلک و فضلت فضلة فضمّها صاحب المغنم لکان للنّاس أکل ذلک إن احتاجوا إلیه، أو من احتاج منهم، و لا بأس بأکل طعام العدوّ قبل الدعوة فیمن یدعی منهم. و لا بأس بما لتّ من السّویق بسمنهم و عسلهم، فإذا لم یقدروا علی البقر بالذّبح أو النّحر فلهم عقرها و یأکلون ماذکّوا مما لم یبلغ المقاتل، و المعرقبة أسلم فی ذلک إن أمکنهم، و لا یجوز النهبة فی ذلک و لا بأس بخبز الرّوم. و لا یؤکل خبز المجوس و لا ما ذکّاه المجوس، و ما کان لیس فیه ذکاة من طعامهم فلیس بحرام.
قال ابن حبیب: و العلف کالطّعام فی الإباحة، فمن خرج بفضلة منه إلی دار المسلمین فلا بأس به إن کان یسیرا و إن کان ماله باب تصدّق به.
و قد تقدّم ذکر ما یقدم به علی أهله من الطعام/ (م 39) و من جهل فباع شیئا ممّا ذکر ردّ ثمنه إلی المغنم. ورد ذلک عن عمر رضی الله عنه، و المشتری أعذر فیه من البائع، و لیعلم صاحب المغانم، قال ابن القاسم: و إن باع الغازی طعاما من غیر غاز بطعام غیره أو بعلف فلا بأس به.

قال: و لهم أن يضحّوا بغنم العدوّ و لا يتعدّى ذلک إلى غيره من الملبوس و المركوب، فإن دعت إلى ذلک ضرورة كان مسترجعا إلى المغنم مع بقائه، فإن هلک احتسب من سهم أخذه من المغنم، و كذلک السلاح. قال مالک: ينتفع بذلک كلّه إن احتاج إليه حتى يقفل ثم يردّه إلى المغنم، قال ابن القاسم/ (س 76) و إن كانت الغنيمة قد قسمت فأرى أن يبيع ذلک و يتصدّق بثمنه. و للمغانم أحكام ليس هذا موضعها.

ص: 182

ص: 183

الباب الثانى عشر فيما يجب عمله عند إرادة اللقاء

اشارة

ص: 184

ص: 185
فيما يجب عمله عند إرادة اللقاء

[وجوب تقديم الطلائع و الرواد و اختيار موضع المعركة]

يجب على الأمير تقديم الطلائع لحومة العدوّ، و الروّاد لاختيار المنازل قبل المنازلة كما فعل النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- و سلم ليلة يوم بدر حين نزل على أدنى ماء بدر إلى المدينة فقال له الحباب بن المنذر:(1) يا رسول اللّه أ رأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلكه اللّه ليس لنا أن نتقدّمه أو نتأخّر عنه؟ أم هو الرأى و الحرب و المكيدة؟

فقال عليه السلام: بل هو الحرب و الرأى و المكيدة.

فقال: إنّ هذا ليس بمنزل فانهض بنا حتّى نأتى أدنى ماء من القوم فتنزله و نغوّر ما وراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضا فنملأه، فنشرب و لا يشربون.

فاستحسنه رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و سلم- و فعله(2).

[اختيار علو الأرض و دمثها]

و كذلک إن استطاع أن يأخذ علوّ الأرض و دمثها و يجتنب الوعر عند المدافعة و السبخة، و يتخيّر أوفقها لقوائم خيله و أقدام رجاله. و فى رسالة

1- الحباب بن المنذر ت 20 ه- 640 م: الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصارى الخزرجى ثم السّلمىّ، صحابى من الشجعان الشعراء، يقال له: ذو الرأى. و هو صاحب المشورة يوم بدر أخذ النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) برأيه. و كانت له فى الجاهلية آراء مشهورة، و هو الذى قال عند بيعة أبى بكر يوم السقيفة« أنا جذيلها المحكک و عذيقها المرجّب» فذهبت مثلا. مات فى خلافة عمر و قد زاد على الخمسين.
السيرة النبوية 1: 454(أخبار وقعة بدر) الإصابة 1: 316 برقم: 1547- الأعلام 2: 163.

2- انظر الخبر فى السيرة النبوية 1: 454.

ص: 186
عمر رضى الله عنه المذكورة قبل فى باب وصايا أمراء الجيوش ما يقوّى ذلک و يشهد له.

[تعبئة الرسول م لأصحابه ليلة بدر]

و روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه و ذكر غزوة بدر قال:
و بات رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- يدعو و يقول:
اللهمّ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض، فلمّا طلع الفجر قال:
الصلاة عباد الله(1). فأقبلنا من تحت الشّجر/ (س 77) و الحجف، فحثّ أو حضّ على القتال.
و قال عبد الرحمن بن عوف(2): عبّأنا رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- ليلة بدر ليوم بدر.
و روى أنّ رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- قال: إن بيّتم فليكن شعاركم: «حم لا ينصرون»(3).

1- السيرة النبوية 1: 459 و كتاب الأذكار 187 عن البخارى و مسلم.

2- عبد الرحمن بن عوف 44 ق. ه- 32 ه- 580- 652 م: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، أبو محمد الزهرى القرشى، صحابى من أكابرهم و هو أحد العشرة المبشرين، و أحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم و أحد السابقين إلى الإسلام. قيل: هو الثامن. شهد بدرا و أحدا و جرح يوم أحد(21) جراحة و أعتق فى يوم واحد ثلاثين عبدا، كان يحترف التجارة، فاجتمعت له ثروة كبيرة. أوصى بألف فرس و خمسين ألف دينار فى سبيل الله. توفى بالمدينة- الإصابة 4: 176 برقم 1571 و الأعلام 3: 321.

3- فى السيرة النبوية 2: 708 و كان شعار أصحاب رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) يوم الخندق و بنى قريظة:
حم، لا ينصرون. و فى شرح السير الكبير 1: 74 عن عائشة رضى الله عنها قالت: جعل رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) شعار المهاجرين: يا بنى عبد الرحمن. و الخزرج: يا بنى عبد الله، و الأوس: يا بنى عبيد الله. و قال لهم رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) ليلة فى حرب الأحزاب. إن بيّتم الليلة فشعاركم:
حم. لا ينصرون. و هو قسم للتأكيد أن الأعداء لا ينصرون.

ص: 187

[يجب عدم الاغترار بكثرة العدد]

و عن صهيب(1) أنّ رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- كان يحرّک شفتيه بشىء يوم حنين بعد صلاة الفجر. فقالوا: يا رسول الله، إنّک تحرّک شفتيک بشىء؟
فقال: إنّ نبيّا ممن كان قبلكم .. ثم قال كلمة معناها: أعجبته كثرة أمّته فقال: لن يروم أحد هؤلاء بشىء. فأوحى الله إليه أن خيّر أمّتک بين إحدى ثلاث:
1- إمّا أن أسلّط عليهم عدوا من غيرهم فيستبيحهم.
2- و إمّا أنّ أسلّط عليهم الجوع.
3- و إمّا أن أرسل عليهم الموت.
فقالوا: أمّا الجوع و العدوّ فلا طاقة لنا بهما، و لكن الموت/ (م 40) فأرسله الله عليهم فمات فى ليلة واحدة سبعون ألفا، و أنا أقول: اللهمّ بک أحاول و بک أصول و أقاتل(2).

1- صهيب 32 ق. ه- 38 ه- 592- 659 م: صهيب بن سنان بن مالک من بنى النمر بن قاسط، صحابى من أرمى العرب سهما، و له بأس، و هو أحد السابقين إلى الإسلام، كان أبوه من أشراف الجاهليين ولّاه كسرى على الأبلّة« البصرة» و كانت منازل قومه فى أرض الموصل على شط الفرات مما يلى الجزيرة و الموصل و بها ولد صهيب، فأغارت الروم على ناحيتهم فسبوا صهيبا و هو صغير فنشأ بينهم فكان ألكن، و اشتراه منهم أحد بنى كلب و قدم به مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان التيمى، ثم أعتقه، فأقام بمكة يحترف التجارة إلى أن ظهر الإسلام فأسلم« و لم يسبقه إلا بضعة و ثلاثون رجلا» فلما أزمع المسلمون الهجرة إلى المدينة كان صهيب قد ربح مالا وفيرا من تجارته، فمنعه مشركو قريش و قالوا: جئت صعلوكا حقيرا فلما كثر مالک هممت بالرحيل؟! قال: أرأيتم إن تركت مالى تخلّون سبيلى؟ قالوا: نعم. فجعل لهم ماله أجمع. فبلغ النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) ذلک فقال: ربح صهيب، ربح صهيب، و شهد بدرا و أحدا و المشاهد كلها. و توفى فى المدينة و كان يعرف بصهيب الرومى- الإصابة 3: 354 برقم 4099 و الأعلام 3: 210.

2- مسند أحمد 4: 332.

(و عن النبیّ- صلّی اللّه علیه و سلم- کان إذا غزا قال: اللهمّ أنت عضدی و نصیری بک أحاول و بک أصاول و أقاتل)(1).

[وجوب ترتيب الجيش فى مصاف الحرب]

و على الأمير ترتيب جيشه فى مصافّ الحرب و تعديل صفوفه و تفقّدها من الخلل، قال اللّه العظيم مخاطبا لنبيّه الكريم: وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ(2) و قال تعالى إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ(3) فيضمّ كلّ شكل إلى شكله، و كذلك الجنس و النوع إلى جنسه و نوعه، و يستكفى كلّ جهة من يراه أهلا لذلك و كفئا من أهل البسالة و السياسة/ (س 78) و يمدّ الجهة التى يخاف أن يميل العدوّ إليها بعدد يكون ردءا و عونا لها و يجعل ساقة(4) تحمى ظهر العسكر لئلا يختاله العدو من خلفه.
و فى حديث أبى هريرة لما حضر فتح مكة قال: جعل النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى و الزّبير(5)

1- فى الأذكار 188 و فيه كما فى سنن أبى داود و الترمذى و النسائى عن أنس: بك أحول و بك أصول و بك أقاتل و عضدى أى عونى، و أحول: احتال أو أمنع و أدفع.

2- آل عمران 3/ 121.

3- سورة الصف 61: 4.

4- السّاقة: مؤخرة الجيش

5- الزبير بن العوام 28 ق. ه- 36 ه- 594- 656 م: الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشى، أبو عبد اللّه، الصحابى الشجاع، أحد العشرة المبشرين، أسلم و له 12 سنة و شهد بدرا و أحدا و غيرهما. و كان على بعض الكراديس فى اليرموک و شهد الجابية مع عمر بن الخطّاب. و جعله عمر فيمن يصلح للخلافة من بعده، و كان موسرا كثير المتاجر. قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل بوادى السباع على سبعة فراسخ من البصرة. عن الأعلام 3- 43 و تهذيب التهذيب 3: 318 و المعارف 219.

ص: 189
على المجنبة اليسرى، و استعمل أبا عبيدة(1) على الساقة فى بطن الوادى(2).

[وجوب جعل راية لكل جماعة و ذكر أخبار الرايات]

و كذلک يجعل لكلّ طائفة راية يرجعون إليها و يتعارفون بها و يدافعون عنها، و يعدّ مع كلّ راية جماعة ممّن يثق به من أهل الشّجاعة و الدّين.
فالرايات هى أرواح العساكر(3)، و بثباتها ثبات أفئدة الجماهر، و لذلک أمر النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- فى غزوة مؤتة(4) أمرا فقال: إن أصيب زيد(5) فعلى الناس جعفر(6) فإن أصيب جعفر فعليهم عبد الله بن رواحة الأنصارىّ

1- أبو عبيدة: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهرى القرشىّ، الأمير القائد فاتح الديار الشامية، و الصحابى، أحد العشرة المبشرين. قال ابن عساكر: داهيتا قريش: أبو بكر و أبو عبيدة و كان لقبه أمين الأمة. ولد بمكة و هو من السابقين إلى الإسلام، و شهد المشاهد كلها. توفى فى طاعون عمواس و دفن فى غور بيسان.- عن الأعلام.

2- السيرة النبوية 2: 857.

3- شرح السير الكبير 1: 71، 72 و الفرق بين اللواء و الراية هو أن اللواء لا يكون إلا واحدا فى كل جيش، أما الراية فهى علم لأصحاب القتال و كل قوم يقاتلون عند رايتهم، و إذا تفرقوا فى حال القتال يتمكنون من الرجوع إلى رايتهم.

4- غزوة مؤتة كانت فى جمادى الأولى سنة ثمان.

5- زيد 8 ه- 629 م: زيد بن حارثة بن شراحيل(أو شرحبيل) الكلبى، صحابى، اختطف فى الجاهلية صغيرا، و اشترته خديجة بنت خويلد فوهبته إلى النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) حين تزوّجها فتبناه النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) قبل الإسلام و أعتقه و زوّجه بنت عمته، و استمر الناس يسمّونه زيد بن محمد حتى نزلت آية(ادعوهم لآبائهم) و هو من أقدم الصحابة إسلاما، و كان النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) لا يبعثه فى سرية إلا أمّره عليها، و كان يحبه و يقدمه و جعل له الإمارة فى غزوة مؤتة فاستشهد فيها.
الإصابة 2: 24 برقم 2884 و الأعلام 2: 57.

6- جعفر ت 8 ه- 629 م: جعفر بن أبى طالب(عبد مناف) بن عبد المطلب

بن هاشم، صحابى، من شجعانهم، يقال له: جعفر الطيار، و هو أخو على بن أبى طالب و كان أسنّ من على بعشر سنين، و هو من السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة فى الهجرة الثانية ثم قدم على النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) و هو بخيبر سنة 7 ه و حضر وقعة مؤتة بالبلقاء من أرض الشام فنزل عن فرسه و قاتل حتى قتل. الإصابة 1: 248 برقم 1162 و الأعلام 2: 125.

فلمّا دنوا من العدوّ و رأوا كثرته و قوّته قالوا: نكتب إلى رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- بخبر العدوّ و عدده فيأمرنا و يمدّنا. فقال عبد الله بن رواحة: يا قوم، إنّ التى تكرهون التى خرجتم تطلبون- يعنى الشهادة- و ما نقاتل الناس بعدد و لا قوّة، و ما نقاتلهم إلّا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به، فانطلقوا فهى إحدى الحسنيين إمّا ظهور و إمّا شهادة(1).
فوافقه الجيش كلّه على هذا الرأى و نهضوا، فلمّا لقوا المشركين اقتتلوا فقتل الأمير الأوّل ملاقيا بصدره الرماح و الراية فى يده، فأخذها جعفر ابن أبى طالب و اقتحم عن فرسه و قيل عقرها، فقاتل على الراية حتّى قطعت يمينه فأخذ الراية بيساره/ (س 79) فقطعت فاحتضنها بصدره حتّى قتل عليها- رضى الله عنه- و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنة، فقال النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- أعاره الله جناحين يطير بهما فى الجنّة حيث شاء- فأخذ الرّاية بعده عبد الله بن رواحة فقاتل حتّى قتل ثمّ أخذ الرّاية خالد بن الوليد فانحاز بالمسلمين.
و إنّما القصد من هذا الحديث ثبات الراية و المحافظة عليها و كيف السنّة فى أمرها، و أنّ الذى يتولّى إمساكها يجب أن يكون من له إقدام و شجاعة و علم بالحرب و دين لا يفلّه خور مريرة و لا عور بصيرة، فحيث انتقلت الراية انتقلت معها القلوب، و إن أدبرت تبعها نفس الجلد/ (م 41) و الهيوب، و ذلك الذى حمل زيد بن الخطّاب(2) فى حرب

1- انظر أخبار غزوة مؤتة فى السيرة النبوية 2: 828 و ما بعدها.

2- زيد بن الخطاب ت 12 ه- 633 م: زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى القرشى العدوىّ، أبو عبد الرحمن، صحابىّ، من شجعان العرب فى الجاهلية و الإسلام، و هو أخو عمر ابن الخطاب، و كان أسنّ من عمر، و أسلم قبله و شهد المشاهد ثم كانت راية المسلمين فى يده يوم اليمامة فثبت إلى أن قتل و حزن عليه عمر حزنا شديدا- الإصابة 3: 27 برقم 2891 و الأعلام 3: 58.

اليمامة(1) و بيده راية خالد بن الوليد أن يصيح بأعلى صوته و قد غلب العدوّ على الرجال: أمّا الرجال فلا رجال، و أما الرجال فلا رجال، اللهمّ إنّى أبرأ إليک من فرار أصحابى، و مما جاء به مسيلمة الكذّاب(2).
و تقدّم بالرّاية فى نحر العدوّ و هو يضارب بسيفه حتى قتل- رحمه الله- فأخذها سالم مولى أبى حذيفة(3) فقال المسلمون: يا سالم إنّا نخاف أن نؤتى من قبلک فقال: بئس حامل القرآن أنا إذن إن أتيتم من قبلى.
و نادت الأنصار ثابت بن قيس(4) و هو يحمل رايتهم: يا ثابت الزمها فإنّما ملاک القوم الراية. فتقدّم سالم فحفر برجليه حتّى بلغ أنصاف ساقيه، و فعل ثابت كذلک فكان النّاس يتفرّقون يمينا و شمالا و هما قائمان حتّى قتلا- رحمهما الله- و بقيت الراية بعد سالم حتى رفعها يزيد

1- انظر خبر اليمامة فى كتاب البلدان و فتوحها و أحكامها للبلاذرى: 103.

2- مسيلمة الكذاب ت 12 ه- 633 م: مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفى الوائلى، أبو ثمامة، متنبىء من المعمّرين، ولد و نشأ فى اليمامة فى القرية المسماة اليوم بالجبيلة بقرب العيينة بوادى حنيفة فى نجد، و تلقب فى الجاهلية بالرحمن. لما وفد بنو حنيفة على الرسول أتى معهم مسيلمة و لم يقابل الرسول(صلّى اللّه عليه و سلم) بل بقى خارج مكة. و لما عاد راسل الرسول على أن يكون شريكه و كان ذلک فى أواخر سنة 10 ه و توفى الرسول. فلمّا انتظم الأمر لأبى بكر انتدب له أعظم قواده خالد بن الوليد فقضى عليه و استشهد عدد كبير من المسلمين- عن الأعلام 7: 226.

3- سالم ت 12 ه- 633 م: سالم بن معقل، أبو عبد الله، مولى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، صحابى، من كبارهم و كبار قرائهم، فارسى الأصل، أعتقته ثبيتة زوج أبى حذيفة صغيرا، و تبناه أبو حذيفة و زوّجه ابنة أخ له، و هو من السابقين إلى الإسلام كان يؤم المهاجرين الأولين قبل الهجرة فى مسجد قباء و فيهم أبو بكر و عمر، شهد بدرا و كان معه لواء المهاجرين يوم اليمامة فاستشهد و قد سبقه مولاه أبو حذيفة فأوصى أن يدفن بجانبه- الإصابة 3: 56 برقم: 3046 و الأعلام 3: 73.

4- ثابت بن قيس ت 12 ه- 633 م: ثابت بن قيس بن شماس الخزرجى الأنصارى، صحابى كان خطيب رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) و شهد

أحدا و ما بعدها من المشاهد و فى الحديث: نعم- - الرجل ثابت. و دخل عليه النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) و هو عليل فقال: أذهب الباس ربّ الناس عن ثابت بن قيس بن شماس. قتل يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر. الإصابة 1: 203 برقم: 900 و الأعلام 3: 98.

ابن قيس(1) و كان بدريا فحملها/ (س 80) حتى قتل- رحمه الله- و فى هذه الحرب صعد عمّار بن ياسر(2) على صخرة و قد قطعت أذنه، و كان ينادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أمن الجنّة تفرّون، أنا عمّار بن ياسر هلمّوا إلى فعل ذلک. حتى فتح الله على المسلمين.
فهكذا يتخيّر الرجال، و بمثل هؤلاء يقتدى، و لشبههم فى الإقدام و الدّين تملّک الرايات التى إليها يرجع و عنها يدفع و لا يصلح لذلک إلا من باع نفسه من الله سبحانه و عامل ببذلها مولاه عزّ و جلّ فنعم المولى و نعم النصير.

[وجوب حفظ السيوف]

و فى هذه الحرب فائدة يجب ذكرها، و ذلک أنّ بنى حنيفة لمّا أقبلوا نحو عسكر خالد سلّوا سيوفهم و ساروا بها مسلولة من بعد، فقال خالد لأصحابه: أبشروا فإنّهم ما سلّوا سيوفهم إلّا ليهيبوا بها، و إنّه لجبن منهم

1- يزيد بن قيس: ذكره ابن هشام فى السيرة النبوية 2: 813 فى تسمية الداريين(بنى عبد الدار) الذين أوصى لهم رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) من خيبر. و لم أجد اسمه فى البدريين- الإصابة 6: 346 برقم: 9297.

2- عمار بن ياسر 57 ق. ه- 37 ه- 567- 657 م: عمار بن ياسر بن عامر الكنانى المذحجى العنسى القحطانى، أبو اليقظان، صحابى من الولاة الشجعان ذوى الرأى، و هو أحد السابقين إلى الإسلام و الجهر به هاجر إلى المدينة و شهد بدرا و أحدا و الخندق و بيعة الرضوان و كان النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) يلقبه بالطّيب المطيّب، و هو أول من بنى مسجدا فى الإسلام(مسجد قباء بالمدينة) ولاه عمر الكوفة، فأقام زمنا و عزله عنها، و شهد الجمل و صفين مع على و قتل فى صفين و عمره 93 سنة. الإصابة 4: 273 برقم: 5699 و الأعلام 5: 36.

و فشل. فقال له مجاعة بن مرارة(1) و كان من أشراف بنى حنيفة أسيرا عند خالد: كلّا و الله، و لكنها الهندوانية و الغداة باردة، و ما فعلوه إلّا لتسخن متونها بحرّ الشّمس. فلمّا دنوا من المسلمين نادوا: إنّا نعتذر إليكم من سلّنا سيوفنا، و الله ما سللناها تهيّبا منكم و لا جبنا عنكم، و لكنها الهندوانية و الغداة باردة فخفنا تحطّمها فأردنا أن تسخن متونها إلى أن نبلغكم(2).
ففى هذا تنبيه على حفظ السيوف و تعليم الجرأة على مواطن الخوف، قال المعرى(3):
و إن ضربت بسيف الهند فى ومدفسيف إفرنجة المخبوّ للشّبم(4)

1- مجاعة بن مرارة(ت 45 ه- 665 م): من سادة بنى حنيفة، صحابى، كان بليغا حكيما من رؤساء قومه فى اليمامة، أقطعه النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) أرضا بها. و تزوّج خالد بن الوليد ابنته. و له شعر فيه حكمة. عن الأعلام 5: 277- و الإصابة 6: 42 برقم 7716.

2- انظر الخبر فى كتاب« البلدان و فتوحها و أحكامها» للبلاذرى: 104 و هو بألفاظ مقاربة.

3- المعرى(363- 449 ه- 973- 1057 م): أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى، شاعر فيلسوف، ولد و مات فى معرة النعمان(جنوبى حلب) كان نحيف الجسم، أصيب بالجدرى صغيرا فعمى فى السنة الرابعة من عمره، قال الشعر و هو ابن إحدى عشرة سنة، رحل إلى بغداد سنة 398 ه فأقام بها سنة و سبعة أشهر. و هو من أهل بيت علم كبير فى بلده.
و لما مات وقف على قبرة(84) شاعرا يرثونه. كان يملى كتبه على كاتبه على بن عبد الله ابن أبى هاشم. لم يأكل اللحم مدة خمس و أربعين سنة. من كتبه ديوان سقط الزند و ديوان لزوم ما لا يلزم و رسالة الغفران و رسالة الملائكة و الصاهل و الشاحج و غير ذلک. عن الأعلام 1: 157.

4- من مقطوعة للمعرى فى بيتين هذا ثانيهما و قبله:
أعدد لكلّ زمان ما يشاكلهإنّ البراقع يستثبتن بالشّبم.
و الشبم هنا كل خيطين فى البرقع تشده المرأة إلى قفاها. و الشبم فى البيت الثانى هو البرد لزوم ما لا يلزم 2: 452.

و الومد: الحرّ. و الشبم: البرد.
و روى أنّ رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم-/ (س 81) قال يوم بدر: إذا أكثبوكم فارموهم، و لا تسلّوا السيوف حتى يغشوكم(1).
و فى حرب اليمامة أيضا كانت الأنصار ترى أنّ دخول الأعراب بينها و الحشو من الناس يوهنهم بالفرار و إدخال الخلل، إذ لا يخاف الحشو من العار ما يخافه الصميم و أهل الأحساب و يقولون: إنّما نؤتى من قبل هذا الحشو، حتّى نادوا أميرهم: أخلصنا أخلصنا فأمرهم بذلک، فنادت كلّ فرقة بأهلها: الأنصار بالأنصار، و المهاجرين بالمهاجرين و طيّىء بطيّىء و غيرهم/ (م 42) و منهم من نادى: يا أهل القرآن، و آخرون ينادون: يا أهل سورة البقرة ... فتجيب كلّ فرقة أهلها، و تقصد كلّ طائفة رايتها.

[تقديم الثقات من أهل الجلد]

و على الأمير بعد تثقيف عسكره بتقديم الثقات من أهل الحزم و الجلد و الدّين على المقدّمة و الميمنة و الميسرة و القلب و السّاقة خلفه. و عليه أن يتفقّدهم و يتفقّد الصفوف و الجماعات و يطوف عليهم و يقوّى نفوسهم بما يعد به من النصر و الظّفر و يرغّب فى الثواب العاجل و الآجل، و قد كان رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- يفعل ذلک، فيبث الأمير فى القوم من يذكّرهم و يهوّن أمر العدوّ عليهم و يقلّله لتقوى بذلک النفوس، و لا يغفل الحذر لئلا يتراخى الناس بالاستهانة بل يخلط التأنيس بالتحذير و الابتسام بالتعبيس حتى

1- الخبر فى سيرة ابن هشام 1: 458 و فيه: قال ابن إسحاق: ثم تزاحف الناس و دنا بعضهم من بعض، و قد أمر رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم و قال: إن أكثبكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل» و أكثبكم أى كثروا عليكم.

ص: 195
تكون الاستهانة بالجزالة و الاستكانة فى البسالة. و يذكرهم أنّ العدوّ ناس مثلنا و خلق لا يزيدون علينا، و نحن أولى بالحقّ و الثبات و الصبر و الدّين ديننا و الحجة الواضحة بأيدينا.

ص: 196

ص: 197

الباب الثالث عشر فى القتال و المزاحفة و ما قيل فى التحرف و الانحياز

اشارة

ص: 198

ص: 199
فی القتال و المزاحفة و ما قیل فی التحرّف و الانحیاز

[وجوب الصبر و آيات قرآنية]

قال اللّه تعالى وَ لَمَّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ(1) فهزموهم بإذن اللّه. و قال جلّ ذكره وَ ما كانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ إِسْرافَنا فِي أَمْرِنا وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ، فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوابَ الدُّنْيا وَ حُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(2) و روى أنّ النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- قال: ثنتان لا تردّان: الدعاء عند الأذان، و الدعاء عند البأس حين يلحم بعضه بعضا. و فى رواية: و تحت المطر(3).

1- سورة البقرة 2: 250. و جالوت المذكور كان محاربا قويا فى زمن الملك داود، تحدى جيش بنى إسرائيل أن يرسلوا له أحد أبطالهم لمقاتلته، فتطوع داود لذلك، و كان كل سلاحه نبلا و خمسة حجارة. و رغم ذلك تقدم واثقا من أنه على الحق، و رمى الحجر الأول فأصاب جالوت فى جبهته فقتله ثم قطع رأسه. وردت القصة فى القرآن الكريم فى سورة البقرة و جاء فيها أن داود هو الذى قتل جالوت. و كان طالوت ملك بنى إسرائيل قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته و يشاطره نعمته و يشركه فى أمره فوفى له. ثم آل الملك إلى داود عليه السلام مع ما منحه اللّه من النبوة العظيمة. و لهذا قال تعالى: و آتاه اللّه الملك و الحكمة« البقرة 2/ 251» أى الملك الذى كان بيد طالوت. و الحكمة أى النبوة.- عن الموسوعة العربية العالمية 8: 132.

2- سورة آل عمران 3/ 147، 148.

3- الحديث فى فيض القدير 6: 2855 برقم: 3565 عن سهل بن سعد. قال محققه أخرجه أبو داود فى سننه 3: 2540 و ابن حبان فى صحيحه 1764 و أخرجه الحاكم فى المستدرک 1: 198 و البيهقى فى سننه 3: 360 و الدارمى فى سننه 1: 1200 و ابن خزيمة فى صحيحه 1: 419 عن سهل بن سعد. قال الحاكم: تفرد به موسى بن يعقوب و وافقه الذهبى و صححه الألبانى فى صحيح الجامع 1: 3079، و الرواية بزيادة« و تحت المطر» فى فيض القدير 6: 2855 برقم 3566 و انظر كتاب الأذكار للنووى: 188.

ص: 200

[وجوب الثبات عند لقاء العدو]

و قال- صلّى اللّه عليه و سلم- لا تمنّوا لقاء العدوّ و اسألوا الله العافية، فإذا ألفيتموهم فاثبتوا و اذكروا الله. و روى فاصبروا و اعلموا أنّ الجنة تحت ظلال السيوف. فإذا صاحوا فعليكم بالصّمت و السكينة و لا تنازعوا فتفشلوا، فإذا أتوكم فاثبتوا و أكثروا ذكر الله و عليكم بالأرض و قولوا: اللهّم أنت ربّنا و ربّهم، و نواصينا و نواصيهم بيدک و إنما يغلبهم لنا أنت، فاهزمهم لنا، و إذا غشوكم غضوا أبصاركم و احملوا على بركة الله(1).

قال سحنون: و يكره الخفّة و الطيش عند الفزع فى العسكر، و ينبغى التثّبت و السّكينة و ترک العجلة حتّى يتيسّر الأمر. و روى نحوه عن النبى- صلّى اللّه عليه و سلم-(2)
و عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنّه قال: اتّقوا الله و غضّوا الأبصار و أقلّوا الكلام و أميتوا الأصوات، فإنّه أولى بالوقار، و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب/ (م 43) ريحكم، و اصبروا إنّ الله مع الصابرين(3).

1- انظر الأذكار للنووى 188 و كتاب الجهاد 139 برقم 10 و ذكر أنه فى البخارى و مسلم و انظر عيون الأخبار 1: 123. أما قوله« الجنة تحت ظلال السيوف» فقد ورد وحده فى فيض القدير برقم 3643 عن أبى موسى(صحيح) و ذكر محققه أنه فى مسند أحمد 4: 396، 410، 411 و الحاكم فى المستدرک 2: 70 و القضاعى فى مسند الشهاب 1: 81 و ابن عدى فى الكامل 2:
147 و الديلمى فى مسند الفردوس 2: 2432 عن أبى موسى و قال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم .. و انظر كتاب الجهاد لابن أبى عاصم 138 برقم 9 و الحديث فى البخارى و مسلم .. و هو فى كتاب أمثال الحديث للرامهرمزى ص 118 برقم 81 و قال: و هذا حث منه على الجهاد، و معناه أن حامل سيفه فى سبيل الله مطيعا لله به يصل إلى الجنة.

2- فى مسند أحمد 5: 202 عن كريب مولى عبد الله بن عباس عن أسامة بن زيد قال: كنت ردف رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) عشية عرفة، فلما وقعت الشمس دفع رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) فلما سمع حطمة الناس خلفه قال: رويدا أيها الناس عليكم السكينة فإن البر ليس بالإيضاع .. و انظر إعراب الحديث 58 برقم 15.

3- انظر كلاما بهذا المعنى فى العقد 1: 97 و عيون الأخبار 1: 108 و جاء فى شرح السير- - الكبير 1: 89 برقم 81 و لا يستحبّ رفع الصوت فى الحرب من غير أن يكون ذلک مكروها من وجه الدين، و لكنه فشل، فإن كان فيه تحريض و منفعة للمسلمين لا بأس به.

ص: 201
قال سحنون: يكره رفع الصوت عند اللقاء، و أمّا إن كان تحريضا و إحياء لقلوب المسلمين و نفعا لهم فلا بأس به.

[تخير وقت القتال]

و قال النعمان بن مقرّن: شهدت مع النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- فكان إذا لم يقاتل أول النهار أخّر القتال حتّى تزول الشمس و تهبّ الرياح. و قد تقدّم هذا.
و من سماع ابن القاسم قال: قلت لمالک: هل بلغک أنّ النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- كان يتخيّر قتال العدوّ بعد الزوال؟
قال: ما بلغنى ذلک و ما كان قتاله أهل خيبر إلّا فى أوّل النهار حين خرجوا بمساحيهم و مكاتيلهم و كذلک يوم أحد.

و يعلم الرجل الباسل الشجاع بما يتشهّر به فى الصفوف و يتميّز به فى الجيوش، مثل ركوب الأبلق و الأدهم فى الشّقر و الشّهب، و ركوب الأشقر و الأشهب فى الدّهم، و منع ذلک أبو حنيفة. قال القاضى أبو الحسن الماوردى(1): و ليس لمنع ذلک وجه(2).

1- الماوردى 364- 450 ه- 974- 1058 م: على بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردى، أقضى قضاة عصره من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، ولد فى البصرة و انتقل إلى بغداد و ولى القضاء فى بلدان كثيرة ثم جعل« اقضى القضاة» فى أيام القائم بأمر الله العباسى، و كان يميل إلى مذهب الاعتزال .. و له المكانة الرفيعة عند الخلفاء. نسبته إلى بيع ماء الورد و وفاته ببغداد.
طبقات الشافعية الكبرى 3: 303 و الأعلام 4: 327.

2- النقل عن الأحكام السلطانية: 38.

و روى أن رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- قال يوم بدر: تسوّموا فإنّ الملائكة قد تسوّمت(1). «و السمة: العلامة»
و كان أبو دجانة(2) الأنصاريّ له عصابة حمراء إذا عصبها فى الحرب علم الناس أنّه سيقاتل فيبلى و ذلک بمحضر النبى- صلّى اللّه عليه و سلم- و لا بأس بلباس الحرير للرجال عند اللقاء، أجازه مالک و غير واحد من صاحب و تابع و ذلک لإرهاب العدوّ و مباهاته
و روى أن النبى- صلّى اللّه عليه و سلم- أعطى الزّبير ساعدى ديباج ليقاتل بهما، و لبسه أنس بن مالک فى قتال فارس، قال ابن القاسم: و لا بأس أن يتّخذ منه راية فى أرض العدوّ(3).

1- الحديث فى الأحكام السلطانية 38 و فى نهاية الأرب نقلا عن نهاية ابن الأثير« سوّموا فإن الملائكة قد سوّمت» أى اعملوا لكم علامة يعرف بها بعضكم بعضا- انظر نهاية الأرب 6: 155.

2- أبو دجانة ت 11 ه- 632 م: سماک بن خرشة الخزرجى البياضى الأنصارى المعروف بأبى دجانة، صحابى، كان شجاعا بطلا له آثار جميلة فى الإسلام، شهد بدرا، و ثبت يوم أحد، و أصيب بجراحات كثيرة و استشهد باليمامة، كانت له مشية عجيبة فى الخيلاء يضرب بها المثل، نظر إليه النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) فى معركة و هو يتبختر بين الصفين فقال: هذه مشية يبغضها الله تعالى إلا فى هذا المكان و كان يقال له ذو المشهرة و هى درع يلبسها فى الحرب و ذو السيفين لقتاله يوم أحد بسيفه و سيف رسول الله ..- الإصابة 7: 57 برقم 371 و الأعلام 3: 138. 139. و انظر أخباره فى السيرة النبوية 2: 589(غزوة أحد) و الأحكام السلطانية: 40.

3- جاء فى شرح السير الكبير 4: 1425 برقم 2755 أن أبا حنيفة كره الديباج و الحرير المصمت فى الحرب، و لم ير أبو يوسف و محمد رحمهما الله بذلک بأسا فى الحرب محتجا بحديث أبى هريرة:« لا بأس بلبس الحرير و الديباج فى الحرب» فبظاهره أخذ و قال أبو حنيفة: تأويله الملحم و هو ما يكون سداه غير حرير و لحمته حرير و هذا لا بأس بلبسه فى الحرب و إن كان يكره لبسه فى غير الحرب، فأما ما يكون سداه حريرا و لحمته غير حرير فلا بأس بلبسه فى الحرب و غير الحرب، و عليه أيضا يحمل حديث

الزبير أنّ له يلمق الديباج يلبسه فى دار- - الحرب(اليلمق: القباء المحشو) فأما إذا كان حريرا مصمتا فذلک مکروه على ما روى أن الوليد بن أبى هشام كتب إلى ابن محيريز يسأله عن يلامق الحرير و الديباج فى الحرب، فكتب إليه أن كن أشدّ ما كنت فى الحرب كراهية لما نهى رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) عند التعرض للشهادة.

قال ابن حبيب: و استحبّ أهل العلم تسويم الخيل عند اللقاء لقوله سبحانه يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ(1) أى معلمين. قال مجاهد: كانت خيلهم معلمة فى أذنابها بالصّوف الأبيض.
و قال غيره: سيما الملائكة العمائم و سيما خيلهم الصوف الأبيض. و قيل: إنّ خيلهم يوم بدر كانت بلقا(2).
قال ابن إسحاق: لمّا قدم المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب(3) من غزوة بدر قال له أبو لهب(4): هلّم إلىّ فعندک لعمرى الخبر فجلس إليه فقال: يا بن أخى كيف كان أمر الله(5)؟
قال: و الله ما هو إلّا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف

1- سورة آل عمران 3: 125

2- انظر السيرة النبوية 1: 464(أخبار وقعة بدر).

3- المغيرة بن الحارث ت 20 ه- 641 م: المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، أبو سفيان الهاشمى القرشي، أحد الأبطال الشعراء فى الجاهلية و الإسلام، و هو أخو رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) من الرضاع، كان يألفه فى صباهما، و لما أظهر النبى الدعوة إلى الإسلام عاداه المغيرة و هجاه و هجا أصحابه. أسلم عام الفتح و شهد فتح مكة و وقعة حنين و أبلى بلاء حسنا. و رضى عنه النبى و صار يقال له: أسد الله و أسد الرسول. مات بالمدينة و صلّى عليه عمر. عن الأعلام.

4- أبو لهب 2 ه- 624 م: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم. من قريش، عم رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) و أحد الأشراف الشجعان فى الجاهلية، و من أشد الناس عداوة للمسلمين فى الإسلام. كان غنيا عتيا، كبر عليه أن يتبع دينا جاء به ابن أخيه، فآذى أنصاره و حرض عليهم، و قاتلهم، و نزل القرآن بذمه. كان أحمر الوجه مشرقا فلقّب فى الجاهلية بأبى لهب. مات بعد وقعة بدر بأيام و لم يشهدها. عن الأعلام 4: 12.

5- فى السيرة النبوية 2: 476 كيف كان أمر الناس؟ و انظر الخبر ثمة.

شاؤوا، و يأسروننا كيف شاؤوا، و لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء و الأرض، و الله ما تليق شيئا و لا يقوم لها شىء.
و كان أبو رافع(1) مولى رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- جالسا إلى طنب الخباء، فرفع الطّنب و قال: تلك و الله الملائكة.
و عن محمد بن السائب(2) قال: لمّا كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- لمن معه: كيف تقاتلون؟

[كلام عاصم فى كيفية القتال]

فقام عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح(3) فأخذ الفرس و أخذ النّبل فقال: أى رسول الله، إذا كان القوم قريبا من المئتى ذراع أو نحو ذلک كان الرمى بالقسىّ، و إذا دنا القوم حتّى تنالنا و تنالهم الرماح كانت المداعمة بالرماح حتى تقصف، فإذا تقصفت وضعناها و أخذ السيف فتقلّده و استلّه و قال/ (م 44) و كانت المجادلة بالسيوف.
قال: فقال رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- بهذا أنزلت الحرب، من قاتل فليقاتل قتال عاصم
و قد تقدّم ذكر قتال العدوّ إذا ترّسوا الأسارى و النساء و الأطفال، فانظره هناک.

1- أبو رافع: لرسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) موليان يعرف كل منهما بأبى رافع، فأحدهما قبطى، اختلف فى اسمه و لم يشهد بدرا. أما أبو رافع الآخر فقد كان عبدا لأبى أحيحة سعيد بن العاص بن أمية فقد أسلم و هاجر. الإصابة 7: 65، 66 برقم 389 و رقم 394.

2- فى الأصل: الحسن بن السائب و هو غلط و الصواب ما أثبتناه. و المقصود به محمد بن السائب الكلبى.

3- عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح: صحابى جليل، أبلى بلاء حسنا، أبو سليمان، من السابقين الأولين، شهد بدرا و أحدا مع رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) و استشهد يوم الرجيع، و رثاه حسان ابن ثابت. الإصابة 4: 3 برقم 2340 و الأعلام 3: 248 و السيرة النبوية 2: 666 و ما بعدها أخبار يوم الرجيع و يومها أطلق على عاصم: حمى الدّبر.

ص: 205

[الانهزام و عدم جوازه و الفرق بينه و بين الانحياز]

و لا يجوز الانصراف من صفّ القتال إن كان فيه انكسار، و إن لم يكن فيجوز أن يكون متحرّفا لقتال فى استراحة أو مكيدة، و متحيّزا إلى فئة يتقوّى بها و يتظافر معها، قال الله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ، وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ(1)
الزحف: الدنوّ، و المزاحفة: التدانى و المعنى- و الله أعلم- الأمر بأن لا يفرّ المؤمنون من الكفّار إذا تدانى بعضهم من بعض عند القتال.
و قيل: المعنى أن لا فرار عند المواقعة و أن لا نفار عند المشاقة و قيل: إنّ هذا على العموم، و قيل: إنّه على الخصوص، و تولية الأدبار كناية عن الهزيمة. و المتحرّف و المتحيّز قريب فى المعنى. و ذلک القصد إلى جهة يغلب على الظنّ المعونة فيها و التقوّى بها.
و قال الضحاک(2): المتحرّف: المتقدّم من أصحابه ليظفر بعورة العدوّ.
و المتحيّز: الراجع إلى أميره و أصحابه. و قيل: إنّما التحرّف و التحيّز فى مراوغة الحرب، فإنّها طلب و هرب و كرّ و فرّ. و الله أعلم.
و معنى: باء بغضب من الله: رجع به و حمله. و أمّا التحيّز إلى فئة فسواء قربت الفئة أو بعدت.

1- سورة الأنفال 8: 15، 16.

2- الضحاک ت 180 ه- 796 م: ربما كان يريد به الضحاک بن عثمان بن عبد الله الأسدى الحزامى المدنى القرشى، علّامة قريش بأخبار العرب و أيامها و أشعارها فى المدينة. كان من أكبر أصحاب مالک بن أنس.

روى أنّ عمر رضى الله عنه قال لأهل القادسية حين انهزموا: أنا فئة لكلّ مسلم(1)، و لم ير ذلک مالک رحمه الله. فلا يجوز الانهزام من المثلين فما دون ذلک، و قد كان الله تعالى فرض فى أوّل الإسلام قتال عشرة من الكفرة فقال سبحانه: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتالِ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا(2) ثمّ خفّف ذلک لقوّة الإسلام و كثرة أهله، و فرض على كلّ رجل قتال رجلين بقوله تعالى: الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ(3) فحرم الانهزام من المثلين فأقلّ و هو مذهب مالک و أصحابه، و أنّ الفرار من الكبائر و نحوه.
و عن ابن عبّاس أنّ الآية محكمة و حكمها باق إلى اليوم و عن الحسن و قتادة و الضحاک أنها مخصوصة بأهل بدر و الله أعلم. و يجوز إذا زادوا على ذلک و لم يجدوا إلى المصابرة سبيلا.
روى أنّه لما رجع جيش مؤتة تلقّاهم رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- فجعل المسلمون يحثون التراب عليهم و يقولون: يا فرّار و رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- يقول: ليسوا بالفرّار و لكنّهم الكرّار إن شاء الله(4).

1- الأحكام السلطانية: 45 و نهاية الأرب 6: 160

2- الأنفال 8: 65.

3- الأنفال 8: 66.

4- انظر الخبر فى السيرة النبوية 2: 836 و ورد بعد هذا الكلام فى السيرة قوله(صلّى اللّه عليه و سلم): أنا فيئكم و الصواب: أنا فئة لكم إذ لا معنى للفىء فى هذا السياق. و عنه اقتبس عمر بن الخطاب قوله المذكور أعلاه. و معناه: أنه لا يجوز للمقاتل أن يترک القتال و يولّى إلا لاستراحة أو لمكيدة ثم يعود إلى القتال و إما أن يتحيز إلى فئة أخرى يجتمع معها على قتالهم سواء قربت الفئة أو بعدت. و انظر الكلام فى ذلک فى الأحكام السلطانية 45 و نهاية الأرب 6: 160.

و اختلف فی المعتبر بالمثلیّة: هل النظر إلی صورة العدد إذ هو ظاهر الآیة و به قال ابن القاسم و جمهور أصحاب/ (م 45) مالک. أو النظر إلی القوّة و الجلد إذ هو المقصود و علیه المعوّل فی المدافعة. رواه ابن الماجشون(1).
و هذا إن علمت القوة و الجلد، فإن جهل ذلک اعتبر العدد بلا خلاف و اختلف فیمن عجز عن مصابرة اثنین و أشرف علی القتل إن ثبت، هل یجوز انهزامه؟ فقالت طائفة: لا یجوز و إن قتل للنصّ علی ذلک.
و قالت طائفة: یجوز ناویا التحرّف و التحیّز علی قول عمر: أنا فئة لکل مسلم، فیسلم من القتل. و من تأثّم خلاف النصّ فلن یعجز عن النیّة إن عجز عن المصابرة.
و قال أبو حنیفة: النصّ منسوخ و الاعتبار به التفضیل، و علیه أن یقاتل ما أمکنه و ینهزم إذا عجز عن المصابرة و خاف القتل. و فی هذا المذهب علی هذا القول أنّ الانهزام لا یکون إلّا بعد القتال لقوله: یقاتل ما أمکنه و ینهزم إذا عجز عن المصابرة فلا ینهزم علی ذلک و لا یجوز له إلّا بعد القتال و إلّا فلا و بذلک یتبیّن العجز.
ثم النظر فی الانهزام یحتمل وجوها:
منها أنّه لا یقطع بالنجاة فی انهزامه و لا یظنّ به السلامة فلا یجوز إذ لعلّه یقتل مدبرا و لا ینجیه الفرار
و منها أنه قد یکون مع جماعة یجنی علیها بفراره الخلل و الفشل إن فرّ عنها وحده فیکون سببا لقتلهم، فإنّ الجماعة بعضها ببعض و لذلک

1- ابن الماجشون 212- 827 م: عبد الملک بن عبد العزیز بن عبد الله التیمی بالولاء، أبو مروان، ابن الماجشون فقیه مالکی فصیح، دارت علیه الفتیا فی زمانه و علی أبیه قبله، أضرّ فی آخر عمره و کان مولعا بسماع الغناء فی إقامته و ارتحاله. عن الأعلام 4: 160.

قال الله تعالى: كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ(1) و قال النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- «يد الله على الجماعة ما ائتلفت قلوبهم»(2) فمن فرّ عرّض الباقين للقتل و ذلک لا يحلّ.
و منها أن تفرّ الجماعة بأسرها للعجز عن المصابرة، فإن طمعوا فى النجاة جاز على وجه التحيّز و الامتناع و إن لم يطمعوا فى النجاة لم يجز الفرار(3).
و أمّا إن انحاز بالجمع قائده أو أميره أو رئيس يجتمع إليه فذلک جائز كما فعل خالد بن الوليد يوم مؤتة لمّا قتل الأمراء قبله فلم يعنّفه النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- لأنّ فعل ذلک على وجه النظر و الحكم لغلبة الظنّ بالسلامة و الله أعلم(4).
و أمّا ما يفعله أهل الفشل و الخور و الخذلان فى هذا الزمن من الانهزام عند رؤية العدوّ قلّ أو كثر قبل التّلبّس بالقتال و مدافعة الأبطال و تعريض الضّعفاء لما قد جرت به العادة الرّذلة من القتل و الأسر فهذا ما

1- سورة الصف 61: 4.

2- ورد الحديث فى شرح السير الكبير: يد الله مع الجماعة فمن شذّ شذّ فى النار. شرح السير الكبير 1: 33.

3- انظر هذه الأحكام فى نهاية الأرب 6: 160 و ما بعدها و الأحكام السلطانية 45. و فى شرح السير الكبير 1: 123- 125.

4- يوم مؤتة استشهد أولا زيد بن حارثة ثم استشهد جعفر بن أبى طالب ثم استشهد عبد الله بن رواحة« ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بنى العجلان، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم، و حاشى بهم، ثم انحاز و انحيز عنه، حتى انصرف بالناس». انظر السيرة النبوية 2: 833(ذكر غزوة مؤتة).

لا يجوز لمسلم بوجه، و فيه معرّة الحال و سوء مظنّة المآل و الله يعصم مما يصم. و لم ير مالک- رحمه الله- ما جاء عن عمر رضى الله عنه من التحيّز إليه فى قوله: أنا فئة لكلّ مسلم و قال: الأحبّ أن لا يتحرّفوا إلى فئتهم إلّا عن خوف الهلكة و قاله عبد الملک.
قال ابن الموّاز: و إنما الانحياز إلى أولى جيشه الأعظم الذى دخل معه، و ربّما كانت سريّة دون سريّة فتنحاز المقدمة إلى التى خلفها ثم ينحازوا عن أكثر من مثليهم إلى فئتهم حتّى يبلغ الانحياز إلى الجيش الأعظم و واليهم الأكبر.
و أمّا الانحياز عن المثلين و فى الغلبة طمع فلا يجوز، و لا يمكن لأمير الجيش ما يكون للسرايا من الانحراف و التولّى، و لهم الثبوت لأكثر من المثلين بأضعاف كثيرة.
قيل لمالک: فإن علموا أنهم مقتولون إن ثبتوا؟ قال: أحبّ إلىّ/ (م 46) أن ينصرفوا إذا وجدوا إلى ذلک سبيلا، و إن لم يجدوا فلهم أن يقاتلوا حتّى يقتلوا، فمن احتسب نفسه على الله فهو الشهيد، و من ثبت حتى قتل و هو يجد منصرفا و قد علم أنّه إن ثبت قتل فيرجى له أفضل الشهادة و إنّما هى لمن أيقن بالموت قبل أن يموت فاحتسب نفسه و آثر لقاء الله، كما فعل الرجل الذى كانت بيده تمرات يأكلهنّ فقال: ما بينى و بين الجنّة إلا هذه التمرات، فرمى بها من يده و قاتل حتى قتل(1).
عن أبى هريرة قال: قال رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- ثلاثة يحبّهم الله حبا

1- هو عمير بن الحمام فى غزوة بدر. انظر السيرة النبوية 1: 459.

شديدا .. الحديث، و فيه: و رجل فى فئة فى سبيل الله فانهزموا فصبر و استقبل العدوّ بنحره و قال: اللهمّ أنّى قد اخترتک اليوم. فيقول الله تعالى لملائكته: ما ذا يريد عبدى- و هو أعلم- انهزم أصحابه و بقى، فيقولون: ربّنا يرجو رحمتک و يخشى عذابک. فيقول: ما كنت لأعذّبه و قد جاد لى بنفسه، أشهدكم أنّى قد غفرت له ذنوبه و أبحته الجنة بحذافرها، ينزل حيث شاء منها(1).
و أمّا من حمل وحده على الجيش فقال أشهب عن مالک: أخاف أن يكون ألقى بيده إلى التّهلكة. و ليس ذلک سوى من كان فى الجيش الكثيف فيحمل وحده مضطرّا فهذا خفيف و الآخر غير مضطر. و أمّا من يحمل يريد السّمعة و التحدّث فى الشجاعة فلا، و الشهيد من احتسب نفسه على الله.
و فى كتاب ابن حبيب: لا بأس أن يحمل الرجل وحده على الكتيبة و الجيش إذا كان ذلک لله، و كانت فيه شجاعة و نجدة و قوّة.
و مثل ذلک قال ابن القاسم: أن يحمل على عشرة آلاف إذا كانت غلبته قوة و ليس ذلک من الإلقاء إلى التّهلكة، و إنما نزلت وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ(2) فى ترک الإنفاق فى الجهاد. قال أبو أيوب

1- فى فيض القدير ثلاثة أحاديث بهذا المعنى عن أبى ذر 6: 2845 برقم: 3549 و هو صحيح و عن أبى ذر 6: 2846 برقم: 3551 و عن ابن مسعود 6: 2847 برقم: 3552.

2- سورة البقرة 2: 195، جاء فى زاد المسير 1: 202، 203: هذه الآية نزلت على سبب فيه قولان:
أحدهما: أن النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) لما أمر بالتجهيز إلى مكة قال ناس من الأعراب: يا رسول الله بماذا نتجهز فو الله ما لنا زاد و لا مال. و الثانى أن الأنصار كانوا ينفقون و يتصدقون فأصابتهم سنة فأمسكوا فنزلت.
و فى المراد بالتهلكة ههنا أربعة أقوال:- - أحدها: أنها ترک النفقة فى سبيل الله.
و الثانى: أنها ترک القعود عن الغزو شغلا بالمال.
و الثالث: أنها القنوط من رحمة الله.
و الرابع: أنها عذاب الله.

الأنصارى:(1) نزلت حين أردنا أن نقيم فى أموالنا و نصلحها و ندع الجهاد بعد ما نصر اللّه نبيّه و ظهر الإسلام فأنزل اللّه تعالى: وَ أَنْفِقُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ لا تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی التَّهْلُکَةِ(2).
و قال أشهب فى قوم نفروا فى طلب العدو، فأدركهم واحد من المسلمين أن يحمل عليهم إن احتسب نفسه و لم يرد الفخر فذلک حسن و إلّا فلينحرف إلى أصحابه و قال عن مالک: من لقى العدوّ عشرة أو أكثر أيقاتلهم أو ينصرف إلى عسكره إذا أمكنه(3)؟
قال: ذلک واسع، و أحبّ إلىّ أن ينصرف إن لم تكن فيه قوة على قتالهم.
قال محمد: و من أحاط به العدوّ و هو وحده و يدعى إلى الأسر فله أن يقاتل و له أن يستأسر.
قال ابن القاسم: و لا يحلّ للنّاس إن فرّ إمامهم أن يفرّوا من مثلى

1- أبو أيوب ت 52 ه- 672 م: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة من بنى النجار، صحابى، شهد العقبة و بدرا و أحدا و الخندق و سائر المشاهد، و كان شجاعا صابرا تقيا محبا للغزو و الجهاد، عاش إلى أيام بنى أمية و كان يسكن المدينة، فرحل إلى الشام، و لما غزا يزيد القسطنطينية فى خلافة أبيه معاوية صحبه أبو أيوب غازيا فحضر الوقائع، و مرض، فأوصى أن يوغل به فى أرض العدو. فلما توفى دفن فى أصل حصن القسطنطينية. عن الأعلام.

2- سورة البقرة 2: 195

3- جاء فى شرح السير الكبير 4: 1512 برقم: 2963 و لو أن مسلما حمل على ألف رجل وحده فإن كان يطمع أن يظفر بهم أو ينكأ فيهم فلا بأس بذلک لأنه يقصد بفعله النيل من العدو.

عدوّهم. قال: و من فرّ من الزّحف عن المثلين لم تقبل شهادته إلّا أن يتوب فتظهر توبته. و فى كتاب ابن سحنون قال عقبة بن عامر: الفرار الأعظم من الزّحف إذا التقت الفئتان. و قال أهل العراق: لا يفرّ اثنا عشر ألفا من العدوّ و إن كثر لقول النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- لن تغلب اثنا عشر ألفا من قلّة/ (م 47)(1).
و قال سحنون: لا أعرف هذا، و قد كان المسلمون يوم اليرموک ثلاثين ألفا و العدوّ مئة ألف. فرأى أبو عبيدة و خالد القتال، و قال غيرهما:
ننحاز إلى فئة و نشاور أمير المؤمنين. ثم عزم أبو عبيدة على القتال.
و روى ابن وهب عن ربيعة(2): و سئل عن أهل مدينة حاصرها العدوّ فضعفوا عن القتال و ليس عندهم ما يكفيهم، أيخرجون فيقاتلون أم يصبرون حتّى يموتوا جوعا أو يقتلوا؟ قال: بل يخرجون أحبّ إلىّ.
و قال فى كتاب ابن سحنون: و إن بلغ بهم الجوع و العطش مبلغا لا قوّة لهم به على القتال، فإن طمعوا فى الأسر نجاة و معاذة و قد عرف ذلک من العدوّ فى غيرهم فليخرجوا إليهم، و إن كان القتل فليصبروا للموت جوعا و عطشا. و قيل: هذا إذا غلب على الظنّ أن إحدى الميتتين أخفّ و أهون

1- شرح السير الكبير 1: 124 برقم 124 و انظر قوله(صلّى اللّه عليه و سلم): لن نغلب اليوم من قلة» فى السيرة النبوية 2: 890(يوم حنين).

2- ربيعة ت 136 ه- 753 م: ربيعة بن فروخ التيمى بالولاء المدنى، أبو عثمان، إمام حافظ، فقيه مجتهد، كان بصيرا بالرأى فعرف ب« ربيعة الرأى» و كان من الأجواد و به تفقه الإمام مالک. و كان ربيعة صاحب الفتوى بالمدينة- تهذيب التهذيب 3: 258 و الأعلام 3: 17.

طلبت. كأهل مركب قاتلهم العدوّ فأضرم النار عليهم فلهم الفرار من الحرق إلى الغرق لأنه أخفّ موتا و الله أعلم(1).

[عقر خيل العدو]

و يجوز عقر خيل العدوّ إذا قاتلوا عليها، و منع من ذلک بعضهم، و قد عقر حنظلة بن الراهب(2) يوم أحد فرس أبی سفيان بن حرب و استعلی عليه ليقتله فبدر إليه ابن شعوب(3) و هو يقول:
لأحمينّ صاحبی و نفسیبطعنة مثل شعاع الشمس

ثم طعن حنظلة فقتله و استنقذ أبا سفيان فخلص و هو يقول:
و ما زال مهری مزجر الكلب منهملدن غدوة حتّی دنت لغروب
أقاتلهم طرا و أدعو بغالبو أدفعهم عنی بركن صليب
و لو شئت نجّتنی حصان طمرّةو لم تجعل النعماء لابن شعوب

فجاوبه ابن شعوب حين لم يشكره فقال:
و لولا دفاعی يابن حرب و مشهدیلألفيت يوم النعف غير مجيب
و لو لا مكرّ المهر بالنّعف قرقرتضباع عليه أو ضراء كليب(4)

1- انظر تفصيل القول فی ذلک فی كتاب شرح السير الكبير 4: 1509 برقم: 2955 و ما بعدها.

2- حنظلة بن الراهب هو حنظلة بن أبی عامر، أنصاری من الأوس و يعرف بغسيل الملائكة كان أبوه فی الجاهلية يعرف بالراهب و اسمه عمرو أو عبد عمرو و لم يسلم و أسلم حنظلة و حسن إسلامه و استشهد فی أحد. عن الإصابة 2: 44 برقم: 1859 و السيرة النبوية 2: 595.

3- ابن شعوب هو شداد بن الأسود كان من أبطال المشركين يوم أحد و قد دافع عن أبی سفيان ابن حرب و كان علی و شک أن يقتل علی يد حنظلة بن الراهب فی أحد. انظر الخبر فی السيرة 2: 595، 596.

4- انظر الخبر مع الشعر فی السيرة النبوية 2: 595، 596.

و أما إذا أراد المسلم عقر فرس نفسه فلا يجوز له مادام فيه قوّة و رجاء لما فی الفرس من المنّة و القوّة لفارسه فی الدفاع به و الکرّ و الفرّ إلّا أن یعلم أنّه قد أحیط به و لا منجی له علیه، و یخاف أن یتقوّی به العدوّ، فیجوز له ذلک کما فعل جعفر بن أبی طالب رضی الله عنه فی غزاة مؤتة حیث اقتحم عن فرسه فعقرها و قاتل علی الرایة حتّی قتل(1). و هو أوّل من عقر فرسه فی الإسلام. و کان أحفظ لدینه من أن یفعل ما یمنع منه الشرع و لم ینکر ذلک علیه أحد.

1- الخبر بلفظه فی السیرة النبویة 2: 832(ذکر غزوة مؤتة).

ص: 215

الباب الرابع عشر فى مصابرة العدوّ و مواقفته عند اللقاء

اشارة

ص: 216

ص: 217
فی مصابرة العدوّ و مواقفته عند اللقاء (م 48)

[وجوب المصابرة و الطاعة]

على الأمير و من معه من حقوق الله تعالى مصابرة العدوّ و إن تطاولت بهم المدّة ما كانت لهم القوة، قال الله العظيم يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(1) و فى ذلک أقوال:
أحدهما: اصبروا على طاعة الله و صابروا عدوّ الله، و رابطوا فى سبيل الله.
و الثانى: اصبروا على دينكم، و صابروا الوعد الذى وعدتكم، و رابطوا عدوّى و عدوّكم.
و الثالث: اصبروا على الجهاد و صابروا العدوّ و رابطوا بملازمة الثّغر.
و قد ذكرنا تفسير الصبر و الرباط و ما معناهما فى اللغة. و قال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(2) و حقيقة الصبر هى الصبر على إمضاء الحقائق و إن شقّت، و احتمال المكاره فى ذات الله و إن جلّت، و الثّبات فى جميع الشدّة من غير جزع و لا خور إلا رضى و تسليما.

1- سورة آل عمران 3: 200.

2- سورة الأنفال 8: 45، 46.

ص: 218
قال بعض حكماء الفرس: كما أنّ الحديد يعشق المغنطيس فكذلک الظّفر يعشق الصبر فاصبر تظفر.
و قال نهشل بن حرّی(1):
و يوم كأنّ المصطلين بحرّه‌و إن لم تكن نار قيام على الجمر
صبرنا له حتّى تبوخ و إنّماتفرّج أيام الكريهة بالصبر(2)

«معنى يبوخ يخبو»

[ذكر بعض أهل الثبات و العزيمة و بعض أخبارهم]

و لنذكر هنا بعض أهل الثبات و العزيمة و من يقتدى بهم من أهل الشّيم الكريمة، فمصابرة العدوّ آكد حقوق الجهاد و أعزّ طرق الإعداد بالله و الاعتماد.
روى أنّ خالد بن الوليد قال: انقطعت فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف و بضعة عشر رمحا، فما بقى فى يدى إلّا صفيحة يمانية صبرت فى يدى.
و قاتل قتادة بن النعمان يوم أحد حتى أصيبت عينه فسألت حدقته فردّها النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- و قال: اللهمّ اكسه جمالا. فكانت أحسن عينيه و أصحهما(3).

1- نهشل بن حرىّ ت 45 ه- 665 م: نهشل بن حرّى بن ضمرة الدارمى، شاعر مخضرم، أدرک الجاهلية و عاش فى الإسلام، و كان من خير بيوت بنى دارم، أسلم و لم ير النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) و صحب عليا فى حروبه و كان معه فى وقعة صفين. و بقى إلى أيام معاوية و كان أبوه حرىّ شاعرا و جدّه ضمرة بن ضمرة كان شاعرا. عن الأعلام 8: 49.

2- البيتان فى عيون الأخبار 1: 25 و العقد 1: 107 و الحماسة 189 بشرح المرزوقى.

3- خبر قتادة فى السيرة 2: 600، 601(أخبار غزوة أحد).

و روى أنّ رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- قال يوم أحد: من يأتينى بخبر سعد بن الربيع(1) الأنصارىّ؟ فقال رجل: أنا.
فذهب بين القتلى، فقال له سعد: ما شأنك؟
فقال الرجل: بعثنى رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- لآتيه بخبرك.
قال: فاذهب فأقره السلام منى و أخبره أنى قد طعنت اثنتى عشرة طعنة و أنى قد أنفذت مقاتلى، و أخبر قومى أنّهم لا عذر لهم عند الله إن قتل رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- و واحد منهم حىّ(2).
و قيل إنّ الرجل(3) كان أبىّ بن كعب(4) و أنه قال له: اقرأ على قومى السلام و قل لهم: يقول لكم سعد: الله الله و ما عاهدتم عليه رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- ليلة العقبة فو الله مالكم عند الله عذر إن خلص إلى نبيّكم و فيكم عين تطرف. قال: فلم أبرح حتى مات(5).

1- سعد بن الربيع ت 3 ه- 625 م: سعد بن الربيع بن عمرو من بنى الحارث بن الخزرج، صحابى من كبارهم. كان أحد النقباء يوم العقبة، و شهد موقعة بدر و استشهد يوم أحد.
الإصابة 3: 77 برقم: 3147.

2- انظر الخبر فى السيرة النبوية 2: 610(غزوة أحد).

3- ذكر محقق السيرة نقلا عن مغازى الواقدى أن الرجل هو محمد بن مسلمة و يقال: أبىّ بن كعب. السيرة 2: 609 و عنه: مغازى الواقدى 1: 292.

4- أبىّ بن كعب ت 22 ه- 642 م: أبى بن كعب بن قيس من بنى النجار من الخزرج، صحابى جليل شهد العقبة و بدرا، كتب لرسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم)، و زعم الزركلى فى الأعلام أن أبيّا كان حبرا من أحبار اليهود قبل الإسلام، و لعله اختلط عليه أبى بن كعب بشخص آخر اسمه« كعب الأحبار» و لم يكن أبى من اليهود. اختلف فى سنة وفاته و قيل: إنه مات فى خلافة عمر سنة 22 ه- و قيل بعد ذلك. المعارف 261 و سير أعلام النبلاء 1: 280 و تهذيب التهذيب 1: 188، و الأعلام 1: 82.

5- السيرة النبوية 2: 610(غزوة أحد).

و روى أن عكرمة(1) ترجّل يوم اليرموک لمّا اشتدّ الأمر و عظمت المحنة فقاتل قتالا شديدا حتّى قتل، فوجد فيه/ (م 49) بضع و سبعون بين طعنة و ضربة و رمية.
و روى أنّ زيد بن سهل(2) و هو أبو طلحة الأنصاريّ كان من فرسان الصحابة و من الرّماة و كان يقول:
أنا أبو طلحة و اسمى زيدو كلّ يوم فى سلاحى صيد

و قتل يوم حنين عشرين كافرا و أخذ أسلابهم و كان يحبو بين يدى النبى- صلّى اللّه عليه و سلم- و يقول: نفسى لنفسه الفدا و وجهى لوجهه الوقا، ثم نثر كنانته بين يدى النبى- صلّى اللّه عليه و سلم- و قال عليه السلام: صوت أبى طلحة فى الجيش خير من فئة. و روى: من مئة(3) و كان هاشم بن عتبة بن أبى وقّاص(4) من الأبطال البهم الفضلاء الأخيار و يعرف بالمرقال لأنّه كان

1- عكرمة 13 ه- 634 م: عكرمة بن أبى جهل عمرو بن هشام المخزومى القرشى من صناديد قريش فى الجاهلية و الإسلام، كان هو و أبوه من أشد الناس عداوة للنبى(صلّى اللّه عليه و سلم). و أسلم عكرمة بعد فتح مكة، و حسن إسلامه فشهد الوقائع و ولى الأعمال لأبى بكر و استشهد فى اليرموک و عمره(62) سنة و جاء فى الحديث: لا تؤذوا الأحياء بسبب الموتى. قال المبرد: فنهى عن سب أبى جهل من أجل عكرمة. الإصابة 4: 258 برقم: 5632 و الأعلام 4: 244.

2- أبو طلحة الأنصارى 36 ق. ه- 34 ه 585- 654 م: زيد بن سهل بن الأسود النجارى الأنصارى، صحابى، من الشجعان، الرماة المعدودين فى الجاهلية و الإسلام مولده فى المدينة، و لما ظهر الإسلام كان من كبار أنصاره، فشهد العقبة و بدرا و أحدا و الخندق و سائر المشاهد، و كان جهير الصوت. و كان ردف رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) يوم خيبر و توفى فى المدينة، و قيل ركب البحر غازيا فمات فيه. الإصابة 3: 28 برقم 2899 و الأعلام 3: 59.

3- الحديث فى الجامع الصغير 2: 123 عن أنس. و عن جابر: لصوت أبى طلحة بالجيش خير من ألف رجل و الحديث أيضا فى فيض القدير 10: 4984 برقم 7246 و أحال محققه إلى مسند أحمد 3: 112 و المستدرک

3: 352 و فى فيض القدير برقم 7247: لصوت أبى طلحة بالجيش خير من ألف رجل، عن جابر.

4- هاشم بن عتبة- المرقال: هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، صحابى، خطيب من الفرسان- - يلقب بالمرقال و هو ابن أخى سعد بن أبى وقاص، أسلم يوم فتح مكة و نزل الشام بعد فتحها، فأرسله عمر مع ستة عشر رجلا من جند الشام مددا لسعد بن أبى وقاص فى العراق و شهد القادسية مع سعد و أصيبت عينه يوم اليرموک فقيل له: الأعور، و فتح جلولاء، و كان مع علىّ بن أبى طالب فى حروبه. و تولى قيادة الرجالة فى صفين فقتل فى آخر أيامها. الإصابة 6: 275 برقم: 8913 و الأعلام 8: 66 و له ذكر فى يوم جلولاء. انظر كتاب البلدان و فتوحها للبلاذرى 306 و ما بعدها.

يرقل فى الحرب، ففقئت عينه يوم اليرموک، ثم أرسله عمر رضى الله عنه مع خيل العراق إلى سعد، فشهد القادسية و أبلى فيها بلاء حسنا، و قام منه فى ذلک اليوم مالم يقم من أحد و كان سبب الفتح على المسلمين و كان يقول:
أعور عينى أهله علّاقد صالح الحياة حتّى ملّا
لا بدّ أن يعدّ أو يفلّا

و ضرب فى الحرب فقطعت رجله فجعل يقاتل من دنا منه و هو بارک و يقول:
الفحل يحمى شوله معقولا

و قاتل حتى قتل رحمه الله.
و كان أبو بكر رضى الله عنه يقول له: كنا ننتفع من الشيخ برأيه و من الشابّ بنجدته فاصبر و صابر.
و روى أن أبا عامر الأشعرى(1) لقى يوم أوطاس عشرة إخوة من

1- أبو عامر الأشعرى من الصحابة الشجعان و الخبر المذكور هنا هو فى السيرة النبوية 2: 900 قال ابن إسحاق: و بعث رسول الله فى آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعرى فأدرک من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال، فرمى أبو عامر بسهم فقتل، فأخذ الراية أبو موسى الأشعرى و هو ابن عمه فقاتلهم، ففتح الله على يديه و هزمهم. و يزعمون أن سلمة بن دريد هو الذى رمى أبا عامر الأشعرى بسهم فأصاب ركبته فقتله انظر السيرة 2: 898- 900.

المشركين فحمل عليه أحدهم، فحمل عليه أبو عامر فقتله، ثم لم يزل يفعل ذلک بهم واحدا بعد واحد حتی قتل التسعة و بقی العاشر، فتجاولا و أبو عامر يدعوه و يقول: اللهمّ اشهد. فقال: اللهمّ لا تشهد علیّ. فکفّ عنه أبو عامر فأفلت ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، و کان رسول الله- صلّی اللّه علیه و سلم- إذا رآه يقول: هذا شريد أبی عامر(1).
و يروی أنّ أبا جهل(2) بن هشام قال يوم بدر: اللهمّ دينک القويم و أياديک الحسنة، أيّنا کان أحبّ إليک فانصره اليوم علی صاحبه، ثمّ أقبل يرتجز و يقول:
ما تنقم الحرب العوان منّیبازل عامين حديث سنّی
لمثل هذا ولدتنی أمی(3)

فکان أوّل من لقيه معاذ بن عمرو بن الجموح(4) قال: سمعت القوم- و أبو جهل فی مثل الحرجة- يقولون: أبو الحکم لا يخلص إليه. فلمّا رأيته جعلته من شأنی فصمدت نحوه، فلمّا أمکننی حملت عليه فضربته

1- السيرة النبوية 2: 900

2- أبو جهل ت 2 ه- 624 م: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومی القرشی، أشد الناس عداوة للنبی(صلّی اللّه عليه و سلم) فی صدر الإسلام، و أحد سادات قريش و أبطالها و دهاتها فی الجاهلية، سودته قريش و لم يطرّ مشاربه فأدخلته دار الندوة مع الکهول. أدرک الإسلام و کان يقال له: أبو الحکم فدعاه المسلمون أبا جهل. قتل فی موقعة بدر. انظر السيرة النبوية 1: 529 و الأعلام 5: 86.

3- انظر الخبر و الرجز فی السيرة النبوية 2: 465.

4- معاذ بن عمرو ت 25 ه- 645 م: معاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد من بنی کعب بن سلمة الأنصاری الخزرجی السلمی، شجاع، صحابی شهد العقبة و بدرا. ضرب أبا جهل ببدر فقطع ساقه فضربه عکرمة فقطع يده و بقی يقاتل إلی آخر النهار. و عاش إلی خلافة عثمان. الإصابة 6: 109 برقم 8046 و الأعلام 7: 258 و السيرة النبوية 1: 465.

ضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه، فو الله ما شبّهتها حين طاحت إلا بالنّواة تطيح من تحت المرضخ قال: و ضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى، فتعلّقت بجلدة من جنبى و أجهضنى القتال عنه فلقد قاتلت عامّة يومى و إنّى لأسحبها خلفى، فلما آذتنى وضعت عليها قدمى و تمطيت بها حتّى طرحتها. و عاش معاذ بعدها حتى كان زمن عثمان رضى الله عنه.
و من ذلک ما ذكر فى حرب اليمامة مع خالد/ (م 50) بن الوليد حين حاربوا حربا لم ير قطّ مثلها و انهزم المسلمون حتى زال خالد عن فسطاطه فقطع بالسيوف. ثمّ إنّ المسلمين تداعوا فقال ثابت بن قيس:
بئس ما عوّدتم أنفسكم يا معشر المسلمين ثمّ جالد بسيفه حتّى قتل و جالد زيد بن الخطاب حتى انكشف الناس عن رحالهم و قاتل حتّى قتل. ثم قام البراء بن مالک أخو أنس بن مالک، و كان إذا حضر الحرب أخذه نافض حتّى يضبطه الرجال، ثمّ يفيق فيبول بولا أحمر ثمّ يثور كأنّه الأسد فلا يقوم له شىء، ففعل ذلک ثمّ قاتل القوم و ضرب قوما لا يرفع له شىء إلّا هزّه فثاب إليه الناس و رجعت إليهم أفئدتهم، و رجع المسلمون حتى ألجؤوا العدوّ إلى حديقة الموت و فيها عدوّ الله مسيلمة الكذّاب فقال البراء: يا معشر المسلمين: ألقونى عليهم فى الحديقة. فقال الناس:
لا تفعل، فقال: و الله لتطرحنّنى عليهم فيها، فاحتمل حتى أشرف على الجدار ثمّ اقتحم الحديقة فقاتلهم حتّى فتحها الله للمسلمين، و قتل مسيلمة عدوّ الله، قتله وحشى(1) مولى جبير بن

1- وحشىّ ت 25 ه- 645 م: وحشىّ بن حرب الحبشى أبو وسمة، مولى بنى نوفل، صحابى، من سودان مكة، كان من أبطال الموالى فى الجاهلية، و هو قاتل الحمزة عم النبى(صلّى اللّه عليه و سلم). قتله يوم أحد، رماه بحربة، ثم وفد على النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) مع وفد أهل الطائف بعد أخذها، و أسلم فقال له النبى(صلّى اللّه عليه و سلم): غيّب عنى وجهک يا وحشىّ، لا أراک. و شهد اليرموک و شارک فى قتل- - مسيلمة، و زعم أنه رماه بحربته التى قتل بها حمزة. و كان يقول: قتلت بحربتى هذه خير الناس و شر الناس. و سكن حمص فمات بها فى خلافة عثمان. عن الأعلام و انظر السيرة النبوية 2:

مطعم(1) و هو الأصحّ ممّا قيل و الله أعلم. و قتل يومئذ من المسلمين ألف و مئتا رجل، و قتل من بنى حنيفة أتباع مسيلمة فى الفضاء سبعة آلاف و فى حديقة الموت سبعة آلاف و فى الطّلب نحو منها(2).
و ذكر أنّ ثابت بن قيس- رحمه الله- قاتل فى ذلك اليوم و صابر فقطعت رجله و سقطت فى الأرض و أخذها و رمى بها قاتله فقتله ثم استشهد رحمه الله.
و فى تلك الحرب قاتلت أم عمارة الأنصاريّة(3) و اسمها نسيبة حتّى

1- جبير بن مطعم ت 59 ه- 679 م: جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى، أبو عدى، صحابى، كان من علماء قريش و سادتهم، توفى بالمدينة و عدّه الجاحظ من كبار النسابين. و فى الإصابة: كان أنسب قرشى لقريش و العرب قاطبة. الإصابة 1: 235 برقم: 1087 و السيرة 2: 585 و الأعلام 2: 112.

2- انظر البلدان و فتوحها للبلاذرى: 103 و ما بعدها.

3- أم عمارة الأنصارية ت 13 ه- 634 م: نسيبة بنت كعب بن عوف المازنية الأنصارية، من بنى النجار، صحابية، اشتهرت بالشجاعة، تعد من أبطال المعارك، تزوجها فى الجاهلية زيد بن عاصم المازنى، و لما ظهر الإسلام أسلمت و شهدت بيعة العقبة و أحدا و الحديبية و خيبر و حنينا و سمعت من رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) أحاديث، و كانت تخرج إلى القتال فتسقى الجرحى و تقاتل، و أبلت يوم أحد بلاء حسنا و جرحت اثنى عشر جرحا بين طعنة رمح و ضربة سيف، و كانت ممن ثبت مع رسول الله حين تراجع الناس، و قد شوهدت فى ذلك اليوم تقاتل أشد القتال و أمها معها تعصب جراحها و كان رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) إذا حدث عن يوم أحد و ذكر أم عمارة يقول: ما التفت يمينا و لا شمالا إلا رأيتها تقاتل دونى. و حضرت حرب اليمامة فقاتلت قتال الأبطال و قطعت يدها و جرحت فانصرفت إلى المدينة تداوى جراحها، فكان أبو بكر و هو خليفة يعودها و يسأل عن حالها. الإصابة 8: 198 برقم: 1049 و 8: 262 برقم: 1420 و الأعلام 8: 19.

أصيبت يدها، و جرحت يومئذ اثنى عشر جرحا من طعنة و ضربة. و كانت قد شهدت بيعة العقبة و شهدت أحدا مع زوجها زيد بن عاصم(1) و ابنيها حبيب(2) و عبد الله(3) فيما ذكر ابن اسحاق، ثم شهدت مع ابنها عبد الله اليمامة ففعلت ما ذكرناه.
و روى أنها أتت النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- فقالت: ما أرى كلّ شىء إلّا للرجال و ما أرى النساء يذكرن فأنزل الله تعالى: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ الآية. إلى قوله أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً(4). و روى أن علىّ بن بكّار رئى فى بلاد الروم يحمل على العدو فيطعن و يحمل فيطعن حتّى دخل عليه علج فطعنه فى بطنه فخرج تربه(5) فنزل عن فرسه فأخذه بيده وردّه فى بطنه و شدّه، ثم ركب و أخذ رمحه و جعل يحمل على العدو، فلم يزل يقتل حتى قتل ثلاثة عشر رجلا. و ذكر فى كتاب حياة القلوب أنه طعن فخرجت مصارينه على قربوس سرجه فردّها فى بطنه و شدّها بعمامته و فعل ما ذكر. و كان يقول:
نفق عندى عشرون و مئة فرس ما منها فرس إلا اشتريته بمالى.

1- زيد بن عاصم بن عمرو الأنصارى المازنى شهد العقبة و بدرا و أحدا، الإصابة 3:
30 برقم: 2905 و انظر الإصابة 2: 321 برقم: 1579.

2- حبيب بن زيد بن عاصم الأنصارى المازنى، شهد العقبة و أحدا و الخندق و المشاهد. قتله مسيلمة فى حروب الردة. فلما كان يوم اليمامة خرج أخوه عبد الله بن زيد و أمه و كانت نذرت ألا يصيبها غسل حتى يقتل مسيلمة و أمه أم عمارة نسيبة. الإصابة 1: 321 برقم 1579.

3- عبد الله بن زيد بن عاصم 7 ق. ه- 63 ه- 616- 683 م: عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب النجارى الأنصارى. صحابى، من أهل المدينة، كان شجاعا، شهد بدرا و أحدا و غيرها و قتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة. قتل فى وقعة الحرة. الأعلام 4: 98 و الإصابة 4: 72 برقم: 4679.

4- سورة الأحزاب 33: 35.

5- هكذا وردت، و المقصود الأحشاء.

و روى أنه كان إذا دخل أرض الرّوم لا يضحک، فقيل له: يا أبا الحسن، ما نراک تضحک؟ فقال: إنما نغزوا غضبا لله و الغضبان لا يضحک.
و فى غزوة القادسية حضرت الخنساء بنت عمرو بن الشّريد(1) معها بنوها، أربعة رجال، فقالت لهم من أوّل الليل: يا بنىّ إنكم أسلمتم طائعين و هاجرتم مختارين، و الله الذى لا إله إلا هو، إنّكم لبنو رجل واحد كما أنّكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم و لا فضحت خالكم، و لا هجّنت حسبكم و لا غيّرت نسبكم، و قد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين، و إعلموا أنّ الدار الباقية خير من الدار الفانية، و الله عزّ و جلّ يقول: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(2) فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله فاغدوا إلى قتال عدوّكم مستبصرين و على أعداء الله تعالى مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها، و اضطرمت لظى على سياقها، و جللت نارا على أرواقها، فتيمموا على وطيسها و جالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم و الكرامة فى دار الخلد و المقامة، فخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين على قبولها، فلمّا كان الصبح باكروا مراكزهم و قال أوّلهم:

1- الخنساء ت 24 ه- 645 م: تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية، من بنى سليم من قيس عيلان من مضر، أشهر شواعر الحرب، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها فى العصر الجاهلى و أدركت الإسلام فأسلمت و وفدت على رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) مع قومها من بنى سليم. و كان رسول الله يستنشدها شعرها و يعجبه، و كان لها أربعة بنين استشهدوا فى حرب القادسية سنة 16 ه. الإصابة 8: 34 برقم: 200 و الأعلام 2: 86.

2- سورة آل عمران 3: 200

يا إخوتى إنّ العجوز النّاصحهقد نصحتنا إذ دعتنا البارحه
مقالة ذات بيان واضحهفباكروا الحرب الضروس الكالحه
فأنتم بين حياة صالحهأو ميتة تورث غنما رابحه

و تقدّم فقاتل حتى قتل، ثمّ حمل الثانى و هو يقول:
إنّ العجوز ذات حزم و جلدو النظر الأوفق و الرأى السّدد
قد أمرتنا بالسداد و الرّشدنصيحة منها و برّا بالولد
فباكروا الحرب حماة فى العددإمّا لفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم غنم الأبدفى جنّة الفردوس و العيش الرّغد

ثم تقدّم فقاتل حتّى قتل ثم حمل الثالث و هو يقول:
و الله لا نعصى العجوز حرفاقد أمرتنا حربا و عطفا
نصحا و برّا صادقا و لطفافبادروا الحرب الضّروس زحفا
حتّى تلفّوا آل كسرى لفّاأو تكشفوهم عن حماكم كشفا
إنّا نرى التقصير عنهم ضعفاو القتل فيهم نجدة و عرفا

ثم قاتل حتّى قتل ثمّ حمل الرابع و هو يقول:
لست للخنسا(1) و لا للأكرم
و لا لعمرو ذى السّناء الأقدم/ (م 52)
إن لم أرد فى الحرب جيش الأعجمإمّا لفوز عاجل أو مغنم
أو لوفاة فى السبيل الأكرم

ثمّ قاتل حتّى قتل رحمهم الله تعالى. فبلغ الخنساء الخبر فقالت:
الحمد للّه الذى شرّفنى بقتلهم و أرجو أن يجمعنى الله بهم فى مستقرّ رحمته.

1- فى الأصل: ليست للخنساء. و به ينكسر الوزن.

و كان عمر رضى الله عنه يعطى الخنساء أرزاق أولادها الأربعة لكلّ واحد مئة درهم حتّى قبض(1).
فبهذه الأوصاف يوصف الرجال، و لمثل قصدهم تخلص الأعمال، و بكريم صفاتهم يستحقّ اسم الرجوليّة و تحمد الذكوريّة. فطوبى لمن بذل فى سبيل الله قراضه و تجره، و احتسب عند من لا يضيع عنده مثقال حبة من خردل أجره، و وجّه إلى مرضات الله مقاصده و أغراضه، و جعل الجهاد فى سبيله قبلته و إمامه، و صبره بداته و ختامه، و ترك التسويف و التعليل و اشترى الكثير بالقليل إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ، وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ، وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(2).

1- خبر الخنساء و رجز أولادها فى الإصابة: النساء برقم 353 ص 66، 67 و نقله بتمامه عمر رضا كحالة فى ترجمتها فى كتابه: أعلام النساء.

2- سورة التوبة 9: 111

ص: 229

الباب الخامس عشر فى المبارزة

اشارة

ص: 230

ص: 231
فى المبارزة

روى أنّ قول الله تعالى هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِی رَبِّهِمْ فَالَّذِینَ کَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِیابٌ مِنْ نارٍ(1) إلى آخر الآية .. نزلت فى الذين بارزوا يوم بدر و هم ستة من قريش ثلاثة مؤمنون: عبيدة ابن الحارث بن المطّلب(2)، و حمزة بن عبد المطّلب(3) و علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم، و ثلاثة كافرون عتبة(4)

1- سورة الحج 22/ 19 و تمامها: يصب من فوق رؤوسهم الحميم.

2- عبيدة بن الحارث 62 ق. ه- 2 ه- 562- 624 م: عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، أبو الحارث، من أبطال قريش فى الجاهلية و الإسلام، ولد بمكة و أسلم قبل دخول النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) دار الأرقم، و عقد له النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) ثانى لواء عقده بعد أن قدم المدينة و بعثه فى ستين راكبا من المهاجرين فالتقى بالمشركين و عليهم أبو سفيان ابن حرب فى موضع يقال له« ثنية المرة» و كان هذا أول قتال جرى فى الإسلام ثم شهد بدرا و قتل فيها. الإصابة 4: 209 برقم: 5367 و السيرة النبوية 1: 330 و الأعلام 4: 198.

3- حمزة بن عبد المطلب 54 ق. ه- 3 ه 556- 625 م: حمزة بن عبد المطلب بن هاشم أبو عمارة من قريش، عم النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) و أحد صناديد قريش و سادتهم فى الجاهلية و الإسلام. ولد و نشأ بمكة، و كان أعز قريش و أشدها شكيمة. أسلم و أظهر إسلامه، و هاجر مع النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) إلى المدينة و حضر موقعة بدر و قتل فى موقعة أحد و دفنه المسلمون فى المدينة. الإصابة 2: 37 برقم 1822 و الأعلام 2: 278.

4- عتبة بن ربيعة 2 ه- 624 م: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أبو الوليد، كبير قريش و أحد ساداتها فى الجاهلية كان موصوفا بالرأى و الحلم و الفضل، خطيبا نافذ القول، نشأ يتيما فى حجر حرب بن أمية، و أول ما عرف عنه توسطه للصلح فى حرب الفجار بين هوازن و كنانة، و قد رضى الفريقان بحكمه و انقضت الحرب على يده و كان يقال: لم يسد من قريش مملق إلا عتبة و أبو طالب، فإنهما سادا بغير مال، أدرک الإسلام و طغى فشهد بدرا مع المشركين. و كان ضخم الجثة عظيم الهامة. قتل يوم بدر.

السيرة النبوية 1: 457، 458 و الأعلام 4: 200.

و شيبة(1) ابنا ربيعة و الوليد بن عتبة(2). و كان سبب ذلک أنّ الأسود بن عبد الأسد المخزومى(3) حلف قبل القتال بآلهتهم ليشربنّ من الحوض الذى صنعه محمد و ليهدمنّ منه، فلمّا دنا من الحوض برز إليه حمزة بن عبد المطّلب فضرب رجله فقطعها و هو دون الحوض، فأقبل يحبو حتى وقع فى الحوض و هدم منه ليبرّ قسمه، فتبعه حمزة فقتله فى الحوض فكان أوّل قتيل من المشركين. فاحتمى له المشركون فانتدب منهم الثلاثة المذكورون للمبارزة، كما يذكر بعد إن شاء الله.

[الدعوة إلى المبارزة و حكم ذلک و ذكر أخبار المبارزات]

و روى أشهب عن مالک: و سئل عن الرجل بين الصّفّين يدعو إلى المبارزة فقال: إن صحّت نيته فلا بأس، و قد فعل فيما مضى.
و قال ابن حبيب: سمعت أهل العلم يقولون: لا بأس بالمبارزة و ذلک

1- شيبة بن ربيعة ت 2 ه- 624 م: شيبة بن ربيعة بن عبد شمس من زعماء قريش فى الجاهلية، أدرک الإسلام و قتل على الوثنية، و هو أحد الذين نزلت فيهم الآية\i« كَما أَنْزَلْنا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ»\E و هم سبعة عشر رجلا من قريش، اقتسموا عقبات مكة فى بدء ظهور الإسلام و جعلوا دأبهم فى موسم الحج أن يصدوا الناس عن النبى(صلّى اللّه عليه و سلم). و لما كانت وقعة بدر حضرها شيبة مع مشركيهم و نحر تسع ذبائح لإطعام رجالهم. و قتل فى بدر. السيرة النبوية 1: 457 و ما بعدها. الأعلام 3: 181.

2- الوليد بن عتبة بن ربيعة من فرسان قريش، قتله علىّ بن أبى طالب فى المبارزة يوم بدر. انظر السيرة النبوية 1: 458.

3- الأسود بن عبد الأسود المخزومى من فرسان قريش قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر. السيرة النبوية 1: 457، 531. قال ابن إسحاق: خرج الأسود بن عبد الأسود المخزومى و كان رجلا شرسا سيىء الخلق فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم(أى حوض المسلمين يوم بدر) أو لأهدمنه أو لأموتنّ دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه و هو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو دما أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد- زعم- أن تبر يمينه، و اتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض.

على قدر النيّة و لا يجوز الاستبداد بها إلّا بإذن الإمام، فإن أذن جازت إجابة من دعا إليها بشرطين:
دهما: أن يكون ذا نجدة و بأس و شجاعة، علم من نفسه أنه لا يعجز عن مقارنة قرنه.
و قال مالک: إن خاف الضعف فلا يبارز، فربّ ضعيف يقتل فيهدّ (م 53) الناس و يوهنهم. و سيرد ما فى عضده و معونته إن خيف عليه الغلبة.
و الشرط الثانى أن لا يكون زعيم الجيش فيؤثر فى المسلمين فقده فإنّ فقد الزعيم المدبّر فى الحرب يفضى إلى الهزيمة، و قد قيل: إنّ إقدام النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- على المبارزة كان قد وثق نصر الله له، و أيقن بإنجاز ما وعده به، و قد علم من ذلک ما لا ينبغى لغيره:
فممّا ورد من ذلک ما وقع ببدر حين برز عتبة بن ربيعة و ابنه الوليد و أخوه شيبة فبرز إليهم من الأنصار عوف(1) و معاذ(2) ابنا عفراء و عبد الله بن رواحة فقال القرشيّون ليبرز إلينا اكفاؤنا فما نعرفكم، فبرز إليهم ثلاثة من بنى هاشم. برز على بن أبى طالب إلى

1- عوف بن عفراء ت 2 ه- 624 م: عوف بن الحارث و هو عوف بن عفراء أخو معاذ و معوذ، ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدرا، و هو الذى قال للرسول(صلّى اللّه عليه و سلم): يا رسول الله ما يضحک الرب من عبده؟ قال: أن يراه قد غمس يده فى القتال حاسرا. فنزع عوف درعه و تقدم فقاتل حتى قتل شهيدا. انظر الإصابة 5: 42 برقم: 6087 و السيرة النبوية 1: 460(وقعة بدر) و قد قتل أخوه معوذ فى بدر أيضا. السيرة 1: 466.

2- معاذ بن عفراء ت 2 ه- 624 م: هو معاذ بن الحارث بن رفاعة النجارى الأنصارى الخزرجى المعروف بابن عفراء و هى أمه، شهد العقبة و بدرا و قيل إنه جرح ببدر فمات من جراحه، عن الإصابة 6: 107 برقم: 8034.

الولید فقتله، و برز حمزة إلی عتبة فقتله و برز عبیدة بن الحارث إلی شیبة فاختلفا ضربتین أثبت کلّ واحد منهما صاحبه فمات شیبة لوقته، و احتمل عبیدة حیّا قد ندرت(1) رجله فمات بعد بالصّفراء فی طریق المدینة(2) و ذلک کلّه بمحضر النبیّ- صلّی اللّه علیه و سلم- مع ضنّه بأصحابه و إشفاقه علی قرابته.
و دعا فی حرب الخندق(3) عمرو بن عبد ود(4) إلی البراز فلم یجبه أحد، ثم دعا فی الیوم الثانی فلم یجبه أحد، ثم کذلک فی الیوم الثالث.
فلمّا رأی الإحجام عنه و الحذر منه قال: یا محمد، ألستم تزعمون أنّ قتلاکم فی الجنّة أحیاء عند ربّهم یرزقون و أنّ قتلانا فی النّار یعذّبون، فما یبالی أحدکم أن یقدم علی کرامة من ربه أو یقدم عدوّه إلی النار و أنشأ یقول:
و لقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز
و وقفت إذ حین المشجّع موقف القرب المناجز
إنی کذلک لم أزل‌متسرّعا نحو الهزاهز
إنّ الشجاعة فی الفتی‌و الجود من خیر الغرائز

1- ندرت رجله: سقطت.

2- انظر الخبر فی الأحکام السلطانیة: 38.

3- کانت غزوة الخندق فی شوال سنة خمس للهجرة. أخبارها فی السیرة النبویة 2: 700.

4- عمرو بن عبد ودّ ت 5 ه- 627 م: عمرو بن عبد ودّ العامری من بنی لؤی من قریش، فارس قریش و شجاعها فی الجاهلیة أدرک الإسلام و لم یسلم، و عاش إلی أن کانت وقعة الخندق، فحضرها و قد تجاوز الثمانین، فقتله علیّ بن أبی طالب. و لم یشتهر اشتهار غیره من فرسان الجاهلیة کعامر بن الطفیل و بسطام و غیرهما لأن هؤلاء کانوا أصحاب غارات و نهب و أهل بادیة. الأعلام 5: 81. السیرة 2: 729.

فقام علیّ رضی الله عنه فاستأذن رسول الله- صلّی اللّه علیه و سلم- فأذن له فی المبارزة و قال: اخرج یا علیّ فی حفظ الله و عیاذه، فخرج و هو یقول:

أبشر أتاک مجیب صوتک یا بن ودّ فی الهزاهز
ذو نیّة و بصیرةیرجو الغداة نجاة فائز
إنّی لأرجو أن أقیم علیک نائحة الجنائز
من طعنة نجلاء یمشی ذکرها عند الهزاهز

ثم تجاولا و ثارت عجاجة اختفتهما عن الأبصار ثمّ انجلت عنهما و علیّ رضی الله عنه یمسح سیفه بثوب عمرو و هو قتیل(1).

و منع أبو حنیفة أن یدعو المسلم إلی البراز مبتدئا، و رأی/ (م 54) ذلک بغیا.

و عن علیّ رضی الله عنه أنّه قال لابنه الحسن(2): یا حسن لا تدعونّ أحدا لمبارزة، فإذا دعیت إلیها فأجب، فإنّ الداعی باغ، و الباغی مصروع(3).

1- الخبر فی السیرة النبویة 2: 729 و لکن بدون هذا الشعر و هو بتمامه مع الشعر فی الأحکام السلطانیة: 38.

2- الحسن بن علی 3- 50 ه- 624- 670 م: الحسن بن علی بن أبی طالب الهاشمی القرشی، أبو محمد، ولد فی المدینة، و أمه فاطمة الزهراء، و هو أکبر أولادها و أولهم، کان عاقلا حلیما محبا للخیر، فصیحا، من أحسن الناس منطقا و بدیهة. دخل أصبهان غازیا مجتازا إلی غزاة جرجان و معه عبد الله بن الزبیر. بایعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبیه سنة أربعین لکنه خلع نفسه و سلم الأمر إلی معاویة، و أقام بالمدینة إلی أن توفی.

3- عیون الأخبار 1: 128 و فیه: یا بنی لا تدعونّ أحدا إلی البراز، و لا یدعوّنک أحد إلیه إلا أجبته فإنه بغی.

و جوّزه الشافعی و رآه إظهار قوّة فی الدین و نصرة له.
و روی أنّ النبیّ- صلّی اللّه علیه و سلم- ظاهر بین درعین یوم أحد(1) و أخذ سیفا فهزّه و قال: من یأخذ هذا بحقّه؟ فقام إلیه عمر بن الخطّاب فقال: أنا أخذه بحقّه فأعرض عنه، ثم هزّه الثانیة و قال: من یأخذ هذا بحقّه؟ فقام الزبیر ابن العوّام و قال: أنا آخذه بحقّه، فأعرض عنه، فوجدا فی أنفسهما. ثم هزّه الثالثة و قال: من یأخذ هذا بحقّه؟ فقام أبو دجانة سماک بن خرشة فقال: و ما حقّه یا رسول الله؟
قال: أن تضرب به فی العدوّ حتّی ینحنی، فأخذه منه، و أعلم بعصابته الحمراء و مشی إلی الحرب و هو یقول:
أنا الذی أخذته برقّهإذ قیل: من یأخذه بحقه
قبلته بعدله و صدقهللقادر الرحمن بین خلقه
المدرک القابض فضل رزقهمن کان فی مغربه أو شرقه

ثم جعل یتبختر بین الصّفین فقال النبی- صلّی اللّه علیه و سلم- إنّها لمشیة یبغضها الله تعالی إلّا فی هذا الموطن، و دخل الحرب مبتدئا بالقتال و هو یقول:
أنا الذی عاهدنی خلیلیو نحن بالصّفح من النخیل
ألّا أزال الدهر فی الکبولأضرب بسیف الله و الرسول(2)

1- فی السیرة النبویة 2: 603 قال ابن إسحاق: و نهض رسول الله(صلّی اللّه علیه و سلم) إلی صخرة فی الجبل لیعلوها، و قد کان بدّن رسول الله(صلّی اللّه علیه و سلم)، و ظاهر بین درعین فلما ذهب لینهض(صلّی اللّه علیه و سلم) لم یستطع، فجلس تحته طلحة بن عبید الله فنهض به.

2- الخبر فی السیرة النبویة 2: 589، 590 علی نحو مقارب. و لم یرد فیها الرجز الذی علی القاف و الخبر بتمامه مع الرجز منقولا عن ابن إسحاق کتاب الأحکام السلطانیة للماوردی: 40.

و قد بارز أنس بن مالک مرزبان الدارة و أخذ منطقته و سوارية، فقوّمت بثلاثين أو أربعين ألفا.
و روى أنه خرج بطريق يدعو إلى البراز يوم أجنادين(1) فبرز إليه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب(2) فاختلفا ضربات ثم قتله عبد الله و لم يعرض لسلبه، ثم برز آخر يدعو إلى البراز فبرز إليه أيضا عبد الله ابن الزبير فتشاوكا بالرمح ساعة ثم صارا إلى السيفين، فحمل عبد الله عبد على البطريق و هو دارع فضربه على عاتقه و هو يقول: خذها و أنا ابن عبد المطلب فأثبته و قطع سيفه الدرع فى منكبه و ولّى الرومىّ منهزما.
فعزم عمر رضى الله عنه على عبد الله ألّا يبارز فقال: ما أجدنى و الله أصبر، فلمّا اختلطت السيوف و أخذ بعضها بعضا وجد بين عشرة من الروم قتلى و هو قتيل رحمه الله.
و روى أنّ القعقاع بن عمرو(3) بارز فى حرب

1- كانت وقعة أجنادين يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة.
البلدان للبلاذرى: 133.

2- عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ت 13 ه: ابن هاشم و هو ابن عم النبى(صلّى اللّه عليه و سلم)، كان ممن ثبت يوم حنين، قتل بأجنادين سنة 13 ه. قال الواقدى: و كان أول قتيل من الروم المبارز لعبد الله بن الزبير فقتله عبد الله، ثم برز آخر فقتله، ثم وجد فى المعركة قتيلا و حوله عشرة من الروم قتلى. عن الإصابة 4: 68 برقم: 4672. و انظر كتاب البلدان للبلاذرى: 132.

3- القعقاع بن عمرو ت 40 ه- 660 م: القعقاع بن عمرو التميمى، أحد فرسان العرب و أبطالهم فى الجاهلية و الإسلام، له صحبة، شهد اليرموک و فتح دمشق و أكثر وقائع أهل العراق مع الفرس، و سكن الكوفة، و أدرک وقعة صفين فحضرها مع على، و كان يتقلد فى أوقات الزينة سيف هرقل ملک الروم و يلبس درع بهرام ملک الفرس، و هما مما أصابه من الغنائم، و كان شاعرا. الإصابة 5: 244 برقم: 7121 و الأعلام 5: 201.

القادسية(1) عظيما من عظماء الفرس و بطلا من أبطالها فاجتلدا بسيفيهما فقتله القعقاع و انكسرت الأعاجم لذلک و نادى القعقاع ثانية فخرج إليه رجلان من عظمائهم فانضمّ إلى القعقاع الحارث بن ظبيان(2) فضرب القعقاع أحدهما فأذرى رأسه و فعل ابن ظبيان مثل ذلک بالآخر. و جعل القعقاع يقول للمسلمين: باشروهم بالسيوف فإنّما يحصد الناس بها.
و لمّا تطاردت الخيل و الفرسان خرج رجل من الفرس فنادى للمبارزة فانتدب إليه عمرو بن معديكرب(3) فبارزه و اعتنقه ثمّ جلد به الأرض فذبحه ثمّ التفت إلى الناس فقال: إنّ الفارسىّ إذا فقد فرسه فإنّما هو تيس.
و فى تلک الحرب خرج رجل من العجم حتّى إذا كان بين الصفّين هدر و شقشق و نادى: من يبارز؟ فخرج رجل يقال له: بشير بن علقمة(4) و كان قصيرا دميما فقال: يا معشر المسلمين قد أنصفكم الرجل فلم يجبه

1- كان يوم القادسية فى آخر سنة ست عشرة. البلدان للبلاذرى: 299 و كان قتال القادسية يوم الخميس و الجمعة و ليلة السبت و هى ليلة الهرير، و إنما سميت ليلة صفين بها. البلدان: 302.

2- الحارث بن ظبيان بن الحارث أخو بنى تيم اللات، كان من أبطال القادسية يوم أغواث. انظر خبره فى تاريخ الطبرى 3: 543.

3- عمرو بن معديكرب ت 21 ه- 642 م: عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدى، أبو ثور، فارس اليمن، وفد على المدينة سنة 9 ه فى عشرة من بنى زبيد فأسلم و أسلموا و عادوا. فلما توفى النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) ارتد عمرو فى اليمن، ثم رجع إلى الإسلام فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموک و فقد إحدى عينيه، و بعثه عمر إلى العراق فشهد القادسية، و كان عصىّ النفس أبيها فيه قسوة الجاهلية. له شعر جيد. توفى على مقربة من الرى و قيل: مات عطشا يوم القادسية. الإصابة 5: 18 برقم: 5965 و الأعلام 5: 86.

4- بشير بن علقمة و ذكره ابن حبيش باسم: بشر بن علقمة فى سياق سرده للخبر الوارد فى كتابنا هذا. انظر غزوات ابن حبيش 2: 188.

أحد. فقال: أما و الله لو لا أن تردّونى لخرجت إليه، فلمّا رأى أنّ أحدا لم يتهيّأ لمبارزته تقدّم فلّما رآه الفارسىّ هدر و نزل إليه فاحتمله و جلس على صدره ثم أخذ سيفه ليذبحه و مقود فرسه مشدود بمنطقته، فلمّا سلّ السيف حاص الفرس حيصة شديدة فجبذ المقود فقلبه عنه فقام بشير فافترسه فجعل أصحابه يصيحون، فقال: صيحوا ما بدا لكم فو الله لا أتركه حتّى أقتله و أسلبه، فذبحه و أخذ سلبه، فنفّله سعد(1) جميع السّلب فباعه باثنى عشر ألف درهم.

و إذا بارز مسلم كافرا فهل يعان إن ضعف أم لا؟

روى فى ذلک عن سحنون قولان:

- المنع لأن العهد أن لا يقاتله إلا واحد.

- و الجواز كما لو أسر لوجب تخليصه.

و قال أشهب: و أمّا لو كانوا جماعة ثلاثة أو أربعة أو أكثر، خرجوا مبارزة لمثلهم لجاز معونة بعضهم لبعض على كل حال مثل أن يفرغ أحد من قرنه ثمّ يعين صاحبه كما فعل حمزة و علىّ و عبيدة يوم بدر حين قطع شيبة رجل عبيدة، فكرّ حمزة و علىّ على شيبة فقتلاه و استنقذا صاحبهما(2).

[حكم مبارزة الرجل أبيه]

قال سحنون: كره مالک و غيره من أصحابنا أن يبارز الرجل أباه الكافر و أن ينتدبه أو يقتله، قال سحنون: إلّا أن يضطرّ و يخافه على

1- أى سعد بن أبى وقاص.

2- السيرة النبوية 1: 458

نفسه فله ذلک. و قد قیل: إنّ الجدّ للأب أو للأم کالأب، و لیس کذلک عندنا، و قد تنازع الناس فی الأب فکیف غیره(1).
و أتی أبو عبیدة برأس أبیه إلی رسول اللّه- صلّی اللّه علیه و سلم- و قد نزلت لا تَجِدُ قَوْماً یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ یُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ کانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِیرَتَهُمْ(2).

1- قال محمد بن الحسن فی السیر الکبیر: و لا بأس بأن یقتل الرجل من المسلمین کل ذی رحم محرم منه من المشرکین یبتدیء به إلا الوالد خاصة، فإنه یکره له أن یبتدیء والده بذلک، و کذلک جده من قبل أبیه أو من قبل أمه و إن بعد إلا أن یضطره إلی ذلک.
قال السرخسی: لقوله تعالی:\i« وَ صاحِبْهُما فِی الدُّنْیا مَعْرُوفاً»\E(لقمان 31/ 15) فالمراد الأبوان إذا کانا مشرکین بدلیل قوله تعالی:\i« وَ إِنْ جاهَداکَ»\E(لقمان 31/ 15) و لیس من المصاحبة بالمعروف البدایة بالقتل، و أما إذا اضطره إلی ذلک فهو یدفع عن نفسه، و هو مأمور بالبدایة بنفسه فی الإحسان إلیها و دفع شر القتل عنها أبلغ جهات الإحسان. ثم الأب کان سببا لإیجاد الولد، فلا یجوز للولد أن یجعل نفسه سبب إعدامه بالقصد إلی قتله، إلا أن یضطره إلی ذلک، فحینئذ یکون الأب هو المکتسب لذلک السبب بمنزلة الجانی علی نفسه، علی ما هو الأصل أن الملجأ بمنزلة الآلة للملجیء، و لهذا لا یحبس الأب بدین الولد و یحبس بنفقته لأنه إذا منع نفقته فقد قصد إتلافه. ثم استدل محمد رحمه اللّه فی الکتاب بما روی: أن حنظلة بن أبی عامر و عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبی ابن سلول رضی اللّه عنهما استأذنا رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و سلم) فی قتل أبویهما فنهاهما عن ذلک و عن عمیر بن مالک رضی اللّه عنه قال: قال رجل: یا رسول اللّه، إنی لقیت أبی فی العدو، فسمعت منه مقالة لک سیئة فقتلته. فسکت رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و سلم). و فی هذا دلیل علی أنه لا یستوجب بقتله شیئا إذا قتله لأن النبی(صلّی اللّه علیه و سلم) لم یأمره بشیء. و السکوت عن البیان بعد تحقق الحاجة إلیه لا یجوز. و أول الوجوه أن لا یقصده بالقتل، و لا یمکنه من الجوع إذا تمکن معه فی الصف، و لکنه یلجئه إلی موضع و یستمسک به حتی یجیء غیره فیقتله. انظر شرح السیر الکبیر 1: 106، 107.

2- المجادلة 58/ 22 و تمام الآیة: أولئک کتب فی قلوبهم الإیمان و أیدهم بروح منه، و یدخلهم جنات تجری من تحتها الأنهار خالدین فیها رضی اللّه

عنهم و رضوا عنه، أولئک حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون» أما ما يتعلق بأبى عبيدة فقد جاء فى أسد الغابة 3: 128 برقم: 2705:
و لما كان أبو عبيدة ببدر يوم الوقعة جعل أبوه يتصدى له، و جعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر أبوه قصده قتله أبو عبيدة فأنزل اللهِ تعالى:\i« لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ\i\ - -E مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ ..»\E
و كان الواقدى ينكر هذا و يقول: توفى أبو أبى عبيدة قبل الإسلام. و قد رد بعض أهل العلم قول الواقدى.

و روى أنّ أبا حذيفة بن عتبة(1) بن عبد شمس و كان من فضلاء الصحابة شرفا و سابقة و هجرة دعاه أبوه يوم بدر إلى المبارزة و فيه تقول أخته:
فما شكرت أبا ربّاک فى صغرحتى شببت شبابا غير معجوب

قال مالک: و لا بأس بقتل الرجل ذوى رحمه من الكفّار مبارزة و غيرها.
و روى أنّ محيصة بن مسعود(2) قتل رجلا من اليهود بأمر النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- و كان أخوه حويّصة أسنّ منه و لم يكن أسلم، فجعل يضرب محيصة و يقول له: أى عدوّ الله، قتلته؟!! أما و الله لربّ شحم فى بطنک من ماله!!
فقال/ (م 56) له محيصة: أما و الله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلک لضربت عنقک.
قال: لو أمرک بقتلى لقتلتنى؟!
قال: نعم، و الله لو أمرنى بقتلک لضربت عنقک.

1- أبو حذيفة بن عتبة 42 ق. ه- 12 ه- 578- 633 م: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، صحابى هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة و شهد بدرا و أحدا و الخندق و المشاهد كلها و قتل يوم اليمامة. و هو خال معاوية بن أبى سفيان. الإصابة 7: 42 برقم: 263 و الأعلام 2: 171.

2- محيصة بن مسعود الأنصارى. قال ابن هشام: محيّصة و يقال محيصة ورد خبر له فى السيرة فحواه أنه قتل يهوديا بأمر الرسول(صلّى اللّه عليه و سلم) فجرى له على يد أخيه ما هو مذكور هنا.
انظر السيرة 2: 581 و الإصابة 6: 68 برقم: 7819.

قال حویّصة(1): و الله إنّ دینا بلغ بک هذا لعجب. فأسلم حویصة لذلک فقال محیصة:

یلوم ابن أمّی لو أمرت بقتلهلطبّقت ذفراه بأبیض قاضب

حسام کلون الملح أخلص صقلهمتی ما أصوّبه فلیس بکاذب

و ما سرّنی أنی قتلتک طائعاو أنّ لنا ما بین بصری و مأرب(2)

1- حویّصة بن مسعود: أنصاریّ، شهد أحدا و الخندق و سائر المشاهد، انظر السیرة النبویة 2: 581 و 814 و الإصابة 2: 48 برقم 1877.

2- الخبر مع الشعر فی السیرة النبویة 2: 581، 582.

ص: 243

الباب السادس عشر فى الشجاعة و الإقدام

اشارة

ص: 245
فی الشجاعة و الإقدام

[شجاعة رسول صلّى اللّه عليه و سلم]

كان رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- أشجع الناس، و كان يتعوّذ بالله من الجبن(1).
قال بعض العلماء: جسم الحرب الشّجاعة(2).
و قالت الحكماء: أصل الخير كلّه فى ثبات القلب(3).
فالشجاعة هى أمّ الخصال الشريفة، و من فقدها لم تكمل فيه خصاله.
قال رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق(4).
و كان عليه السلام من الشجاعة و النجدة بالمكان الذى لا يجهل، حضر

1- كان رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- يتعوذ من خمس: من الجبن و البخل و سوء العمر و فتنة الصدر و عذاب القبر. ذكره السيوطى فى فيض القدير 9: 4843 برقم 6972 و قال محققه: أخرجه أبو داود فى سننه 2: 1539 و النسائى فى سننه 8: 5458 و ابن ماجة فى سننه 2: 3844 عن عمر و ضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع 4533. أما قوله: سوء العمر فهو عدم البركة فيه بقوة الطاعة و الإخلال بالواجبات. و أما فتنة الصدر فهى ما ينطوى عليه الصدر من نحو حسد و غل و عقيدة زائفة.

2- سراج الملوک 2: 689

3- فى سراج الملوک 2: 667: قالت الحكماء: أصل الخيرات كلها فى ثبات القلب، و منه تستمدّ جميع الفضائل، و هو الثبوت و القوة على ما يوجبه العدل و العلم.

4- الحديث فى شرح السير الكبير 1: 97 و جاء فى فيض القدير 4: 2206 برقم 2584: إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق. قال محققه: أخرجه أحمد 2: 381 و ابن سعد 1: 151 و البخارىّ فى الأدب المفرد 273 و الحاكم فى مستدركه 2: 613 قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم و وافقه الذهبى. و ذكره البيهقى فى شعب الإيمان 6: 7978 عن أبى هريرة. و صححه الألبانى فى صحيح الجامع 1: 2349.

المواقف الصعبة و الحروب الكبار فثبت إذ فرّ الكماة، و أقبل إذ أدبر الأبطال الحماة، كل شجاع سواه قد أحصيت له فرّة(1). و كلّ نجدة غيره قد حفظت عنه جولة، و حضر- صلّى اللّه عليه و سلم- قبل النبوّة حرب الفجار(2) و هو ابن أربع عشرة سنة أو خمس عشرة فيما ذكر(3).
و روى أنّه- صلّى اللّه عليه و سلم- قال فى ذلک: كنت أنبل على عمومتى إذ(4) أردّ عليهم نبل عدوّهم إذا رموهم بها(5).
قال ابن عمر رضى الله عنه: ما رأيت أشجع و لا أنجد و لا أجود و لا أرضى من رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم-(6).
و قال علىّ رضى الله عنه: إنّا كنّا إذا حمى النّاس و احمرّت الحدق اتّقينا برسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- فما يكون واحد أقرب إلى العدوّ منه، و لقد رأيتنى يوم بدر و نحن نلوذ بالنبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- و هو أقربنا إلى العدوّ، و كان من أشدّ الناس يومئذ بأسا.
و قيل: كان الشجاع هو الذى يقرب منه- صلّى اللّه عليه و سلم- إذا دنا العدوّ لقربه منه.

1- انظر أخبار فرار بعض الشجعان العقد 1: 138 و ما بعدها.

2- انظر فى حرب الفجار: السيرة النبوية 1: 124 و العقد الفريد 5: 251 و ما بعدها.

3- انظر السيرة النبوية 1: 124 و العقد 1: 253 و قد كانت حرب الفجار قبل مبعث النبى- صلّى اللّه عليه و سلم- بست و عشرين سنة. و قد شهدها النبىّ- صلى الله عليه و سلم- و هو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه. عن العقد.

4- فى السيرة: أى أردّ ...

5- السيرة النبوية 1: 124، 125.

6- سنن الدارمى: المقدمة: الحديث برقم 59 قال ابن عمر: ما رأيت أحدا أنجد و لا أجود و لا أشجع و لا أضوأ و أوضأ من رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم).

و قال أنس(1): كان النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- أحسن الناس، و أجود الناس و أشجع الناس. لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلقنا من قبل الصوت فتلقّاهم رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- راجعا قد سبقهم إلى الصوت و استبرأ الخبر على فرس لأبى طلحة عرى و السيف فى عنقه و هو يقول: لن تراعوا لن تراعوا(2).
و سأل رجل البراء(3): أفررتم يوم حنين عن رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم-
قال: لا، كرّ رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- لم يفرّ، ثم قال: لقد رأيته- صلّى اللّه عليه و سلم/ (م 57) على بغلته البيضاء و أبو سفيان أخذ بلجامها و النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- يقول:
أنا النبىّ لا كذبأنا ابن عبد المطّلب

1- أنس بن مالک 10 ق. ه- 93 ه- 612- 712 أنس بن مالک بن النضر بن ضمضم النجّارى الخزرجى الأنصارى، أبو ثمامة، أو أبو حمزة صاحب رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) و خادمه.
مولده بالمدينة و أسلم صغيرا و خدم النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) إلى أن قبض، ثم رحل إلى دمشق و منها إلى البصرة فمات فيها و هو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. عن الأعلام 2: 24.

2- فى كتاب الخيل لأبى عبيدة 115 ... عن أنس بن مالک قال: كان فزع بالمدينة فركب رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) فرسا كان لأبى طلحة فلما رجع- صلّى اللّه عليه و سلم- قال: لم نر شيئا غير أنا وجدناه بحرا أى: فرس أبى طلحة.

3- البراء بن مالک- ت 20 ه- 641 م: ابن النضر بن ضمضم النجّارى الخزرجى، صحابى، من أشجع الناس، شهد أحدا و ما بعدها مع رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم)، و كتب عمر إلى عماله: لا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين فإنه مهلكة يقدم بهم. و كان فى مظهره ضعيفا، قتل مئة شخص مبارزة عدا من قتل فى المعارک. نقل ابن الجوزى أن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أغلق بابه فيه رجال من المشركين، فجلس البراء بن مالک على ترس و قال:
ارفعونى برماحكم فألقونى إليهم ففعلوا فأدركوه و قد قتل عشرة منهم.

كان على ميمنة أبى موسى الأشعرى يوم فتح تستر فاستشهد على بابها الشرقى و قبره فيها و هو أخو أنس بن مالک. الأعلام 2: 47.

قيل: فما رئى يومئذ أحد كان أشدّ منه.
و عن العباس(1) رضى الله عنه قال: لمّا التقى المسلمون و الكفّار و ولّى المسلمون مدبرين فطفق النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- يركض بغلته نحو الكفّار و أنا أخذ بلجامها أكفّها إرادة أن لا تصرع، و أبو سفيان أخذ بركابه ثم نادى: يا المسلمون.
قيل: و كان رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- إذا غضب- و لا يغضب إلا لله- لم يقم لغضبه شىء.
و لمّا رآه أبىّ بن خلف(2) يوم أحد و هو يقول: أين محمد- لا نجوت إن نجا- و قد كان يقول للنبى- صلّى اللّه عليه و سلم- حين افتدى يوم بدر: عندى فرس أعلفها كلّ يوم فرقا(3) من ذرة أقتلك عليها. فقال له النبى- صلّى اللّه عليه و سلم- أنا أقتلك إن شاء الله. فلمّا رآه يوم أحد شدّ أبىّ على فرسه على رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- فاعترضه رجال من المسلمين. فقال النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- هاكذا- أى

1- العباس بن عبد المطلب 51 ق. ه- 32 ه- 573- 653 م: ابن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل، من أكابر قريش فى الجاهلية و الإسلام، و جدّ الخلفاء العباسيين و هو عمّ الرسول(صلّى اللّه عليه و سلم)، كان محبا لقومه سديد الرأى واسع العقل، مولعا بإعتاق العبيد، و كانت له سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام(و هى أن لا يدع أحدا يسبّ أحدا فى المسجد و لا يقول فيه هجرا) أسلم بمكة و كتم إسلامه و أقام بمكة يكتب لرسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) أخبار المشركين ثم هاجر إلى المدينة و شهد وقعة حنين و فتح مكة. توفى بالمدينة الإصابة 4: 30 برقم 4498 و الأعلام 3: 262. و الأخبار المشار إليها هى فى غزوة حنين.

2- أبىّ بن خلف ت 3 ه- 625 م: أبىّ بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، كان يحارب رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) و يتعرّض له و يمنع الناس من مجالسته. و كان من سادة قريش.
و كان يهدد الرسوله(صلّى اللّه عليه و سلم) و حاول قتل الرسول ه(صلّى اللّه عليه و سلم) يوم أحد فقتله الرسول(صلّى اللّه عليه و سلم) بيده ذلک اليوم. السيرة النبوية 2: 602 و 601 و 636.

3- الفرق: مكيال بالمدينة يسع ثلاثة أصع أو ستة عشر رطلا عن حواشى

السيرة 2: 602.

خلّوا عن طريقه- و تناول الحربة من الحارث بن الصمّة(1) فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير(2) الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ(3) منها عن فرسه مرارا. و قيل بل كسر ضلعا من أضلاعه، فولّى نحو قريش و هو يقول:
قتلنى محمد. ثم احتقنت طعنته فمات لعنه الله(4).
قال عمران بن حصين(5): ما لقى رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- كتيبة إلا كان أوّل من يضرب. قال مالک بن عوف النّصرى حين أسلم:
ما إن رأيت و لا سمعت بمثلهفى الناس كلّهم بمثل محمّد
أوفى و أعطى للجزيل إذا اجتدىو متى تشأ يخبرک عمّا فى غد
و إذا الكتيبة عرّدت أنيابهابالسمهرىّ و ضرب كلّ مهنّد
فكأنّه ليث على أشباله‌وسط الهباءة خادر فى مرصد(6)

و اعلم أنّ الشجاعة هى اعتقاد القوّة على دفع المعترض بحسب

1- الحارث بن الصّمة ت 2 ه- 624 م: الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيک من بنى عمرو ابن مالک بن النجار، و هو من أهل بدر، كسر بالروحاء فردّه النبىّ(صلّى اللّه عليه و سلم) و ضرب له بسهمه ثلاثة نفر. الإصابة 1: 294 برقم 1423 و السيرة النبوية 1: 523.

2- فى السيرة النبوية 2: 602: تطايرنا عنه تطاير الشّعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها.

3- تدأدأ: تقلّب عن فرسه فجعل يتدحرج. السيرة 2: 602.

4- انظر الخبر فى السيرة النبوية 2: 601، 602.

5- عمران بن حصين ت 52 ه- 672 م: عمران بن حصين بن عبيد أبو نجيد الخزاعى، من علماء الصحابة، أسلم عام خيبر سنة 7 ه و كانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة، و بعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم و ولاه زياد قضاءها و توفى بها و هو ممن اعتزل حرب صفين.
الإصابة 5: 26 برقم 6005 و الأعلام 5: 70.

6- الخبر مع الشعر فى السيرة النبوية 2: 927، 928 و السمهرىّ: الرمح، و المهنّد: السيف.
و الهباءة: الغبار الذى يثور عند اشتداد الحرب.

الإمكان، و صورتها تظهر بالمغالبة و الصبر و لذلک قال الأحنف(1) و قد سئل عنها فقال: صبر ساعة(2) و سئل أبو جهل عنها فقال: الصبر على حدّ السيوف فواق ناقة(3)- و ذلک ما بين الحلبتين من مهلة-.
قال بعضهم: الشجاعة هى فضيلة قوة الغضب، و يعنى بالفضيلة الاعتدال و هو استعمال تلک الصورة حيث ينبغى، و استعمالها حيث لا ينبغى هو طرف الجور و التهوّر حتّى إنه ربّما ألقى بيده إلى التهلكة.
و طرف التقصير و الذلّ هو الجبن و معناه الخوف من غلبة المعترض و الإلقاء بيد الذلّ مع إمكان الغلب، و ذلک أنّ تلک الصورة إمّا أن تكون طرفا أو واسطة و الطرف مذموم. و هو أحد شيئين: إمّا إفراط/ (م 58) و جور و إمّا تقصير و ذلّ. و الواسطة هى صورة الخير و خير الأمور أوسطها. فإذا صحّ هذا فإنّما يحمد الفعل إذا صدر عن الرأى فيسمّى حينئذ حزما و معناه فعل ما ينبغى كما قال أبو الطيب المتنبى(4):

1- الأحنف بن قيس 3 ق. ه- 72 ه- 619- 691 م: الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرّى السعدى المنقرى التميمى أبو بحر، سيد تميم و أحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين، يضرب به المثل فى الحلم ولد فى البصرة و أدرک النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) و لم يره و وفد إلى عمر حين آلت الخلافة إليه فى المدينة فاستبقاه عمر و مكث عاما و أذن له فعاد إلى البصرة و شهد الفتوح فى خراسان، و اعتزل الفتنة يوم الجمل و شهد صفين مع على ثم وفد على معاوية و ولى خراسان و كان صديقا لمصعب بن الزبير فوفد عليه بالكوفة و توفى عنده.
تهذيب التهذيب 1: 191 و الأعلام 1: 276.

2- سراج الملوک 2: 667.

3- سراج الملوک 2: 667.

4- المتنبى 303- 354 ه- 915- 965 م: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى الكوفى الكندى، أبو الطيب المتنبى الشاعر الحكيم، له الأمثال السائرة و الحكم البالغة، ولد فى الكوفة و نشأ بالشام و تنقّل فى البادية. و سجنه لؤلؤ أمير حمص لادّعائه النبوة، حتى- - تاب ثم خرج و اتصل بسيف الدولة سنة 337 ه- فمدحه ثم مضى إلى مصر فمدح كافورا الإخشيدى ثم هجاه ثم اتجه إلى العراق و فارس و قتل فى طريق عودته

من شيراز بعد أن مدح عضد الدولة. عن الأعلام 1: 115.

الرأى قبل شجاعة الشجعانهو أوّل و هى المحلّ الثانى
فإذا هما اجتمعا لنفس حرّةبلغت من العلياء كلّ مكان
و لربّما طعن الفتى أقرانهبالرأى قبل تطاعن الأقران
لو لا العقول لكان أدنى ضيغمأدنى إلى شرف من الإنسان
و لما تفاضلت الرجال و دبّرتأيدى الكماة عوالى المرّان(1)

قال علىّ رضى الله عنه: رأى الشيخ خير من جلد الغلام(2).
و قالوا: الحذر زمام الشجاعة و التهوّر عدوّ الشدة
ذكر أبو الفرج قدامة(3) أنّ عناصر الفضائل الإنسانية أربعة: العقل و العفّة و العدل و الشجاعة و جعل من أقسام الشجاعة: الحماية و الدفاع و الأخذ بالثأر و النّكاية فى العدوّ و المهابة و قتل الأقران و السير فى المهامه و القفار(4) و ركوب الأخطار و تقحّم الأهوال، فالشجاعة هى أحد العناصر الأربعة من الفضائل الإنسانية، و هى فى المرتبة العليا منها لما تدلّ عليه من كمال الذكوريّة و ما تقتضيه من الهيبة و حماية الحوزة و الظّفر بالعزّ.

1- ديوان المتنبى: العرف الطيب 2: 251، 252 و الأبيات مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة.

2- العقد الفريد 1: 62 و فيه: رأى الشيخ خير من مشهد الغلام و انظر نهاية الأرب 6: 75.

3- أبو الفرج قدامة ت 337 ه- 948 م: قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادى، أبو الفرج، كاتب من البلغاء الفصحاء المتقدّمين فى علم المنطق و الفلسفة، كان فى أيام المكتفى بالله العباسى و أسلم على يديه و توفى ببغداد، يضرب به المثل فى البلاغة. له كتب منها:
الخراج و نقد الشعر و جواهر الألفاظ و كلها مطبوعة. عن الأعلام 5: 191.

4- انظر كلام قدامة الذى ينتهى عند كلمة القفار فى نقد الشعر 67، 68.

أو ليس من أعظم فضائلها أنّ الممالک العظيمة و الدّول الکبار التی يضطرّ الخلق إلی وجودها إنّما تقوم و تثبت بأصحاب تلک الصّفة. و هذا دين الإسلام المؤيّد بنصر الله الذی غلب علی الممالک جميعا و بلغ من أقصی الشرق إلی نهاية الغرب، هل ذلک ممّا قام بغير الشّجاعة و العزّة و الفتوّة.
کتب أنو شروان(1) إلی مرازبته: عليکم بأهل الشجاعة و السخاء فإنّهم أهل حسن الظنّ بالله(2).
قال بعضهم: الشّجعان عند اللقاء ثلاثة(3):
(فالأول)- رجل إذا التقی الجمعان و تقارب الزّحفان و اکتحلت الأحداق بالأحداق برز من الصفّ إلی وسط المعترک يحمل و يکرّ و ينادی:
هل من مبارز فهو أشرفهم(4).
و الثانی- إذا ناشب القوم الحرب و صاروا حرجة مختلطين لا يدری أحد من أين يأتيه الموت، فيکون رابط الجأش ساکن القلب حاضر اللبّ، لم يخامره الدهش و لا خالطته الحيرة، فيتقلّب تقلّب القائم علی نفسه المالک لأمره، و هذا أحزمهم(5).
و الثالث- إذا انهزم أصحابه لزم السّاقة و ضرب فی وجه العدوّ

1- أنوشروان هو کسری أبرويز بن هرمز بن کسری أنوشروان. انظر نهاية الأرب 15: 215 و ما بعدها.

2- الخبر فی العقد 1: 100.

3- النقل من سراج الملوک 2: 671 و فيه: و اعلم أن الشجاعة عند اللقاء علی ثلاثة أوجه:

4- عبارة« فهو أشرفهم» ليست فی سراج الملوک.

5- عبارة سراج الملوک: و الثانی: إذا التحم القوم و اختلطوا، و لم يدر أحد من أين يأتيه الموت ...
و عبارة« و هذا أحزمهم» ليست فی سراج الملوک.

و حال بينه و بين أصحابه و رجّى الضّعفاء و قوّى قلوبهم، و أمدّهم بالكلام الجميل، و شجّع نفوسهم، فمن وقع أقامه، و من وقف حمله، و من كردس(1) عن فرسه كشف عنه حتّى ييأس العدوّ منه و هذا أحمدهم.
و عن هذا قالوا: المقاتل وراء الفارّين كالمستغفر/ (م 59) من وراء الغافلين(2).

[شجاعة مسلمة بن عبد الملک]

قال هشام بن عبد الملک(3) لأخيه مسلمة بن عبد الملک(4): أبا سعيد، هل دخلک ذعر قطّ لحرب أو عدوّ؟
قال: ما سلمت فی ذلک من ذعر ينبّه علی حيلة، و لم يغشنی ذعر فيسلبنی رأيی.
قال هشام" صدقت هذه و الله الشّجاعة(5).

1- كردس: هنا بمعنی وقع و هی فی المعجم بمعنی كردس القائد الخيل أو الجيش أی جعله كراديس.

2- و بعد ذلک: و من أكرم الكرم الدفاع عن الحرم. سراج الملوک 2: 671 و قد نقل عنه بتصرف.

3- هشام بن عبد الملک 71- 125 ه- 690- 743 م: هشام بن عبد الملک بن مروان من ملوک الدولة الأموية بالشام، ولد فی دمشق و بويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة 105 ه. و خرج عليه زيد بن علی بن الحسين سنة 120 ه بأربعة عشر ألفا من أهل الكوفة، فوجّه إليه من قتله و فلّ جمعه، و نشبت فی أيامه حرب هائلة مع خاقان الترک فی ماوراء النهر انتهت بمقتله و استيلاء العرب علی بعض بلاده اجتمع فی خزانته من المال مالم يجتمع فی خزانة أحد من ملوک بنی أمية فی الشام. و بنی الرصافة قرب الرقة، و كان يسكنها فی الصيف و توفی فيها.
كان حسن السياسة، يقظا فی أمره، يباشر الأعمال بنفسه. عن الأعلام.

4- مسلمة بن عبد الملک ت 120 ه- 738 م: مسلمة بن عبد الملک بن مروان، أمير قائد من أبطال عصره، من بنی أمية فی دمشق، يلقب بالجرادة الصفراء، له فتوحات مشهورة. سار فی مئة و عشرين ألفا لغزو القسطنطينية فی دولة أخيه سليمان. و ولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية. و غزا الترک و السند سنة 109 و مات بالشام. الأعلام 7: 224.

5- انظر الخبر فی عيون الأخبار 1: 172 و العقد الفريد 1: 104

و قال عمرو بن معد یکرب:
الفزعات ثلاث، فمن کانت فزعته فی رجلیه فذلک الذی لا تقلّه رجلاه.
و من کانت فزعته فی رأسه فذلک الذی یفرّ عن أبویه، و من کانت فزعته فی قلبه فذلک الذی یقاتل(1).
و الأخلاق الطبیعیة هی التی تصحب الإنسان فی کافّة أموره، و هی عسیرة الانتقال أو ممتنعته، و ذلک لأنّها من مقتضی ترکیب الجسم و کیفیة المزاج، فإنّ الحکمة التی لا تفاوت فیها قضیت بمناسبة الحامل لمحموله و إتباع العرض لجوهره. فأمّا الأخلاق المتصنّعة و العرضیّة فلا اعتبار بها، فقد نجد الجبان ربّما شجع و البخیل ربّما سخا.، هؤلاء لیسوا فی مثل هذا جارین علی ما توجبه طبائعهم و تقتضیه کیفیّة أمزجتهم، لکن الأمور حادثة إذا قدّر عدمها بطل ذلک التصنّع، و النفس أقوی شیء إذا وجدت سبیل الحیلة، و هی أضعف شیء إذا یئست من الحیلة.

[الأمور المشجعة]

فمن الأمور المشجّعة توهّم الخلاص قريبا، و توهّم الأمر المخوف إمّا مفقودا و إمّا بعيدا. و منها أن يتوهّم العدة التى يلقى بها الأمر المخوف قريبة منه، و منها أن يتخيّل أنّ له أعوانا كثيرة أو قوما يمنعونه أن ينال بشرّ، و منها أن يكون قد أشرف على الأمر العظيم مرارا كثيرة و تخلّص منه فإنّ هذا يكسبه شجاعة التجربة.
قال خالد بن الوليد عند موته- رحمة الله تعالى عليه- لقد لقيت

1- الخبر فى العقد 1: 138.

كذا و كذا زحفا و ما فی جسدی موضع شبر إلا و فیه ضربة أو طعنة أو رمیة
ثمّ ها أنذا أموت حتف أنفی(1)، فلا نامت أعین الجبناء(2).
قال قطریّ بن الفجاءة(3):
لا یرکنن أحد إلی الإحجامیوم الوغی متخوّفا لحمام
فلقد أرانی للرماح دریئةمن عن یمینی تارة و أمامی
حتّی خضبت بما تحدّر من دمیأحناء سرجی بل عنان لجامی
ثمّ انصرفت و قد أصبت و لم أصبجذع البصیرة قارح الإقدام(4)

و کذلک عدم التجربة أیضا مشجع للجهل بما فی ذلک الأمر من

1- فی العقد 1: 139: أموت حتف أنفی کما یموت العیر.

2- الخبر فی العقد 1: 139 و فی عیون الأخبار 1: 165.

3- قطری بن الفجاءة ت(78 ه- 697 م): قطری(أبو نعامة) ابن الفجاءة و اسمه« جعونة» ابن مازن بن یزید الکنانی المازنی التمیمی من رؤساء الأزارقة(من الخوارج) و أبطالهم، من أهل(قطر) کان خطیبا فارسا شاعرا استفحل أمره فی زمن مصعب بن الزبیر(ت 71 ه) لما ولی العراق نیابة عن أخیه عبد الله. و بقی قطریّ ثلاث عشرة سنة یقاتل و یسلّم علیه بالخلافة و إمارة المؤمنین، و الحجّاج یسیّر إلیه جیشا بعد جیش و هو یردّهم و یظهر علیه، و کانت کنیته فی الحرب أبا نعامة(و نعامة فرسه) و فی السلم أبا محمد. کان فصیحا مفوّها سیدا عزیزا.
اختلف فی مقتله. عن الأعلام 5/ 200 و قد جمع الدکتور إحسان عباس شعر قطریّ ضمن کتاب« شعر الخوارج» و الأبیات فی الکتاب المذکور ص 112 برقم 109 و فی الحماسة بشرح المرزوقی 1/ 136 برقم 20

4- الأبیات فی شعر الخوارج 112 برقم 109 و معنی قوله: لا یرکنن أی لا یمیلن و الإحجام النکوص. و الدریئة هی الحلقة التی یتعلم علیها الطعن. و أحناء السرج: نواحیه و الجذع:
الشاب الحدث و القارح: هو الذی انتهی سنه و معنی البیت کما فسّره أبو العلاء المعری أنه قد کان لم یزل شجاعا فإقدامه قارح و بصیرته محدثة لأنه کان فیما سلف لا یری رأی الخوارج ثم تبصّر فی آخر أمره فعلم أنهم علی الحق. عن محقق شعر الخوارج و فی شعر الخوارج بیتان بعد هذه

الأبيات و هى فى الحماسة أربعة أبيات.

المخاطر، و مثال ذلک ما یعرض للذین یرکبون البحر عند ارتجاجه و هوله، فإنّ الذین لم یجرّبوا أهوال البحر یکونون شجعانا لجهلهم بالعواقب، و الذین لهم تجربة به یکونون أیضا شجعانا لما اتّفق لهم من السلامة قبل ذلک.
قال علیّ رضوان الله عنه: من فکر فی العواقب لم یشجع(1). فإذا کان ترک التفکّر فیها مشجّعا فالجهل بها أحری، قال ابن علّفة(2) (م 60):
إذا همّ ألقی بین عینیه عزمهو أعرض عن ذکر الحوادث جانبا
و لم یستشر فی رأیه غیر نفسهو لم یرض إلا قائم السیف صاحبا(3)

و مما یشجع أن یعتقد الإنسان أنّه أفضل من الذی یغالبه، و الغضب أیضا مما یشجّع، و ممّا یحرک الغضب أن یکون مظلوما غیر ظالم فإنّ المظلوم یشجّعه الغضب و ثقته بأنّ الله ینصر المظلومین، و کذلک أیضا یحرّک الغضب بذکر الضغائن و الأحقاد.

1- قول علیّ فی العقد 1: 97.

2- هذه الأبیات لسعد بن ناشب بن مازن بن عمرو بن تمیم و هو شاعر إسلامی کان من شیاطین العرب، و هو صاحب یوم الوقیط فی الإسلام بین تمیم و بکر بن وائل(انظر العقد 5: 182) و انظر خزانة الأدب 3: 444 و سمط اللالئ: 792 و الشعر و الشعراء 677 و فی شرح التبریزی:
أنه کان أصاب دما فهدم بلال داره. و اشتقاق« ناشب» من قولهم: رجل ناشب: أی ذو نشب.
عن حاشیة الحماسة بشرح المرزوقی 1: 67.

3- البیتان هما الثامن و التاسع من الحماسیة العاشرة التی ذکرها أبو تمام برقم(10) و هی تسعة أبیات أولها:
سأغسل عنی العار بالسیف جالباعلیّ قضاء الله ما کان جالبا
انظر الأبیات مع شرحها فی شرح المرزوقی للحماسة 1: 67 برقم 10 کذلک ذکرها ابن قتیبة فی عیون الأخبار 1: 187. 188.

كان أبو مسلم(1) صاحب الدولة العباسية يقول لقوّاده: أشعروا قلوبكم الجرأة فإنّها من أسباب الظّفر، و أكثروا ذكر الضغائن فإنّها تبعث على الإقدام، و الزموا الطاعة فإنّها حصن المحارب، و إذا عرض لكم أمران أحدهما أقرب إلى الموت فآثروه(2).
و مما يشجّع قول العرب: الشجاع موقّى و الجبان ملقّى(3)، قالوا- و اعتبر ذلک- فإنّ من يقتل مدبرا أكثر ممن يقتل مقبلا. و لذلک قال أبو بكر رضى الله عنه لخالد بن الوليد: احرص على الموت توهب لک الحياة(4) قال الحصين بن الحمام(5):

1- أبو مسلم(100- 137 ه- 718- 755 م): أبو مسلم الخراسانى، عبد الرحمن بن مسلم، مؤسس الدولة العباسية، و أحد كبار القادة، ولد فى(ماه البصرة) مما يلى أصبهان، اتّصل بإبراهيم الإمام(من بنى العباسى) فأرسله إلى خراسان داعية فاستمال أهلها و استولى على نيسابور فخطب باسم السفاح العباسى و شارک فى هزيمة مروان بن محمد، و ارتفع شأن أبى مسلم و بلغ منزلة عالية فقتله أبو جعفر المنصور.
كان أبو مسلم فصيحا بالعربية و الفارسية مقداما داهية حازما راوية للشعر قصير القامة أسمر اللون رقيق البشرة، حلو المنظر، طويل الظهر قصير الساق، لم ير ضاحكا و لا عبوسا، خافض الصوت فى حديثه قاسى القلب. عن الأعلام 3: 337.

2- النص إلى هنا فى عيون الأخبار 1: 134.

3- فى مجمع الأمثال: الشجاع موقى 2: 161 برقم 1949 قال: و ذلک أنّه قلّ من يرغب فى مبارزته- أى مبارزة الشجاع- خوفا على نفسه، و هذا كما يقال: احرص على الموت توهب لک الحياة. و انظر شرح الحماسة للمرزوقى 1: 197.

4- عيون الأخبار 1: 126.

5- الحصين بن الحمام ت نحو(10 ق. ه- 612 م): ابن ربيعة المرّى الذبيانى أبو يزيد، شاعر فارس جاهلى، كان سيد بنى سهم بن مرّة(من ذبيان) و يلقب« مانع الضيم» فى شعره حكمة، و هو ممن نبذوا عبادة الأوثان فى الجاهلية. مات قبل ظهور الإسلام. و قيل: أدرک الإسلام.

الأعلام 2: 262. سمط اللالئ 226 خزانة الأدب 2/ 9.

تأخّرت أستبقی الحیاة فلم أجدلنفسی حیاة مثل أن أتقدّما
فلسنا علی الأعقاب تدمی کلومناو لکن علی أقدامنا یقطر الدما(1)

و کذلک یشجع طلب التخلّص إذا انقطعت الآمال، فمن أمثالهم فی ذلک: مکره أخوک لا بطل(2). و أصله أنّ بیهسا الفزاریّ الملقّب بنعامة حین قتل إخوته طلب بثأرهم، و کان له خال یکنی أبا حشر، فقال له بیهس: اخرج بنا إلی موضع کذا، و کتمه ما یرید به، ثم مضی به إلی الذین یطلبهم، فهجم به علیهم فجأة ثم قال: ایه أبا حشر، ضربا أبا حشر فلمّا رأی أبو حشر أنّه قد نزلت به البلیّة جعل یذبّ عن نفسه و یقاتلهم بجهده. فقال الناس: ما أشجعه حین قدم علی هؤلاء.
فعندها قال أبو حشر: مکره أخوک لا بطل، أی لیس هذه الشجاعة منی و لکن حملت علیها.
و ممّا یشجّع أیضا اعتقاد التمدّح و التشرّف بالموت فی القتال کما قال عبد الله بن الزبیر بن العوّام: إنّا و الله لا نموت حتفا و لکن قعصا بأطراف الرماح و موتا تحت ظلال السیوف(3).

1- البیتان من حماسیة وردت فی ثلاثة أبیات، و ثالثها:
نفلّق هاما من رجال أعزّةعلینا و هم کانوا أعقّ و أظلما
و الأبیات فی الحماسیة بشرح المرزوقی 1: 197 برقم 41.

2- ورد هذا المثل فی مجمع الأمثال للمیدانی 3: 341 برقم 4117 و یرید أنه محمول علی ذلک- أی الشجاعة- لا أنّ فی طبعه شجاعة. یضرب لمن یحمل علی ما لیس من شأنه. و قصة المثل وردت بالتفصیل فی مجمع الأمثال 1: 268 برقم 771 عند تفسیره للمثل: ثکل أرأمها ولدا.
و قد أورد مؤلف تحفة الأنفس القصة موجزة.

3- قال ابن الزبیر ذلک لما أتاه خبر مقتل أخیه مصعب بن الزبیر، فخطب و قال: إن یقتل فقد- - قتل أبوه و أخواه و عمه، إنّا و الله لا نموت حتفا، و لکن نموت قعصا بأطراف الرماح و موتا تحت ظلال السیوف و إن یقتل مصعب فإنّ فی آل الزبیر خلفا منه. العقد الفرید 1: 101 و یقال: مات قعصا إذا أصابته ضربة أو رمیة فمات مکانه.

و قال السّموأل(1):
و ما مات منّا سيّد فی فراشهو لا طلّ منّا حيث كان قتيل
تسيل علی حدّ الظّبات نفوسناو ليست علی غير الظبات تسيل(2)

و قال الآخر:
إنّا لمن معشر أفنی أوائلهمقيل الكماة: ألا أين المحامونا(3) (م 61)

و يروی عن علیّ رضی الله عنه أنّه قال: بقيّة السيف أنمی عددا و أنجب ولدا. فاستدلّ علی صدقه عليه السلام بأبنائه و ما عمل السيف فيهم و فی آل الزّبير و كثرة أعدادهم و نموّهم(4).
و كذلک يشجّع خوف الذمّ بالفرار كما قال معاوية بن أبی سفيان:

1- السموأل(ت 65 ق. ه- 560 م): السموأل بن غريض بن عادياء الأزدی، شاعر جاهلی حكيم، من سكان خيبر شمالی المدينة، كان يتنقّل بينها و بين حصن له سمّاه« الأبلق» أشهر شعره لاميته التی مطلعها:
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهفكل رداء يرتديه جميل
و هی من أجود الشعر. و السموأل هو الذی ضرب به المثل فی الوفاء، الأعلام 3: 140 معاهد التنصيص 1: 388 السمط 595 و انظر مجمع الأمثال 3: 446 برقم 4432 و فيه المثل: أوفی من السموأل و فيه قصة المثل.

2- البيتان هما العاشر و الحادی عشر من الحماسية(15) و هی التی أولها البيت المذكور فی التعليق السابق. انظر شرح الحماسة للمرزوقی 1: 117 برقم 15.

3- هذا البيت الثامن من الحماسية 14 و هی لبشامة بن جزء النهشلی أو ابن حزن و يبدو أن الشاعر إسلامی انظر شرح الحماسة 1: 100. 107 برقم 14.

4- الخبر فی العقد 1: 102، 103 و أشار محققوه إلی أن الخبر فی البيان و التبيين 2: 168.

لقد رأيتنى ليلة الهرير بصفّين(1) و قد أثبتّ بفرس أغرّ محجّل بعيد البطن من الأرض و أنا أريد الهرب لشدّة البلوى فما حملنى على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة(2):
أبت لى شيمتى و أبى بلائىو أخذى الحمد بالثّمن الربيح
و إقحامى على المكروه نفسىو ضربى هامة البطل المشيح
و قولى كلّما جشأت و جاشترويدک تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحاتو أحمى بعد عن عرض صحيح(3)

فأمّا علىّ بن أبى طالب فروى أنّه كان يخرج كلّ يوم بصفّين حتّى يقف بين الصفّين و يقول:
أىّ يومىّ من الموت أفريوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبهو من المقدور لا ينجى الحذر(4)

1- صفّين: موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربى، و كانت حرب صفين بين على بن أبى طالب و معاوية سنة 37 ه. و قد صنف فى أخبارها نصر بن مزاحم كتابا كاملا نشر فى مصر بتحقيق عبد السلام هارون. و ليلة الهرير من ليالى القادسية و استعير الاسم هنا لبيان شدة القتال.

2- عمرو بن الإطنابة(ت؟): هو عمرو بن عامر بن زيد مناة الكعبى الخزرجىّ، شاعر جاهلى فارس، كان أشرف الخزرج، اشتهر بنسبته إلى أمه الإطنابة بنت شهاب من بنى القين. و فى الرواة من يعدّه من ملوک العرب فى الجاهلية، كانت إقامته بالمدينة، و كان على رأس الخزرج فى حرب لها مع الأوس. و هو الذى استشهد معاوية بأبياته يوم صفّين. عن الأعلام 5: 80 و السمط: 575.

3- الشعر مع الخبر فى عيون الأخبار 1: 126 و قد زاد فيها بيتا خامسا و الخبر مع هذا الشعر نفسه فى العقد 1: 104، 105 و هناک خلاف فى رواية بعض الألفاظ. و معنى قوله: جشأت و جاشت أى تطلعت و نهضت جزعا و كراهة.
قال المبرد فى الكامل: 53: المشيح: الحامل الجاد، يقال: أشاح يشيح إذا حمل. و انظر أيضا الكامل 2: 351.

4- انظر الخبر و الشعر فی العقد الفرید 1: 105 و تکرر ذکر الشعر فیه 5: 274.

فشجّعه رضى الله عنه الأمن من الأجل أنّه لا يأتيه قبل وقته، فهذا أشرف و أقوى من الذى ذكرناه عن معاوية، و ذلک أنّ اعتقاد هذا مشجّع فى كلّ حين، فالمرء به شجاع أبدا مع أنه على حزم و حقّ و معرفة بالعاقبة و عمل بما ينبغى.
و أمّا الخوف من الذم فليس اعتقاده مستصحبا فى كلّ موضع، فربّما قرر المرء مرة أنه لا يدركه ذمّ، فإذا اعتقد ذلک صنع ما هو أحسن له فى الحال و أيضا فإنّه لم يخل من خوف الموت و استحباب الحياة، و اعتقاد هذا ضعف و إن كان قد فضّل السلامة من الذمّ على السلامة من الموت، و هو بعد ذلک كلّه تصنّع من أجل الناس لا من أجل نفسه و التصنّع للناس ضعف، و كانت شجاعة علىّ رضى الله عنه طبعا لا يتكلّف.
قيل له: أتقتل أهل الشّام بالغداة و تظهر بالعشىّ فى إزار ورداء؟! فقال: بالموت تخوّفونى!! و الله ما أبالى سقطت على الموت أو سقط الموت علىّ(1). و قال عنترة(2):
بكرت تخوّفنى الحتوف كأننىأصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إنّ المنيّة منهلا بدّ أسقى بكأس المنهل
فاقنى حياءک لا أبالک و اعلمىأنّى امرؤ ساموت إن لم أقتل(3)

1- انظر الخبر فى العقد 1: 102 و الكامل.

2- عنترة ت نحو 22 ق. ه- نحو 600 م: عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسىّ، أشهر فرسان العرب فى الجاهلية، و هو من أهل نجد، كان من أحسن العرب شيمة و من أعزّهم نفسا، يوصف بالحلم على شدة بطشه، و فى شعره رقة و عذوبة، و قل أن تخلو قصيدة من قصائده من ذكر عبلة ابنة عمه التى كان يحبها. و شهد حرب داحس و الغبراء.
و قتله الأسد الرهيص أو جبار بن عمرو الطائى. عن الأعلام 5: 91 و الأغانى 8: 237 و خزانة الأدب 1: 62.

3- الأبيات فى العقد 1: 106.

و قال قطریّ بن الفجاءة:
أقول لها و قد طارت شعاعامن الأبطال و یحک لا تراعی(1)
فإنّک لو سألت مزید یومعلی الأجل الذی لک لم تطاعی(2)
فصبرا فی مجال الهول صبرافما نیل الخلود بمستطاع(3)
و لا ثوب البقاء بثوب عزّفیطوی عن أخی الخنع الیراع(4)
سبیل الموت غایة کلّ حیّفداعیه لأهل الأرض داع
و من لا یعتبط یسأم و یهرمو تسلمه المنون إلی انقطاع(5)

و قال النّمر بن تولب العکلیّ(6):
إذا أنت لا قیت فی نجدةفلا تتهیّبک أن تقدما
فإنّ المنیّة من یخشهافسوف تصادفه أینما
و إن تتخطّاک أسبابهافإنّ قصاراک أن تهزما
و لو أنّ من حتفه ناجیالألفیته الصّدع الأعصما

1- طارت شعاعا: أی تفرقت و انتشرت من الخوف. عن شعر الخوارج ص 108.

2- فی شعر الخوارج: ... بقاء یوم.

3- فی شعر الخوارج: ... فی مجال الموت.

4- أخو الخنع: الذلیل. و الیراع: الجبان عن شعر الخوارج: 109.

5- یعتبط: یموت من غیر غیر علة. یسأم: یملّ من الهرم و تکالیفه و قد ورد بعد هذا البیت بیت سابع هو:
و ما للمرء خیر فی حیاةإذا ما عدّ من سقط المتاع
و تجد تخریج الأبیات فی شعر الخوارج: 109.

6- النمر بن تولب:(ت نحو 14 ه- 635 م): شاعر مخضرم، عاش عمرا طویلا فی الجاهلیة، و کان فیها شاعر(الرباب) و لم یمدح أحدا و لا هجا، کان من ذوی النعمة و الوجاهة، جوادا وهّابا لماله، أدرک الإسلام و هو کبیر السن فأسلم و حمل کتاب رسول الله(صلّی اللّه علیه و سلم) لقومه، و عدّ فی المعمّرین. و کان أبو عمرو بن العلاء یسمّیه: الکیّس لحسن شعره.

عن الأعلام 8: 48 و الإصابة برقم 8804. و أبياته من قصيدة أولها:
سلا عن تذكره تكتماو كان رهينا بها مغرما
و القصيدة فى كتاب شعراء إسلاميون و فيه شعر النمر بن تولب ق 38 ص 378 و ما بعدها نقلا عن منتهى الطلب.

و قال أبو الطيّب:
و لو أنّ الحياة تبقى لحىّ‌لعددنا أضلّنا الشّجعانا(1)

(و قال آخر):
جمع الشجاعة و الخضوع لربّه‌ما أحسن المحراب فى المحراب(2)

و بقوة(3) القلب يصبر الجليس على أذى الجليس و جفاء الصاحب، و بقوّة القلب تلتقى الكلمة العوراء و الفعلة الزلّاء ممّن جاءت، و بقوّة القلب تنفذ كلّ رويّة و عزيمة أوجبها العقل و العدل و الحزم. و بقوّة القلب يضحك الرجال فى وجوه الرجال و قلوبهم مشحونة بالضغائن و الأحقاد كما قال أبو ذرّ: إنّا لنكشّر فى وجوه أقوام و قلوبنا تلعنهم(4). و قال علىّ رضى الله عنه: إنّا لنصافح أكفّا نرى قطعها. و ليس الصبر/ (س 82) و الشجاعة و قوّة النفس أن يكون المرء مصرّا فى المحال لجوجا فى الباطل، و لا أن يكون جلدا عند الضّرب صبورا على الجهل، مصمّما على التغرير و التهوّر، فإنّ هذه صفة الخنازير و الحمير، و لكن أن يكون صابرا على أداء الحقوق، صبورا على سماعها و إلقائها إليه، غالبا لهواه، مالكا لشهواته، ملتزما للفضائل بجهده، عاملا فى ذلك على الحقيقة التى

1- العرف الطيب: 2: 347.

2- البيت فى سراج الملوک 2: 669 غير منسوب. و المحراب الأولى بمعنى الشجاع الخبير بالحرب، و المحراب الثانية بمعنى مقام الإمام فى المسجد.

3- النقل عن سراج الملوک 2: 669.

4- ذكر محقق سراج الملوک أن هذا الحديث أخرجه البخارى عن أبى الدرداء فى كتاب الأدب باب المداراة مع الناس ج 10 ص 527 من فتح البارى.

لا يحيله عنها حياة و لا موت حتّى يكون عنده الموت على الخير الذى أشار به العلم و أوجبه العدل، خير من البقاء على ما أوجبه رفض العلم و العدل، كما قال علىّ لابنه الحسين رضى الله/ (م 63) عنهما: و ما يبالى أبوك أنّ الخلق خالفوه إذا كان على الحقّ، و هل الخير كلّه للحق إلّا بعد الموت(1).

[شجاعة أبی بکر]

و نختم هذا الباب بصاحبی رسول الله- صلّی اللّه علیه و سلم- و متولّیی الخلافة بعده، و نذکر محلّهما من الشجاعة.
روی عن محمد بن عقیل(2) قال: خطبنا علیّ بن أبی طالب فقال:
أیّها الناس، أخبرونی بأشجع النّاس.
قالوا: أنت یا أمیر المؤمنین.
قال: أما إنی ما بارزت أحدا إلّا انتصفت منه و لکن أخبرونی بأشجع الناس.
قالوا: لا نعلم، فمن؟
قال: أبو بکر الصدّیق إنّه لّما کان یوم بدر جعلنا لرسول الله- صلّی اللّه علیه و سلم- عریشا فقلنا: من یکون مع رسول الله- صلّی اللّه علیه و سلم- لئلا یهوی إلیه أحد من المشرکین؟
فو الله ما دنا أحد إلّا أبو بکر شاهرا بالسیف علی رأس رسول الله- صلّی اللّه علیه و سلم-/ (س 83) لا یهوی إلیه أحد إلّا أهوی إلیه، فهو أشجع الناس(3).

1- انتهی النقل من سراج الملوک 2: 670.

2- محمد بن عقیل بن أبی طالب الهاشمی روی عن أبیه. تهذیب التهذیب 5: 208 برقم 7270.

3- خبر وجود أبی بکر مع رسول الله(صلّی اللّه علیه و سلم) فی عریش واحد فی السیرة النبویة 1/ 459.

ص: 265

[شجاعة عمر]

و روى أن رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- كان يقول قبل إسلام عمر بن الخطّاب:
اللهّم أيّد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب(1).
قال ابن مسعود(2): فلقد كنّا ما نصلّى عند الكعبة حتّى أسلم عمر.
فلمّا أسلم قاتل قريشا حتّى صلّى عند الكعبة و صلّينا معه. فكان إسلامه فتحا و هجرته نصرا و إمامته رحمة(3).
فمن الشجاعة تستمدّ جميع الفضائل و هى الثبوت و القوّة على ما يوجبه العلم و العدل
و لا بدّ من حتف يلاقيک يومهفلا تجزعن من موتة هى ما هيا

1- الخبر فى السيرة النبوية 1: 231.

2- ابن مسعود: 32 ه- 653 م: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى، أبو عبد الرحمن، صحابى، من أكابرهم فضلا و عقلا و قربا من رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم)، و هو من أهل مكة و من السابقين إلى الإسلام، و أول من جهر بقراءة القرآن بمكة، و كان خادم رسول الله الأمين و صاحب سره و رفيقه فى حله و ترحاله و غزواته يدخل عليه فى كل وقت. توفى بالمدينة أيام خلافة عثمان. عن الأعلام.

3- هذه العبارة الأخيرة: كان إسلام عمر فتحا ... الخ ذكرت فى العقد 4: 270 مروية عن القاسم ابن عمر.

ص: 266

الباب السابع عشر فى صفة الحرب و تدبيرها و المكيدة فيها

اشارة

ص: 268

ص: 269
فی صفة الحرب و تدبیرها و المکیدة فیها

[فضيلة الصبر و الشجاعة]

الحرب ثفالها الصبر، و قطبها المكر، و مدارها الاجتهاد، و ثقافها الأناة، و زمامها الحذر. و لكلّ شىء من هذه ثمرة، فثمرة الصبر التأييد، و ثمرة المكر الظّفر، و ثمرة الاجتهاد التوفيق، و ثمرة الأناة اليمن، و ثمرة الحذر السلامة، و لكل مقام مقال، و لكلّ زمان رجال، و الحرب سجال، و الرأى فيها أبلغ من القتال(1).

[وصف الحرب]

و قالوا: جسم الحرب الشجاعة، و قلبها التدبير، و عينها الحذر، و جناحها الطاعة، و لسانها المكيدة و قائدها الرفق و سائقها النصر، قيل لعنترة الفوارس: صف لنا الحرب فقال: أوّلها شكوى و وسطها نجوى، و آخرها بلوى(2).
و قال غيره:
و إذا لم يكن من الموت بدّفمن العجز أن تكون جبانا(3)

و قال عمرو(4) بن أبى أمامة يوم قتلته مراد بواد يقال له

1- النص فى العقد 1: 93.

2- كلام عنترة فى العقد 1: 94.

3- البيت لأبى الطيب المتنبى من قصيدة أولها:
صحب الناس قبلنا ذا الزمانو عناهم من شأنه ما عنانا
انظر العرف الطيب بشرح ديوان أبى الطيب 2: 346.

4- هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس و سيرد خبره فى التعليق التالى.

قضيب(1) و صاحبهم هبيرة بن عبد يغوث/ (م 64) المرثدى فخرج عمرو عليهم بسيف و هو يقول:
لقد عرفت الموت قبل ذوقهإنّ الجبان حتفه من فوقه
كلّ امرىء مقاتل عن طوقهو الثّور يحمى جلده بروقه

فقوله: من فوقه يعنى من السماء بقدر.

و قد قالوا: لكلّ أحد يومان لا بدّ له منهما: أحدهما لا يعجل عليه، و الثانى: لا يقصّر عنه، فما الجبان و الفارّ.
قال بعضهم و يروى لمعاوية:

1- يوم القضيب كان بين الحارث و كندة، و فى هذا الوادى أسر الأشعث بن قيس و فيه جرى المثل« سأل قضيب بماء أو حديد» و كان من خبره أن المنذر بن امرئ القيس تزوج هند بنت آكل المرار فولدت له أولادا منهم عمرو بن هند ثم تزوّج أختها أمامة فولدت له ابنا سمّاه عمرا، فلما مات المنذر ملك بعد ابنه عمرو بن هند و قسم لبنى أمه مملكته، و لم يعط ابن أمامة شيئا. فقصد ملكا من ملوك حمير ليأخذ له بحقّه فأرسل معه« مرادا» فلما كانوا ببعض الطريق قالوا: ما لنا نذهب و نلقى بأنفسنا للهلكة. و كان مقدم مراد المكشوح(هبيرة بن عبد يغوث المرشدى) و نزلوا بواد يقال له« قضيب» من أرض قيس عيلان، فثار المكشوح و من معه بعمرو بن أمامة و هو لا يشعر فقالت له زوجته: يا عمرو أتيت أتيت، سال قضيب بماء أو حديد فذهبت مثلا. و كان عمرو فى تلك الليلة أعرس بجارية من مراد، فقال عمرو: غيرى نفّرى. أى أنك قلت ما قلت لتنفرينى به فذهبت مثلا، و خرج إليهم فقاتلهم فقتلوه و انصرفوا عنه فقال طرفة يرثيه و يحرض عمرا على الأخذ بثأره:
أعمرو بن هند ما ترى رأى معشرأماتوا أبا حسّان جارا مجاورا
عن معجم البلدان 4: 369« قضيب» و انظر معجم ما استعجم 2: 1080 و لم أقع على المثلين فى مجمع الأمثال. و الشعر فى العقد 3: 131 و جاء فى العقد 5: 282: قالت عائشة: و كان عامر بن فهيرة يقول: و أنشدت الرجز المذكور.

أكان الجبان يرى أنّهيدافع عند الفرار الأجل
فقد تدرک الحادثات الجبانو يسلم منها الشجاع البطل(1)

و فی المعنی لبعضهم:
و قد يلتقی الجمعان و الموت فيهمافيقتل من ولّی و يسلم من حمل

قال جرير بن الخطفی(2) فی مدحه للحجّاج(3):
قل للجبان إذا تأخّر سرجههل أنت من شرک المنيّة ناج

فقال له الحجّاج: جرّأت علينا الناس يا بن اللخناء!!
فقال: و الله أيّها الأمير ما ألقيت لها بالا إلّا وقتی هذا(4).

1- فی عيون الأخبار 1: 165 قال: و كان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيرا و ذكر البيتين.
أما أبو العباس المبّرد فقد نسبهما فی الكامل 2: 302 لمعاوية و رواية المبرد مطابقة لما ورد فی تحفة الأنفس أما فی عيون الأخبار فالرواية:
أكان الجبان يرى أنهسيقتل قبل انقضاء الأجل
و كذلک فی شرح الحماسة 1: 197 ذكرهما المرزوقی فی سياق شرحه للحماسية 41 و لم ينسبهما و اكتفی بقوله: و قال آخر ..

2- جرير 28- 110 ه- 640- 728 م: جرير بن عطية الخطفی من بنی يربوع من تميم، ولد و مات باليمامة و كان هجّاء مرّا لم يثبت أمامه غير الفرزدق و الأخطل. و كان عفيفا من أغزل الناس شعرا. الأغانی 8: 3. الأعلام 2: 119.

3- الحجاج(40- 95 ه- 660- 714 م): الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفی أبو محمد، قائد داهية سفّاک خطيب، ولد و نشأ بالطائف، انتقل إلى الشام و لحق بروح بن زنباع(ت 84 ه) نائب عبد الملک بن مروان فكان فی عديد شرطته ثم مازال يظهر حتّى قلّده عبد الملک أمر عسكره. هزم عبد الله بن الزبير و قتله. ثم قمع ثورة فی العراق، و دامت له الإمارة عشرين سنة و بنی مدينة واسط و بها توفی و هو أول من ضرب درهما عليه(لا إله إلا الله) تهذيب التهذيب 2: 210 و الأعلام 2: 168.

4- الخبر مع الشعر فى العقد 1: 1065105 و هو فى ديوانه بشرح الصاوى ص 89 و أول القصيدة:
هاج الهوى لفؤادک المهتاجفانظر بتوضح باکر الأحداج.

و قال الشدّاخ(1):
قاتل القوم يا خزاع و لا يدخلكم من قتالهم فشل

فهم مثلكم لهم شعر فى «م» الرأس لا ينشرون إن قتلوا(2) يقول: الناس كلّهم سواء، فلا يخفى أحد عن أحد.
و أضعف جميع الأسباب الشجاعة رجاء المجازاة بالمال كما قال أبو دلامة(3): كنت مع مروان(4) أيام الضحاک الحروريّ(5) فخرج

1- الشدّاخ: يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر من كنانة، أحد حكام العرب من قريش فى الجاهلية، كان يقال له: الشدّاخ. قال ابن حبيب: سمّى بذلک لشدخه الدماء بين قريش و خزاعة، و كانت قريش قاتلت خزاعة و أرادوا إخراجها من مكة، فتراضى الفريقان بيعمر فحكم بينهم و ساوى بين الدماء على ألّا تخرج خزاعة من مكة .. سمّى بالشدّاخ لما شدخ من الدماء و وضع منها. الأعلام 8: 205 السيرة النبوية 1: 88 قال: شدخت الدماء تحت قدمى أى وطئتها حتى تنكسر. و انظر معجم الشعراء الجاهليين: 181.

2- البيتان هما الأول و الثانى و ثالثهما:
أكلما حاربت خزاعة تحدونى كأنّى لأمهم جمل
و الأبيات فى الحماسة بشرح المرزوقى 1: 196 برقم 40.

3- أبو دلامة ت 161 ه- 778 م: زند بن الجون الأسدى بالولاء أبو دلامة، شاعر مطبوع من أهل الظرف و الدعابة، أسود اللون، جسيم و سيم، كان أبوه عبدا لرجل من بنى أسد و أعتقه، نشأ فى الكوفة و اتّصل بالخلفاء من بنى العباس فكانوا يستلطفونه و يغدقون عليه صلاتهم و له فى بعضهم مدائح، الأغانى 10: 235 و الأعلام 3: 49، 50.

4- مروان 72- 132 ه 692- 750 م: مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموى، أبو عبد الملک القائم بحقّ الله، و يعرف بالجعدىّ و بالحمار، آخر خلفاء بنى أمية، غزا سنة 105 ه فافتتح قونية و غيرها و ولاه هشام بن عبد الملک على آذربيجان و أرمينية و الجزيرة سنة 114 ه فافتتح فتوحات و خاض حروبا كثيرة، فلما قتل الوليد بن يزيد و ظهر ضعف الدولة فى الشام، دعا الناس و هو بأرمينية لمبايعته فبايعوه و جرت أحداث كثيرة انتهت

بهزيمته أيام العباسيين فى معركة الزاب. قتل مروان فى بوصير من أعمال مصر و حمل رأسه إلى السفاح العباسى.
عن الأعلام 7: 208.

5- الضحاک الحرورى ت 129 ه- 746 م: الضحاک بن قيس الشيبانى، زعيم حروریّ من الشجعان الدهاة، خرج مع سعيد بن بهدل سنة 126 ه فى 200 مقاتل من حرورية- - الجزيرة، و مات سعيد سنة 127 ه فخلفه الضحاک و بايع له الشراة، فقصد أراضى الموصل ثم شهر زور، و اجتمعت عليه الصّفرية« فرقة من الخوارج» حتى صار فى أربعة آلاف فسار إلى العراق و استولى على الكوفة و حاصر واسطا فصالحه عاملها و كاتبه أهل الموصل فاحتّلها ثم هزمه مروان بن محمد بنواحى كفر توتا و كان من علماء الخوارج. عن الأعلام 3: 215.

فارس منهم فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم ثان ثم ثالث فانقبض الناس عنه، فجعل يدنو كالفحل المغتلم. فقال مروان: من يخرج إليه و له عشرة آلاف؟
فلمّا سمعت بالعشرة آلاف هانت علىّ الدنيا و سخوت بنفسى فى سبيل العشرة آلاف و برزت إليه فإذا عليه فرو قد بلّه المطر فارمعلّ، ثم أصابته الشمس فاقفعلّ، و له عينان تقدحان كأنهما جمرتان، فلمّا رآنى فهم الذى أخرجنى، فأقبل نحوى يرتجز و يقول:
و خارج أخرجه حبّ الطمعفرّ من الموت و فى الموت وقع
من كان ينوى أهله فما رجع

فلمّا رأيته قنّعت رأسى و ولّيت هاربا و مروان يقول من هذا الفاضح لا يفوت حتى دخلت/ (م 65) فى غمار الناس(1).
قالت الحكماء: على مقدار الصبر على المصائب تكون شجاعة النفس.

[كلام للطرطوشی فی فضیلة الشجاعة]

و قال الإمام أبو بكر الطرطوشی(2): إنّ كل كريهة تدفع أو مكرمة

1- الخبر فی العقد 1: 143 و عيون الأخبار 1: 183.

2- أبو بكر الطرطوشی 451- 520 ه- 1059- 1126 م: محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشی الفهدی الأندلسی، أبو بكر الطرطوشی و يقال له ابن أبی رندقة، أديب من فقهاء المالكية الحفّاظ من أهل طرطوشةTortosa بشرقی الأندلس، تفقّه ببلاده و رحل إلی المشرق سنة 476 ه فحجّ وزار العراق و مصر و فلسطين و لبنان و أقام مدة فی الشام و سكن الإسكندرية، و كان زاهدا لم يتشبث من الدنيا بشیء من كتبه سراج الملوک. الأعلام 7: 133- 134، و النص المذكور فی سراج الملوک 2: 668.

تکتسب لا تتحقق إلا بالشجاعة و قوّة النفس و ثبات القلب(1). ألا ترى أنک إذا هممت أن تمنح شيئا من مالک خار طبعک و وهن قلبک و عجزت نفسک فشححت به. فإن حقّقت عزمک و قوّيت نفسک و قهرت عجزک أعطيت ما ضننت به من مالک(2)، فعلى قوّة القلب و ضعفه تطيب النفس بإخراجه أو تكره إخراجه(3). و على هذا النمط جميع الفضائل فمتى ما لم تقارنها قوة النفس لم تتحقّق فكانت مخدوعة.
روى عن رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- أنه قال:
الشجاعة و الجبن غرائز يضعها الله فيمن يشاء من عباده(4).
فالجبان يفرّ عن أبيه و أمّه، و الشّجاع يقاتل عمّن لا يؤوب به إلى رحله.
فبقوّة القلب يصبر المرء على امتثال الأوامر و بقوة القلب ينتهى عن اتباع الهوى و التضمّخ بالرذائل(5).
و قال غيره:
الحرب شعثاء عابسة، شوهاء/ (س 84) كالحة، حرون فى حياض الموت، شموس فى الوطيس، تتغذى بالنفوس(6).
قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعمرو بن معديكرب:

1- عبارة« و قوة النفس و ثبات القلب» ليست فى سراج الملوک.

2- عبارة سراج الملوک: أخرجت المال المضنون به.

3- عبارة سراج الملوک: و على قدر قوة القلب و ضعفه تكون طيبة النفس بإخراجه أو كراهية النفس لإخراجه مع إخراجه.

4- الحديث فى سراج الملوک.

5- نهاية النص فى سراج الملوک.

6- سراج الملوک 2: 688- 689.

صف لنا الحرب. قال: مرّة المذاق إذا شمّرت عن ساق، من صبر فيها عرف، و من نكل عنها تلف، ثم أنشأ يقول:
الحرب أوّل ما تكون فتيّةتسعى بزينتها لكلّ جهول
حتّى إذا حميت و شبّ ضرامهاعادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزّت رأسها و تنكّرتمكروهة للشمّ و التّقبيل(1)

و قالوا: الحرب أوّلها الكلام و آخرها الحمام.

[وصف الحرب]

قال نصر بن سيّار(2) صاحب خراسان فى كتابه إلى مروان بن محمّد الجعدىّ لمّا ظهرت الدعوة بخراسان يصف الحرب و مبتدأ أمرها:

أرى خلل الرّماد و ميض جمرفيوشک أن يكون له ضرام
فإنّ النار بالعودين تذكىو إنّ الحرب أوّلها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعرىأأيقاظ أميّة أم نيام

فوقع التغافل و التّهاون من مروان و كان منه ما كان(3).

1- الخبر مع الشعر فى عيون الأخبار 1: 127 و العقد 1: 93، 94 و الشعر فى سراج الملوک 2:

2- نصر بن سيّار 46- 131 ه- 666- 748 م: نصر بن سيّار بن رافع بن حرّى بن ربيعة الكنانى، أمير من الدهاة الشجعان كان شيخ مضر بخراسان، و ولى بلخ ثم ولى إمرة خراسان سنة 120 ه و غزا بلاد ما وراء النهر، ففتح حصونا و غنم مغانم كثيرة و أقام بمرو، و قويت الدعوة العباسية فى أيّامه، فحذر بنى أمية بالشام فلم يأبهوا للخطر، فلما خرج أبو مسلم خرج نصر من مرو، و أصبح يتنقل من مكان إلى آخر ينتظر النجدة و مات بساوة. عن الأعلام 8: 23.

3- الخبر مع الشعر فى عيون الأخبار 1: 128 و العقد 1: 94 و سراج الملوک 1/ 230.

فمثل العداوة و العدوّ مثل النار إن تداركت أوّلها سهل إطفاؤها و إن تركتها حتى يستحكم ضرامها صعب مرامها و تضاعفت بليّتها.
فمن حزم المرء أن لا يحتقر عدوّا و إن كان ذليلا و لا يغفل عنه و إن كان حقيرا، فالشرّ تحقره و قد ينمى(1) (س 85).
و فى حكمة سليمان بن داود عليهما السلام: الشرّ حلو أوّله، مرّ آخره(2).
فالحرب كالنار تكون شعلة ثم ترجع سعيرا. فإذا قاتلت فلا تبذل مهجتک و قوّتک من أوّل وهلة/ (م 66) لئلا يأتى معظمها فتعجز و تكلّ، و لا تنشب فى حرب و إن وثقت بشدّتک حتّى تعرف وجه التخلّص منها فمن استضعف عدوّه فقد اغترّ، و من اغترّ بقوّته فقد وهن، و الحازم يحذر عدوّه على كلّ حال، المواثبة إن قرب و الغارة إن بعد، و الكمين إن انكشف، و الاستطراد إن ولّى.

[وجوب الحذر من العدو]

و قد قالوا: لتكن أشدّ ما تكون من عدوّک حذرا ما كنت عند نفسک أكثر قوة و عددا، فليس من القوّة التورّط فى الهوّة. قال هدبة العذرى(3):
و لا أتمنّى الشرّ و الشرّ تاركىو لكن متى أحمل على الشرّ أركب
و لست بمفراح إذا الدهر سرّنىو لا جازع من صرفه المتقلّب(4)

1- سراج الملوک 2: 677.

2- العقد 1: 94

3- هدبة العذرىّ ت 50 ه 670 م: هدبة بن خشرم بن كرز من بنى عامر بن ثعلبة، من سعد هذيم من قضاعة، شاعر فصيح مرتجل راوية، من أهل بادية الحجاز بين تبوک و المدينة، و ذكر صاحب الأغانى أن هدبة كان راوية الحطيئة. قتل فى آخر حياته رجلا و هرب ثم استسلم لوالى المدينة سعيد بن العاص فحبسه ثلاث سنوات ثم سلمه إلى أهل القتيل فقتلوه.
عن الأعلام 8: 78.

4- البيتان فى العقد 1: 99

و قد جمع الله تبارک و تعالی تدبیر الحرب کلّها فی آیتین من کتابه(1) العزیز فقال یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا لَقِیتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اذْکُرُوا اللَّهَ کَثِیراً لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ وَ أَطِیعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِیحُکُمْ وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِینَ(2).

[تدبير الحرب و العمل بها]

قيل لأكثم بن صيفى(3): صف لنا العمل فى الحرب. قال: أقلّوا الخلاف على أمرائكم فلا جماعة لمن اختلف عليه، و اعلموا أنّ كثرة الصياح من الفشل، و ربّ عجلة/ (س 86) تعقب ريثا، فتلبثوا فإنّ أحزم الفريقين الركين(4).
و قالت عائشة رضى الله عنها يوم الجمل(5) و سمعت منازعة القوم و كثرة صياحهم: المنازعة فى الحرب خور، و الصياح فيها فشل.

1- فى سراج الملوک 2: 690: قال بعض الحكام: قد جمع الله تعالى آداب الحرب فى قوله تعالى .. و ذكر الآيتين و كذلک فى عيون الأخبار 1: 108.

2- 593 و هو مولى جبير بن مطعم.

3- أكثم بن صيفى ت 9 ه- 630 م: بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمى، حكيم العرب فى الجاهلية، و أحد المعمرين، عاش زمنا طويلا و أدرک الإسلام و قصد المدينة فى مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات فى الطريق، و لم ير النبى(صلّى اللّه عليه و سلم)، و أسلم من بلغ المدينة من أصحابه. و هو المعنى بالآية\i« وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ»\E عن الأعلام 2: 6.

4- الخبر فى العقد 1: 97 و تمام القول فى العقد: و ربّ عجلة تعقب ريثا، و ادّرعوا الليل فإنه أخفى للويل و تحفظوا من البيات و ورد أيضا فى سراج الملوک 2: 690 على النحو التالى: و استوصى قوم أكثم بن صفىّ فى حرب أرادوها فقال: أقلّوا الخلاف على أمرائكم، و اعلموا أن كثرة الصياح فشلّ، و لا جماعة لمن اختلف، و تثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين. و انظر عيون الأخبار 1: 108. انظر أخبار يوم الجمل فى العقد 4: 313.

5- العقد 1: 97 و تمام قولها: و ما برأيى خرجت مع هؤلاء.

و قال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه لمّا نظر إلى عسكر النبى- صلّى اللّه عليه و سلم- أ ما ترونهم خرسا لا يتكلمون يتلمّظون تلمّظ الحيّات(1).

قال الله تعالی وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ(2) فقوله سبحانه «ما استطعتم» مشتمل علی ما فی مقدور البشر من العدّة و الآلة و الحیلة، و فسّر النبیّ- صلّی اللّه علیه و سلم- القوّة بالرمی(3).
و کان بعض الصحابة إذا أراد الغزو لا یقصّ أظفاره و یترکها عدّة و یراها قوّة(4).
قال مسلمة بن عبد الملک: ما أخذت أمرا قطّ بحزم فلمت نفسی فیه و إن کانت العاقبة علیّ و لا أخذت أمرا قط وضیّعت الحزم فحمدت نفسی فیه و إن کانت العاقبة لی(5).
و کان بعض أهل التمرّس بالحرب یقول لأصحابه: شاوروا فی حروبکم الشجعان من أولی العزم و الجبناء من أولی الحزم، فإنّ الجبان لا یألو برأیه ما یقی مهجکم، و الشجاع لا یعدو ما یشدّ به نصرتکم ثمّ خلصوا

1- الخبر فی العقد 1: 97 و عیون الأخبار 1: 108
و ورد فی سراج الملوک 2: 690: و قال عتبة بن ربیعة یوم بدر لأصحابه: ألا ترون أصحاب محمد جثیا علی الرّکب کأنهم خرس یتلمظون تلمظ الحیات.
و معنی قوله: یتلمظون ... أی یخرجون ألسنتهم کالحیات کنایة عن الغیظ و التحفّز

2- الأنفال 8/ من الآیة 60.

3- جاء فی سراج الملوک: 678: فقوله تعالی\i« مَا اسْتَطَعْتُمْ»\E مشتمل علی کل ما فی مقدور البشر من العدة و الآلة و الحیلة. و فسّر النبیّ(صلّی اللّه علیه و سلم) القوة، فمّر علی أناس یرمون فقال: ألا إنّ القوة الرمی، ألا إنّ القوة الرمی، ألا إنّ القوة الرمی»

4- سراج الملوک 2: 678.

5- العقد 1: 122.

من الرأيين نتيجة تحمل عنكم معرّة الجبناء و تهوّر الشجعان، فتكون أنفذ من السهم الوالج و من الحسام الدالج(1).
قال عمرو بن العاصى لمعاوية: و الله- يا أمير المؤمنين- ما أدرى أشجاع أنت أم جبان؟!! فقال:
شجاع إذا ما أمكنتنى فرصةو إن لم تكن لى فرصة فجبان(2)

قال بعض الحكماء: انتهز الفرصة فإنها خلسة و ثب عند رأس الأمر، و لا تثب عند/ (س 87) ذنبه، و إياک و العجز فإنه أوطأ مركب(3).
و قال شبيب الحروريّ: الليل يكفيک الجبان و نصف الشجاع، و كان إذا أمسى يقول لأصحابه: أتاكم المدد(4).
و قيل لبعضهم: أىّ المكيدة فى الحرب أحزم؟
قال: إذكاء العيون، و إفشاء الغلبة و استطلاع الأخبار، و إظهار السرور و إماتة الفرق، و الاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمستنصح و لا استنصاح لمستغشّ، و إشغال الناس عمّا هم فيه من الحرب بغيره(5).
قال حبيب بن أوس(6):

1- العقد: 1: 123.

2- الخبر و الشعر فى العقد 1: 99.

3- العقد 1: 98.

4- العقد 1: 97.

5- عيون الأخبار 1: 112 و العقد 1: 122. و الفرق: الخوف.

6- حبيب بن أوس 188- 231 ه- 804- 846 م: هو أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائى، الشاعر الأديب، أحد أمراء البيان، ولد فى جاسم من قرى حوران بسورية و رحل إلى مصر، و استقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه و قدّمه على شعراء وقته، فأقام فى العراق، ثم ولى بريد الموصل، فلم يتمّ سنتين حتّى توفى فيها، كان يحفظ كثيرا من الشعر و ترک تصانيف منها كتاب الحماسة و الوحشيات و نقائض جرير و الأخطل إضافة إلى

ديوانه.

و الحرب تركب رأسها فى مشهدعدل السفيه فيه بألف حليم
فى ساعة لو أنّ لقمانا بهاو هو الحكيم لكان غير حكيم(1)

قال الأحنف بن قيس:
ما قلّ سفهاء قوم قطّ إلّا ذلّوا، فأكرموا سفهاءكم فإنّهم يكفونكم العار و النّار(2).

[تنظيم الجيش]

قال الإمام أبو بكر الطرطوشى(3) رحمه الله تعالى: و الشأن كلّ الشأن فى الحرب انتخاب الأمراء و استجواد القوّاد و أصحاب الألوية(4)، فقد قالت حكماء العجم: أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد، فلا ينبغى أن يقّدم على الجيش إلا الرجل ذو البسالة و النجدة و الشجاعة و الجرأة، ثبت الجنان، صارم القلب جريئة، رابط الجأش صادق البأس قد توسّط الحروب، و مارس الرجال و مارسوه، و نازل

1- البيتان هما 37 و 38 من قصيدة مدح بها أبو تمام أبا إسحاق المصعبىّ و أولها:
يا ربع لو ربعوا على ابن هموممستسلم لجوى الفراق سقيم
قد كنت معهودا بأحسن ساكنمنا و أحسن دمنة و رسوم
ديوانه 2: 136 ق 158 و العقد 1/ 95
و لقمان المذكور مذكور فى القرآن الكريم فى سورة سميت باسمه و ذكر القرطبى فى تفسيره 14: 59 فى تفسير سورة لقمان فى الآية الثانية عشرة أقوالا عدة فى لقمان و نسبه و خلاصة القول أنه كان وليا و لم يكن نبيا، فقد كان رجلا حكيما بحكمة الله تعالى- و هى الصواب فى المعتقدات و الفقه و الدين و العقل- قاضيا فى بنى إسرائيل و كان فى أيام النبى داود، و كان يوازر داود بحكمته.

2- الأحنف بن قيس سبقت ترجمته. الأعلام 1: 276 و تهذيب التهذيب 1: 191.

3- العقد 1: 95.

4- سراج الملوک 2: 679 و قد نقل صاحب التحفة النص بتصرّف و لن نذكر إلا الفروق التى لها أهمية ما فى سراج الملوک: الشأن كلّ الشأن فى استجارة القوّاد و انتخاب الأمراء و أصحاب الولاية.

الأقران (و نازلوه)(1) و قارع الأبطال، عارفا بمواضع الفرص، خبيرا بمواقع القلب و الميمنة و الميسرة من الحروب، و ما الذى يجب سدّه(2) بالحماة و الأبطال من ذلک، بصيرا بصفوف العدوّ و مواضع الغرّة و مواقع العدّة و مواضع/ (س 88) الشدّة، فإنه إذا كان كذلک و صدر الكلّ عن رأيه كان جميعهم كأنّهم مثله، فإن رأى لقراع الكتائب وجها و إلّا ردّ الغنم إلى الزّريبة(3)، فإنّ الحرب خدعة، و آخر ما يجب ركوبه قرع الكتائب و قرع(4) الجيوش بعضها على بعض.
فلنبدأ بتصريف الحيلة فى نيل الظّفر:
فأوّل(5) ذلک أن يبثّ جواسيسه فى عسكر عدوّه يستعلم أخباره مع الساعات، و يستعلم رؤساءهم و قادتهم و ذوى الشجاعة منهم و يدسّ إليهم و يعدهم وعدا جميلا و يوجّه إليهم بضروب الخداع، و يقوّى أطماعهم فى أن ينالوا ما عنده من الهبات الفاخرة و الولايات السنيّة، فإن رأى وجها لمعاجلتهم بالهدايا و التّحف فعل ذلک و سامهم الغدر لصاحبهم و اعتزاله وقت اللقاء، و ينشئ على ألسنتهم كتبا مدلّسة إليه و يبثّها فى عسكرهم، و يكتب على السهام أخبارا مزوّرة و يرمى بها فى جيوشهم، و يضرب

1- زيادة من سراج الملوک.

2- فى سراج الملوک: يجب شحنه.

3- فى سراج الملوک: و اعلم أن الحرب خدعة عند جميع العقلاء.

4- فى سراج الملوک: و حمل الجيوش ...

5- النقل عن سراج الملوک 2: 681 بشىء من التصرّف.

بینهم بما فیه الشرّ من ذلک، فإنّ جمیع ما ذکرنا تنفق فیه الأموال و الحیل، و اللقاء تنفق فیه الأرواح و الرؤوس.
و وجوه(1) الحیل لا تحصی، و الحاضر فیها أبصر من الغائب، و لله درّ المهلّب لمّا کتب إلیه الحجّاج یستعجله فی حرب الأزارقة، جاوبه بأن قال: إنّ من البلاء أن یکون/ (م 68) الرأی عند من یملکه لا عند من یبصره.
و من الحزم(2) المألوف عند سوّاس الحروب أن یکون حماة الرجال و کفاة الأبطال فی القلب، فإنه مهما انکسر/ (س 89) الجناحان فالعیون ناظرة إلی القلب، فإذا کانت رایاته تخفق و طبوله تدقّ، کان حصنا للجناحین یأوی إلیه کلّ منهزم، فإذا انکسر القلب تمزّق الجناحان، مثال ذلک أنّ الطائر إذا انکسر إحدی جناحیه ترجی عودته و لو بعد حین، و إن انکسر رأسه ذهب الجناحان، فلا یضرّ انکسار جناحی العسکر مع ثبات القلب، فإنّ الفارّین یتراجعون إلی القلب و یکون الظّفر لهم. و قلّ عسکر انکسر قلبه فأفلح أو تراجع إلّا أن تکون مکیدة من صاحب الجیش فیخلی القلب قصدا و تعمّدا و لا یغادر به کبیر أمر، حتّی إذا توسّط العدوّ و اشتغل بنهبه أطبقت علیه الجناحان، فقد فعله رجال من أهل الحرب.

1- النقل عن سراج الملوک 2: 682.

2- النقل عن سراج الملوک 2: 683- 684.

ص: 283

[الكمين]

و من أعظم(1) المكايد فى الحروب الكمين، و لا يحصى كثرة كم عسكر استبيحت بيضته و فلّ غربه بالكمين، و ذلک أنّ الفارس لا يزال على جهة من الدفاع و حمى الذّمار حتّى يلتفت فلا يرى وراءه بندا منشورا و لا يسمع ضرب الطّبل، فحينئذ همّته خلاص نفسه، و لتكن همّتک وراء ذلک.

[أثر الشجعان فى نيل النصر]

و مدار الحرب فى اصطناع الشجعان و اختيار الأبطال، فاصطنع ذوى البسالة و الإقدام و الحماة و الكماة، و لا عليک أن لا يكثروا، و بعيد عليک أن يكثروا، و لا تنس قول الشاعر:
و الناس ألف منهم كواحدو واحد كالألف إن أمر عنا

بل قد جرّب ذلک فوجد الواحد خيرا من العشرة الآلاف و سأحكى لک من/ (س 90) ذلک ما تقضى فيه بالعجب، فهم فى الجيش و إن قلّوا كالإنفحة(2) فى اللبن.
فمن(3) ذلک لمّا التقى المستعين الصغير ابن هود(4) مع الطّاغية ابن رذمير النصرانىّ- قصمه الله- على مدينة و شقة من ثغور بلاد

1- النقل من سراج الملوک بشىء من التصرّف 2: 684- 685.

2- الإنفحة- بتشديد الحاء المهملة و تخفيفها- مادة تستخرج من معدة الرضيع من العجول و الجداء أو نحوهما بها خميرة تجبّن اللبن(عن محقق سراج الملوک).

3- سراج الملوک 2: 685.

4- ابن هود ت 503 ه- 1109 م: أحمد(المستعين) بن يوسف(المؤتمن) ابن أحمد(المقتدر) ابن سليمان بن محمد بن هود، رابع ملوک الدولة الهودية(من دول الطوائف بالأندلس) و كان مقام ملوكها فى سرقسطة. ولى بعد وفاة أبيه سنة 478 ه و كان من الغزاة، و له وقائع مع الإفرنج، و كانت فى أيامه وقعة وشقةHuesca سنة 489 ه- 1096 م قتل فيها نحو عشرة آلاف من جيشه و استمر فى الإمارة إلى أن قتل شهيدا فى معركة لدفع العدو بظاهر سرقسطة. عن الأعلام 1: 273.

الأندلس- جبرها الله- و كان العسكران كالمتكافئين، كلّ واحد منهما يراهق عشرين ألف مقاتل بين خيل و رجال، فمن حضر الوقيعة من الأجناد قال: لمّا دنا اللقاء قال الطاغية ابن رذمير لمن يثق بعقله و مراسته للحروب من رجاله: استعلم لى من فى عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفوننا، من غاب منهم و من حضر؟
فذهب ثمّ رجع فقال: فيهم فلان و فلان حتّى عدّ سبعة رجال، فقال:
انظر الآن من فى عسكرى من الرجال المعروفين بالشجاعة و من غاب منهم، فعدّوهم فوجدوهم ثمانية رجال لا يزيدون. فقام الطاغية ضاحكا مسرورا و هو يقول: يا بياضک من يوم.

[علة النصر و علة الهزيمة]

ثمّ تناشبا الحرب فلم تزل المضاربة بين الفريقين، و لم يولّ واحد منهم دبره و لا تزحزح عن مقامه حتّى فنى أكثر العسكرين و لم يفرّ واحد منهم.
و لمّا كان وقت العصر نظروا إلينا ساعة ثمّ حملوا علينا (م 69) حملة واحدة و داخلونا مداخلة و فرّقوا بيننا، و صرنا شطرين، و حالوا بيننا و بين أصحابنا و صاروا بيننا، فكان ذلک سبب و هننا و ضعفنا، و لم تقم الحرب إلا ساعة و نحن فى خسارة معهم. فأشار مقدّم العسكر على السلطان أن ينجو بنفسه فكسر عسكر (س 91) المسلمين و تفرّق جمعهم، و ملک العدوّ مدينة و شقة. فليعتبر ذو الحزم و البصيرة فى جمع يحتوى على أربعين ألف مقاتل، و لا يحضر من الشجعان المعدودين إلا خمسة عشر. و ليعتبر بضمان العلج بالظّفر و الغنيمة لمّا زاد فى أبطاله رجل واحد(1).

1- انتهى النص فى سراج الملوک.

قال(1): و سمعت أستاذنا القاضی أبا الولید الباجی(2)- رحمه الله- قال: بینما المنصور بن أبی عامر(3) فی بعض غزواته إذ وقف علی نشز من الأرض مرتفع فرأی جیوش المسلمین بین یدیه و من خلفه و عن یمینه و عن یساره، قد ملؤوا السهل و الجبل. فالتفت إلی مقدّم العسکر- و کان رجلا یعرف بابن المصحفیّ(4)- و قال: کیف تری هذا العسکر أیّها الوزیر؟ قال ابن المصحفیّ: أری جمعا کثیرا و جیشا واسعا.

1- النقل من سراج الملوک 2: 686، 687.

2- أبو الولید الباجی سبقت ترجمته.

3- المنصور بن أبی عامر 326- 392 ه- 938- 1002 م: محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد بن أبی عامر بن الولید بن یزید بن عبد الملک المعافری القحطانی، أبو عامر، المعروف بالمنصور بن أبی عامر، أمیر الأندلس فی دولة المؤید الأموی، و أحد الشجعان الدهاة، أصله من الجزیرة الخضراء، قدم قرطبة شابا طالبا للعلم فبرع و استخلف علی قضاء کورة(ریّة) ثم عهد إلیه بوکالة السیدة(صبح) أم هشام المؤید، فولی النظر فی أموالها و ضیاعها و عظمت مکانته عندها و ولی الشرطة و السکة و المواریث و أضیف إلیه القضاء بإشبیلیة، و لما مات المستنصر الأموی کان المؤید صغیرا، و خیف الاضطراب، فضمن ابن أبی عامر لأم المؤید سکون البلاد و استقرار الملک لابنها و قام بشؤون الدولة و غزا و فتح و دامت له الإمرة 26 عاما غزا فیها بلاد الإفرنج 56 غزوة لم ینهزم له فیها جیش، و کانت الدعوة فی أیامه للمؤید(و هو محتجب عن الناس) و الملک لابن أبی عامر لم یضطرب علیه شیء منه أیام حیاته لحسن سیاسته و عظم هیبته. مات فی إحدی غزواته بمدینة سالم. و کان محبا للعمران عن الأعلام 6: 226.

4- ابن المصحفی ت 372 ه- 982 م: جعفر بن عثمان بن نصر، أبو الحسن، الحاجب المعروف بالمصحفی، وزیر، أدیب أندلسیّ، من کبار الکتّاب، و له شعر کثیر جید، أصله من بربر بلنسیة، استوزره المستنصر الأموی إلی أن مات، و ولی جزیرة میورقة فی أیام الناصر، و لما ولی الحکم استوزره و ضمّ إلیه ولایة الشرطة و آلت الخلافة إلی هشام المؤید بن الحکم، فتقلّد حجابته و تصرّف فی أمور الدولة، و قوی علیه المنصور بن أبی عامر، فاعتقله و ضیّق علیه، ثم صادره فی ماله، ثم قتله و بعث بجسده إلی أهله.

الأعلام 2: 125.

فقال له المنصور: لا يعجزنا أن يكون فى هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة و البسالة.
فسكت ابن المصحفىّ، فقال له المنصور: و ما سكوتک؟!!
أليس فى هذا الجيش ألف مقاتل؟
قال: لا.
فتعجّب المنصور ثم عطف عليه فقال: فبهم خمسمئة مقاتل.
قال: لا
قال: فحنق المنصور ثم قال: أفيهم مئة رجل؟
قال: لا
قال: أفيهم خمسون من الأبطال؟
قال: لا
فسبّه المنصور و استخفّ به و أمر به فأخرج على أقبح صفة.
فلمّا توسطوا بلاد المشركين اجتمعت الروم و تصافّ الجمعان فبرز علج من الروم شاک فى السلاح يكرّ و يفرّ و يقول:
هل من مبارز. فبرز إليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون و صاحوا (س 92) و اضطربت لها المسلمون. ثم جعل العلج يمرح بين الصفّين و ينادى:
هل من مبارز: اثنين لواحد؟ فبرز إليه رجل من المسلمين، فتجاولا

ساعة فقتله العلج، و جعل يكرّ و يحمل و ينادى: هل من مبارز: ثلاثة بواحد؟ فبرز إليه رجل من المسلمين فقتله العلج. فصاح المشركون و ذلّ المسلمون و كادت تكون كسرة.
فقيل للمنصور: ما لها غير ابن المصحفىّ، فبعث إليه فحضر فقال له المنصور: ألا ترى ما يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم؟
قال: بعينى ما جرى
قال: فما الحيلة فيه
قال: و ما الذى تريد؟
قال: أن يكفى المسلمون شرّه
قال: نعم إن شاء الله
ثم قصد إلى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من رجال الثغور على فرس قد قشرت أوراكها هزالا و هو يحمل قربة ماء بين يديه على الفرس، و الرجل فى نفسه و حليته غير متصنّع، فقال له ابن المصحفىّ: ألا ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم؟
قال: قد رأيته
قال: فماذا ترى فيه؟
قال: أتريد رأسه الآن؟
قال: نعم
فحمل القربة إلى رحله و لبس لأمة حربه و برز إليه فتجاولا ساعة، فلم ير الناس إلا المسلم خارجا إليهم من تحت الغبار (م 70) يركض فرسه

و لا يدرون ما هنالک، و إذا الرجل يحمل رأسى العلج. فألقى الرأس بين يدى المنصور. و قال له ابن المصحفىّ: عن هؤلاء الرجال أخبرک أنّه ليس فى عسکرک منهم ألف و لا خمسمئة و لا مئة و لا خمسون و لا عشرون و لا عشرة.
قال: فردّ المنصور المصحفىّ إلى منزلته و أکرمه(1).
و اعلم(2)- أرشدک الله- أنّ الله سبحانه قد أوضح لنا فى کتابه علّة النصر/ (س 93) و علّة الهزائم و الفرار فقال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ(3) يعنى إن تنصروا دين الله و رسوله، و أمّا الفرار فبغلبة المعاصى، قال الله العظيم: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما کَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ(4) أى بشؤم ذنوبهم و ترکهم المرکز الذى رسمه لهم الرسول- صلّى اللّه عليه و سلم- و ذلک أنّه رتّب- عليه السلام- الرّماة يوم أحد على ثلمة الجبل ليمنعوا قريشا أن يخرجوا عليهم کمينا من تلک المواضع. ثم التقى المسلمون و الکفّار فقال الرماة: لا تفوتنا الغنائم، فأقبلوا على الغنائم و ترکوا المرکز الأوّل. فخرجت خيل المشرکين من هنالک و أقبلوا على المسلمين فکانت مقتلة أحد(5).
و ليخف(6) قائد الجيش العلامة التى هو مستعلم بها، فإنّ عدوّه إن

1- انتهى الخبر فى سراج الملوک.

2- سراج الملوک 2: 691.

3- سورة محمد 47 الآية 7.

4- سورة آل عمران 3/ الآية 155.

5- انظر السيرة 2: 625(ذکر ما أنزل الله فى أحد من القرآن).

6- سراج الملوک 2: 691.

استعلم حليته و ألوان خيله و رايته قصد قصده، و كذلک لا يلزم خباءه کی لا يلتمس عدوّه غرّته. و إذا سكنت الحرب فلا يمش فی النّفر اليسير من قومه خارج عسكره، فإنّ عيون عدوّه قد أذكيت. و علی هذا الوجه كسر المسلمون جيوش إفريقية عند فتحها و ذلک أنّ الحرب سكنت فی وسط النهار، فخرج مقدّم العدوّ يمشی خارج العسكر يتميّز عساكر المسلمين، فجاء الخبر إلی عبد الله بن أبی سرح(1) و هو جالس فی قبّته، فخرج لوقته و وجّه من وثّقه من رجاله، فحمل علی العدوّ فقتل الملک و كان الفتح و سيأتی ذكر ذلک بعد إن شاء الله.
و لمّا(2) عبر طارق(3) مولی موسی (س 94) بن نصير(4) إلی بلاد

1- عبد الله بن أبی سرح ت 37 ه- 657 م: عبد الله بن سعد بن أبی سرح القرشی العامری، فاتح إفريقية، فارس بنی عامر من أبطال الصحابة، أسلم قبل الفتح، و كان من كتّاب الوحی، و كان علی ميمنة عمرو بن العاص حين فتح مصر، و ولی مصر سنة 25 ه فاستمرّ نحو 12 عاما زحف فی خلالها إلی إفريقية بجيش فيه نفر من كبار الصحابة، فافتتح طرابلس الغرب و طنجة. و غزا الروم بحرا و ظفر بهم فی معركة ذات الصواری سنة 34 ه. اعتزل الحرب بين علی و معاوية و مات بعسقلان و هو يصلّی. عن الأعلام.

2- سراج الملوک 2: 692.

3- طارق 50- 102 ه- 670- 720 م: طارق بن زياد الليثیّ بالولاء، فاتح الأندلس، أصله من البربر، أسلم علی يد موسی بن نصير، فكان من أشدّ رجاله، و لمّا تمّ لموسی فتح طنجة و ولّی عليها طارقا سنة 89 ه فأقام فيها إلی سنة 92 ه. ثم أرسله موسی علی رأس حملة إلی الأندلس فتمّ له فتحها، و التقی موسی فی طليطلة عام 93 ه ثم استدعاهما الوليد إلی الشام سنة 96 ه. عن الأعلام 3: 217.

4- موسی بن نصير 19- 97 ه- 640- 715 م: موسی بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد اللخمی بالولاء، أبو عبد الرحمن، فاتح الأندلس، أصله من وادی القری بالحجاز، نشأ موسی فی دمشق و ولی غزو البحر لمعاوية. غزا قبرس و بنی بها حصونا و ولی أعمالا جليلة لبنی أمية، و ولی إفرّيقية سنة 88 ه و أقام بالقيروان، ثم أرسل طارق بن زياد إلی الأندلس و تبعه فی حملة عام 93 و فتح عددا من المدن، عاد إلی دمشق سنة 96 ه و حجّ مع

سليمان و مات بالمدينة.
كان شجاعا عاقلا لم يهزم له جيش قط. عن الأعلام 7: 330.

الأندلس ليفتحها، و موسى إذ ذلک بإفريقية، خرجوا بالجزيرة الخضراء و تحصّنوا فى الجبل العظيم الذى يسمّى اليوم بجبل الفتح و جبل طارق نسبة إليه و هو فى ألف و سبعمئة رجل، و طمعت الروم فيهم فاقتتلوا ثلاثة أيّام و كان على الرّوم تدمير استخلفه لذريق ملک الروم. و كان قد كتب إلى لذريق يعلمه بأنّ قوما لا يدرى أمن أهل الأرض أم من أهل السماء قد وصلوا إلى بلادنا و قد لقيتهم فلتنهض إلىّ بنفسک.
فأتى لذريق فى تسعين ألف زمام، و لقيهم طارق، و على خيله مغيث الرومىّ(1) مولى الوليد بن عبد الملک، فاقتتلوا ثلاثة أيام أشدّ قتال، فرأى طارق ما الناس فيه من الشدّة فقام يعظهم و يحضّهم على الصبر و يرغّبهم فى الشهادة و بسط/ (م 71) فى آمالهم ثم قال:
أين المفرّ؟ البحر من ورائكم، و العدوّ أمامكم، فليس إلا الصبر منكم، و النصر من ربّكم، و أنا فاعل شيئا فافعلوا كفعلى، و الله لأقصدنّ طاغيتهم، فإمّا أن أقتله و إمّا أن أقتل دونه.
فاستوثق طارق من خيله و كان قد عرف حلية لذريق و علامته، و فعل ما قال، فقتل الله لذريق بعد قتل ذريع فى العدوّ، و حمى الله المسلمين فلم يقتل منهم كبير شىء، و انهزمت الرّوم و أقام المسلمون يقتلونهم ثلاثة أيام.
و أخذ طارق رأس لذريق و بعث به إلى موسى بن نصير، و بعث به

1- مغيث الرومى ت 100 ه- 718 م: مغيث الرومى، فاتح قرطبة، و هو ليس برومى فى الحقيقة، و تصحيح نسبه أنه مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغسانى، سبى من الروم و هو صغير، فأدّبه عبد الملک بن مروان مع ولده الوليد، و قد أنجب مغيث فى الولادة و صار منه« بنو مغيث» الذين نجبوا فى قرطبة. تعلّم مغيث الفروسية و أفصح بالعربية و وجهه عبد الملک إلى الأندلس غازيا مع طارق بن زياد فقدّمه طارق لفتح قرطبة فافتتحها ب 700 فارس و عاد مع طارق إلى دمشق فى عهد سليمان، ثم عاد إلى الأندلس. الأعلام 7: 276.

موسى إلى الوليد بن عبد الملک فهذا ما يتأتّى على الملوک من لزومهم مکانا واحدا فی الحرب.
و اعلم(1) أنّ القدماء قالوا: للکثرة الرعب، و للقلّة النصر. قال (س 95) الله العظيم وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً، وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ(2) فالکثرة أبدا يصحبها الإعجاب و مع الإعجاب الهلاک.
قال النبیّ- صلّی اللّه علیه و سلم- خير الأصحاب أربعة، و خير الطلائع أربعون، و خير السرايا أربعمئة، و خير الجيوش أربعة آلاف، و لن يغلب جيش يبلغون اثنی عشر ألفا من قلّة إذا اجتمعت کلمتهم(3).

[کلام لموسی بن نصیر فی شجاعة الأمم]

سأل سلیمان بن عبد الملک(4) موسی بن نصیر حین قدم من الأندلس فقال: أیّ الأمم کانوا أشدّ قتالا لک؟
قال: هم أکثر من أن أصفهم لک
قال: فأخبرنی عن الرّوم(5)

1- النقل من سراج الملوک 2: 698.

2- سورة التوبة 9/ 25.

3- فی کتاب شرح السیر الکبیر 1: 67 عن ابن عباس، و آخره: إذا کانت کلمتهم واحدة و فی سنن الترمذی: 209، 279 تح إبراهیم عطوة عوض. و فی عیون الأخبار 1: 111 و قد ذکره صاحب سراج الملوک دون أن ینسبه إلی النبی(صلّی اللّه علیه و سلم) 2: 698.

4- سلیمان بن عبد الملک 54- 99 ه- 674- 717 م: سلیمان بن عبد الملک بن مروان، أبو أیوب، الخلیفة الأموی، ولد فی دمشق و ولی الخلافة، یوم وفاة أخیه الولید سنة 96 ه و کان بالرملة، و لم یتخلّف عن مبایعته أحد کان عاقلا فصیحا طموحا إلی الفتح. و فی عهده فتحت جرجان و طبرستان. جهز جیشا و أرسله إلی القسطنطینیة بقیادة أخیه مسلمة. توفی فی(دابق) بین حلب و المعرّة. خلافته سنتان و ثمانیة أشهر إلا أیاما عن الأعلام 3: 130.

5- الروم: الإسبان، و الإفرنج: الفرنسیون و سائر الأوروبیین.

قال: أسد فى حصونهم، عقبان على خيولهم، و نساء فى مواكبهم، إن رأوا فرصة افترصوها، و إن رأوا غلبة فهم أوعال تذهب فى الجبال لا يرون الهزيمة عارا.
قال: فأخبرنى عن البربر:
قال: هم أشبه الناس بالعرب لقاء و نجدة و صبرا و فروسية و سماحة غير أنّهم أغدر الناس لا وفاء لهم و لا عهد.
قال: فأخبرنى عن الإفرنج:
قال: هنالک العدد و العدّة و النجدة و التجلّد و الشدّة و البأس
قال: فأخبرنى كيف كانت الحرب بينک و بينهم أكانت لک أم عليک؟
قال: أما هذا فو الله ما هزمت لى راية قط، و لا بدّد جمعى و لا نكب المسلمون معى منذ اقتحمت الأربعين إلى أن بلغت الثمانين. فضحک سليمان و عجب من قوله.

[الطرطوشی یذکر کیفیة من کیفیات الحرب]

و ذکر الطرطوشیّ(1) فی کتابه کیفیّة من کیفیّات الحرب قال: و هو أحسن ترتیب رأیناه فی بلادنا، و هو أرجی تدبیر نفعله فی لقاء عدوّنا، و ذلک أن یتقلّد(2)/ (س 96) الرجّالة بالدّرق الکاملة و الرماح الطّوال و المزارق(3) المسنونة النافذة، فیصفّوا صفوفهم و یرکزوا مواخر رماحهم خلف ظهورهم فی الأرض و صدورها شارعة إلی العدوّ و هم جاثون فی

1- النقل من کتاب سراج الملوک 2: 698.

2- فی سراج الملوک: نقدّم.

3- المزارق و المزاریق جمع مزراق و هو الرمح القصیر.

الأرض(1)، كلّ رجل منهم قد ألقم ركبته اليسرى الأرض، و ترسه قائم بين يديه، و خلفهم الرماة المختارون الذين تمزّق سهامهم الدروع، و الخيل خلف الرماة، فإذا جاءت الرّوم على المسلمين لم تتزحزح الرجّالة عن هيئتها و لا قام رجل منهم على قدميه، فإذا قرب العدوّ رشقتهم الرّماة بالسهام/ (م 72) و الرجّالة بالمزارق، و صدور الرماح تلقاهم فيأخذوا يمنة و يسرة فتخرج خيل المسلمين فتنال منهم ما شاء الله تعالى.
قال بعضهم(2) فى معترک الحرب(3):
و معترک تهزّ له المناياذكور الهند فى أيدى ذكور
لوامع يبصر الأعمى سناهاو يعمى دونها طرف البصير
و خافقة الذوائب قد أنافتعلى حمراء ذات شبا طرير
تحوّم حولها عقبان موتتخطّفت القلوب من الصدور
بيوم راح فى سربال ليلفما عرف الأصيل من البكور
و عين الشمس ترنو فى قتامرنوّ البكر من خلف السّتور(4)

قال ارسطاطاليس(5) للإسكندر(6): اعلم أن الحرب جسد و روح

1- عبارة سراج الملوک: فيصفّوا صفوفهم، و يركّزوا مراكزهم، و رماحهم خلف ظهورهم فى الأرض، و صدورهم شارعة إلى عدوّهم و هم جاثمون فى الأرض.

2- هو ابن عبد ربه الأندلسى، أحمد بن محمد المتوفى سنة 328 ه صاحب كتاب العقد الفريد.

3- الأبيات فى العقد الفريد 1: 96 و فى شعر ابن عبد ربه ص 163 ق 125 و فى يتيمة الدهر 2:
75، 76 و نهاية الأرب 6: 191، 192.

4- و بعده يأتى البيت الأخير:
فكم قصّرن من عمر طويلبه، و أطلن من عمر قصير

5- أرسطاطاليس 384- 322 ق. م: فيلسوف و معلم و عالم يونانى، يعدّ هو و أستاذه أفلاطون أهم فيلسوف بين جميع فلاسفة اليونان القدماء. و قد ألّف بالعربية عدد من الكتب عنه و ترجمت كتبه إلى العربية قديما و حديثا

انظر الموسوعة العربية العالمية 1: 506.

6- الإسكندر المكدونى 356- 323 ق. م: ملک مكدونيا(الإسكندر الأكبر) هو أحد كبار- - القادة العسكريين. فتح كثيرا من بلاد العالم المتمدن المعروفة آنذاک و نقل إليها الأفكار الإغريقية. أبوه فيليب الثانى و أمه أولمبياس. تربّى الإسكندر مفعما بأحلام البطولة، و كان يحفظ الإلياذة و يحمل معه نسخة منها. تتلمذ و هو فى سن الثالثة عشرة على أرسطوطاليس.
لما بلغ العشرين مات والده فأصبح ملكا على مكدونيا. و فى عام 334 ق. م هزم الإسكندر الفرس و فتح آسيا الصغرى ثم فتح صور و غزة و مصر و فى عام 331 ق. م هزم الفرس هزيمة ساحقة و فى عام 326 ق. م اتجه نحو الهند حتى وصل إلى سهولها الغنية. أصيب الإسكندر بحمى الملاريا فى بابل و مات فى 13/ 6/ 323 ق. م ... عن الموسوعة العربية العالمية 2: 21، 23.

تقوم من ضدين يتغالبان، فروحهما اعتقاد الغلبة و الظفر، من كلّ واحد (س 97) من الفريقين، و جسمهما تلاقى الفئتين، فإذا لم يقع اعتقاد الظّفر منهما ماتت الحروب، و بقى الحرب مادام التكافؤ، و فناؤه بغلب إحدى الطائفتين. فليكن همّک فى إقامة همّة جيشک، و الإيقاع فى نفوسهم أنک غالب و أنّ عندک دلائل بذلک، و أرهم برهانات تقوّى بها نفوسهم، و ألّف كلمتهم و عدهم بالصّلات و الكسوة و أوف بذلک. و توعّد من كعّ و أحجم منهم بمؤلم العقوبة و التمثيل و الفضيحة، و إن أمكنک أن تكون أمورک كلّها فى الحروب خدائع فافعل.

[الحرب خدعة]

و كان المهلّب يقول لبنيه: عليكم فى الحرب بالمكيدة فإنّها أبلغ من النجدة(1).
و فسّر بعضهم النجدة فقال: النجدة هى الجرأة على الإقدام عند ازورار الأقدام.
و عن أسامة بن زيد الليثى(2) قال: كان النبىّ- صلّى اللّه عليه و سلم- إذا غزا أخذ طريقا و هو يريد أخرى و يقول: الحرب خدعة(3).

1- العقد 1: 122.

2- هكذا ذكر فى العقد 1: 127 و المعروف فى الصحابة هو أسامة بن زيد. و قد سبقت ترجمته.

3- جاء فى شرح السير الكبير 1: 118: ذكر عن سعيد بن ذى حدّان قال: أخبرنى من سمع عليا رضى الله عنه يقول: قال رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) الحرب خدعة أو خدعة- بالنصب- و كلاهما لغة قال السرخسىّ: و فيه دليل على أنه لا بأس للمجاهد أن يخادع قرنه فى حالة القتال، و أن ذلک لا يكون غدرا منه و الخبر المذكور فى كتابنا هو فى العقد 1: 127.

و كان مالک بن عبد الله الخثعمیّ(1) و هو علی الصائفة یقوم فی الناس کلّما أراد أن یرحل، فیحمد الله تعالی و یثنی علیه ثمّ یقول: إنّی دارب بالغداة إن شاء الله درب کذا و کذا فیتفرّق الجواسیس عنه بذلک، فإذا أصبح سلک بهم طریقا أخری، و کانت الروم تسمّیه الثعلب(2).
قال ابن الکلبی(3): لمّا فتح عمرو بن العاصی قیساریّة(4) سار حتّی نزل علی غزّة(5)، فبعث إلیه علجها أن أرسل إلیّ رجلا من أصحابک أکلّمه ففکّر عمرو و قال: ما لهذا أحد غیری. قال: فخرج حتی دخل علی العلج فکلّمه فسمع کلاما (س 98) لم یسمع قطّ کلاما مثله.
فقال له العلج: حدّثنی هل فی أصحابک أحد مثلک؟
قال: لا تسل عن هوانی علیهم إذ بعثونی إلیک و عرّضونی لما عرّضونی له و لا یدرون ما تصنع بی.
قال: فأمر لی بجائزة و کسوة، و بعث إلی البوّاب:

1- فی أصلنا: عبد الله بن مالک الخثعمی و الصواب ما أثبتناه کما ورد فی العقد 1: 127 و نهایة الأرب 6: 176 و مالک هو ابن عبد الله بن سنان بن سرح الخثعمی أبو حکیم المعروف بمالک السرایا و مالک الصوائف. تابعیّ، من کبار القادة، من أهل فلسطین ولی الصوائف زمن معاویة ثم یزید ثم عبد الملک و مات غازیا فی أرض الروم، فکسر المسلمون علی قبره أربعین لواء حدادا علیه- عن الأعلام 6: 263.

2- الخبر فی العقد 1: 127 و نهایة الأرب 6: 176.

3- ابن الکلبی ت 204 ه- 819 م: هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الکلبی أبو المنذر، مؤرخ عالم بالأنساب و أخبار العرب و أیامها کأبیه. من أهل الکوفة و وفاته فیها. الأعلام 8: 87.

4- قیساریّة: بلد علی ساحل الشام، تعدّ فی أعمال فلسطین، بینها و بین طبریة ثلاثة أیام، کانت قدیما من أعیان أمهات المدن واسعة الرقعة طیبة، کثیرة الخیر و الأهل و ذکر یاقوت أنها فی أیامه هی أشبه بالقری منها بالمدن. عن معجم البلدان 4: 478.

5- غزة: مدینة فی أقصی الشام من ناحیة مصر و هی من نواحی فلسطین

غربى عسقلان معجم البلدان 4: 229.

إذا مرّ بک (م 73) فاضرب عنقه و خذ ما معه.
فخرج من عنده، فمرّ برجل من النّصارى من غسّان فعرفه فقال له:
يا عمرو، قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج. ففطن عمرو لما أراده فرجع فقال له الملک: ما ردّک إلينا؟
قال: نظرت فيما أعطيتنى فلم أجد ذلک يسع بنى عمّى، فأردت أن آتيک بعشرة منهم فتعطيهم هذه العطية الجزيلة، فيکون معروفک عند عشرة خيرا من أن يکون عند واحد.
قال: صدقت، عجّل بهم. و بعث إلى البوّاب أن خلّ سبيله.
فخرج عمرو و هو يلتفت، حتى إذا أمن قال: لا عدت لمثلها أبدا.
فلما صالحه عمرو دخل عليه العلج فقال له: أنت هو!!
قال: نعم، على ما کان من غدرک(1).
و ذکروا أنّ ملکا من ملوک العجم کان معروفا ببعد الغور و يقظة الفطنة و حسن السياسة، و کان إذا أراد محاربة ملک من الملوک وجّه إليه من يبحث عن أخباره و أخبار رعيّته قبل أن يظهر محاربته فيکشف عن ثلاث خصال من خلاله، فکان يقول لعيونه: انظروا هل ترد على الملک أخبار رعيّته على حقائقها أم يختدعه عنها المهدى ذلک إليه، و انظروا إلى الغنىّ فى أىّ صفّ هو من رعيته؟ أفى (س 99) من اشتدّ أنفه و قلّ شرهه أم فى من قلّ أنفه و اشتدّ شرهه. و انظروا إلى أىّ صنفى رعيّته القوّام بأمره، أممّن نظر ليومه و غده أم ممّن شغله يومه عن غده؟

1- الخبر فى العقد 1: 124.

فإن قيل له: لا يختدع عن أخباره، و الغنى فيمن قلّ شرهه و اشتدّ أنفه، و القوّام بأمره ممّن نظر ليومه و غده ... قال: اشتغلوا عنه بغيره، و إن قيل له ضدّ ذلک قال: نار كامنة تنتظر موقدا و أضغان مزمّلة تنتظر مخرجا، اقصدوا له، فلا حين أحين من سلامة مع تضييع، و لا عدوّ أعدى من أمن أدّى إلى اغترار(1).
فمن جاور عدوّه كأهل هذا القطر، و ساكنه بنحو هذا القرب، قمن أن يوقظ عين بصيرته، و يذكى قلب حزامته، و يكون بالحيلة أوثق منه بالشدّة، و بالحذر أفرح منه بالنّجدة، و يعلم أنّ الحرب حرب، و ترک الحذر فيها عطب، و إن كان الحذر لا ينجى من القدر، كما أنّ الصبر من أسباب الظّفر، و لينتهز الفرصة عند إمكانها، و لا يؤخرها فى وقتها و إبانها.
و لا بأس أنكى من تثبّت حازمو لا درع أوقى للنفوس من الصّبر

1- الخبر فى العقد 1: 126.

ص: 298

الباب الثامن عشر فى الفروسية و التجنّد

اشارة

ص: 300

ص: 301
فی الفروسیة و التجنّد

[ذكر أحاديث نبوية فى فضل التجند]

قال رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- من خير معاش الناس لهم رجل ممسک عنان فرسه فى سبيل الله، كلّما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغى الموت مظانّه(1).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم- طوبى لعبد آخذ بعنان (س 100) فرسه فى سبيل الله، أشعث رأسه مغبرّة قدماه، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة، و إن كان فى السّاقة كان فى السّاقة، و إن استأذن لم يؤذن له، و إن شفع لم يشفّع(2).
و قال عليه السلام: (م 74) ارموا و اركبوا(3).
و عرضت عليه- صلّى اللّه عليه و سلم- الخيل و عنده عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارىّ(4) فقال عليه السلام لعيينة: أنا أفرس بالخيل منک(5).
و قال- صلّى اللّه عليه و سلم- لو أنّ هذه الأمة انتهت عند ما أمرت لأكلوا غير زارعين لأنّ الله تعالى جعل أرزاقها فى سنابک خيلها و أسنّة رماحها.

1- ورد الحديث فى عين الأدب و السياسة 892 نقلا عن تحفة الأنفس. و هو فى البخارى و مسلم و ابن ماجة و غيرها

2- الحديث فى عين الأدب و السياسة 298.

3- ارموا و اركبوا: فى الجامع الصغير 1: 39 ارموا و اركبوا و أن ترموا أحبّ إلىّ من أن تركبوا.
كل شىء يلهو به الرجل باطل إلا رمى الرجل بقوسه أو تأديبه فرسه أو ملاعبته امرأته فإنهن من الحق. و من ترک الرمى بعدما علمه فقد كفر الذى علمه ... عن أحمد و الترمذى و البيهقى فى شعب الإيمان عن عقبة بن عامر .. و انظر شرح السير الكبير 1: 113 و العقد 1: 189 و عين الأدب: 298.

4- عينية بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى أبو مالک. أسلم قبل الفتح و شهد فتح مكة و حنينا و الطائف. كان من المؤلفة قلوبهم، ارتد فى عهد أبى بكر، ثم عاد إلى الإسلام و كان فيه جفاء سكان البوادى. سماه الرسول(صلّى اللّه عليه و سلم) بالأحمق المطاع، يعنى فى قومه، و عاش إلى خلافة-

5- عين الأدب: 298.- عثمان و له ذكر فى شعر النابغة الذبيانى- الإصابة 5: 55 برقم: 6146 و خزانة الأدب 1: 73، 74 و قد أعطاه الرسول مئة من الابل انظر الخبر فى السيرة النبوية 2: 930.

و قال- صلّى اللّه عليه و سلم- جعل رزقى تحت ظلّ رمحى، و جعل الصّغار و الذلّة على من خالف أمرى(1).

[عمر بن الخطاب يحث على تعلم الفروسية و الرماية و السباحة]

و كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أهل حمص:
علّموا أولادكم السّباحة و الرماية و الفروسية و اخشوشنوا، و انزوا على الخيل نزوا(2).
و يروى عنه أنّه قال: لن تزالوا أصحّاء ما نزعتم و نزوتم. يعنى نزعتم بالقسىّ و نزوتم على ظهور الخيل(3).
و قال أسلم مولاه: رأيت عمر يمسک بأذن نفسه ثم يمسک بأذن فرسه فينزو عليه(4).

1- فى فيض القدير 5: 2594 برقم 3152 بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريک له. و جعل رزقى تحت ظل رمحى، و جعل الذل و الصغار على من خالف أمرى و من تشبه بقوم فهو منهم. عن ابن عمر قال محققه و هو فى المسند 2: 50 و أبو يعلى فى مسنده 4: 528 كنز. و أبو نعيم فى تاريخ أصبهان 29 و الديلمى فى الفردوس 2: 1921 و البيهقى فى شعب الإيمان 2: 1199 و أخرجه الطبرانى فى الكبير 5: 267 عن ابن عمر و صححه الألبانى فى صحيح الجامع 1: 2831. و عين الأدب: 298.

2- خبر نزو عمر على الخيل فى عيون الأخبار 1: 133 و فى شرح السير الكبير 1: 113 و ذكر عن عمر رضى الله عنه أنه قال: علموا أولادكم السباحة و الفروسية و مروهم بالاحتفاء بين الأغراض. و فى العقد 1: 190 ائتزروا و ارتدوا و انتعلوا و احتفوا و ارموا الأغراض و ألقوا الرّكب، و انزوا على الخيل نزوا، و عليكم بالمعدّية أو قال: بالعربية و دعوا التنعم و زىّ العجم.
و انظر عيون الأخبار 1: 132. و عين الأدب: 298.

3- العقد الفريد 1: 90 و فيه: لن تخور قواكم ما نزوتم و نزعتم يعنى: نزوتم على ظهور الخيل و نزعتم بالقسى. و انظر عيون الأخبار 1: 132. و عين الأدب: 298.

4- الخبر فى عيون الأخبار 1: 133 و فيه: كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنه(أى أذن فرسه) اليمنى و بيده اليسرى أذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزه و يثب فكأنما خلق على ظهر فرسه. و انظر عين الأدب:

.299

و كان يقال قديما: العزّ في صدور الصفوف(1).
و قال رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- الجنة تحت ظلال السيوف(2).

[فضائل الفروسية و أفضل الفرسان]

و الفروسيّة أفضل مدارجها، و أكرم معارجها، و ارتباط الجياد أعزّ اعتدادا و أقوى لذلک استنجادا، فبها تشنّ الغارات و تدرک الثارات، فيجب على الفارس أن يشمّر عن ساعد الجدّ و العزم/ (س 101) و يكشف عن ساق الحذر و الحزم فيأخذ نفسه فی کل حين بالاستعداد و التأهّب للجهاد، و ينظر قول من عرف الحرب و باشر فيها الطعن و الضرب فقال:
و أعددت للحرب أوزارهارماحا طوالا و خيلا ذکورا

قال بعض السّلف:
غزا المسلمون أرض الرّوم فمرّ فارس منهم إلى جانب صومعة راهب، فقال الراهب: يا صاحب الفرس أمن المتطوّعة أنت أم من أهل الديوان؟
قال: بل من المتطوّعة.
قال له: و مالک و الديوان؟! فإنّا نجدهم فی بعض کتبنا أنّهم عدّة الله فی الأرض.
عن ابن عبّاس أنّ رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- قال: إنّ مثل الذين يغزون من أمّتي و يأخذون الجعل و ينفقونه على عدوّهم کمثل أمّ موسى ترضع ولدها و تأخذ أجرها(3).

1- عين الأدب: 299.

2- الحديث فی کتاب أمثال الحديث للرامهرمزی 118 برقم 81 قال: و هذا حث منه على الجهاد و معناه أن حامل سيفه فی سبيل الله مطيعا لله به يصل إلى الجنة. و هو فی فيض القدير برقم: 3643 و ثمة تخريجه مفصلا فی الحاشية و انظر عين الأدب: 299.

3- الحديث بسنده فی عيون الأخبار 1: 134.

قال ابن محيريز(1): أصحاب العطاء أفضل من المتطوّعة لما يروعون.
و قال مكحول: روعات البعوث تقى روعات يوم القيامة(2).
قال الطرطوشىّ- رحمه الله-(3)
اعلم أنّ الجند هم عدد الملک و حصونه و معاقله و أوتاده، و هم حماة البيضة و الذابّون عن الحوزة، و الدّافعون عن العورة، و هم جنن الثغور و حرّاس الأرض و العدّة للحوادث، و أمداد المسلمين و الحدّ الذى يلقى العدوّ، و الشّوكة عليه، و السهم الذى يرمى به، و السلاح المدفوع فى نحره، و بهم يذبّ عن الحريم، و يؤمن السبيل، و تسدّ الثغور.
قال أبو ذرّ الخشنى(4):
بقاء الدّين و الدّنيا جميعابكلّ مقاتل ثبت الجنان (س 102) (م 75)
إذا شهدوا الحروب رأيت أسداتهشّ كرامة نحو الطّعان
هم بيض و فى الأيمان بيضفما تدرى من السيف اليمانى(5)

[كيفية تقدير مقدار الأعطيات للجند]

و للإمام إعطاء جنده من بيت المال على ما يراه من النظر، و بحسب ما عند الرجل من المنّة و الغناء و الإبلاء. قال الإمام أبو محمد بن حزم(6)-

---

1- ابن محيريز: عبد الله بن محيريز ت 99 ه و فى سنة وفاته خلاف، و قد روى عن عدد من الصحابة انظر تهذيب التهذيب 3: 251 برقم: 4176. و الخبر فى عين الأدب: 299.

2- انظر عين الأدب: 299.

3- النص فى سراج الملوک 2: 492.

4- أبو ذر الخشنى ت 604 ه- 1208 م: مصعب بن محمد بن مسعود الخشنى الجيانى الأندلسى، أبو ذر، و يعرف كأبيه بابن أبى الركب قاض من العلماء بالحديث و السير و النحو.
و له شعر. أصله من مدينة جيان، ولد و نشأ فيها و تحوّل فى العدوة و الأندلس، و ولى القضاء فى جيّان فى أيام المنصور، و استقر بفاس و توفى فيها. عن الأعلام 7: 249.

5- الأبيات فى عين الأدب: 300.

6- أبو محمد بن حزم 384- 456 ه- 994- 1064 م: على بن أحمد بن سعيد بن حزم- - الظاهرى أبو محمد، عالم الأندلس فى عصره و أحد أئمة الإسلام، ولد بقرطبة و كانت له و لأبيه من قبله الوزارة و تدبير المملكة، فزهد فيها و انصرف إلى العلم و التأليف فكان من صدور الباحثين فقيها حافظا يستنبط الأحكام من الكتاب و السنة بعيدا عن المصانعة، و انتقد كثيرا من العلماء و الفقهاء، فتمالؤوا على بغضه و أجمعوا على تضليله، و حذروا سلاطينهم من فتنته، و نهوا عوامهم على الدنو منه، فأقصته الملوک و طاردته، فرحل إلى بادية،(لبلة) من بلاد الأندلس فتوفى فيها و له مصنفات كثيرة. عن الأعلام 4: 254.

رحمه الله- يرزق الإمام جندا يكونون حواليه فى موضع سكناه و فى الثغور التى لا يستقلّ أهلها بأنفسهم على عدوّهم، يقوى بهم على دفاع من أراد الفساد أو عند إنفاذ الحقّ عليه، و لا يكون ذلک الجند إلّا من خيار الناس و أهل الدين و الحظّ الصالح من العلم من أهل الجد و من ذوى الأحساب الذين يأنفون من الفرار، و يكون فيهم العدد الصالح من أبناء المهاجرين و الأنصار- رضى الله عنهم- فهم أحقّ الناس بالبرّ و الرّفعة و بالدّفع عن الدّين و عن الخلافة، و يكون فيهم أيضا من جميع قبائل العرب، و قطعة من أبناء من أسلم من العجم من أهل الدين و العلم أيضا، فواحد من ذوى البصائر ممّن يقاتل ديانة و حفيظة خير و أغنى فى الحوزة من ألف لا يقاتلون إلا طمعا، و قد تقدّم قبل ذكر رتبهم و نظارهم ليدفع ببعضهم تعصّب سائرهم و تزاح عللهم فى السلاح الكامل المنتخب و الخيل الفرّه و الجنائب المعدّة، و الزوامل لما لا بدّ منه. و يطرح ما أمكن أن يستغنى عنه من آلات أهل السّرف. و يأمر الإمام نظّارهم بتعاهدهم بإقامة الصلوات و السؤال عن الدين و اجتناب (س 103) الفواحش، و لا يكون شغلهم إلا هذا و التدرب فى العمل بالسلاح و على الخيل و المسابقة بها و على الإقدام، و لا يكن فيهم ذمّىّ أصلا و لا من لا يدرى فرائض الإسلام و لا رقيع و لا خليع و لا كثير الشّغب بطول لسانه، فليبعد أهل هذه الصّفة و ليوقعوا تحت الرّقبة الشديدة. فمن مات من الجند أو قتل أجرى على

مخلّفيهم ما يسعهم و لا يضيعون معه فإنهم ماتوا فى خدمة المسلمين، و قد قال رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- «من ترک کلّا أو ضياعا فإلىّ أو علىّ» و من شاخ منهم أو زمن أجرى عليه ما يقوم به و بعياله على السّعة، و حذف له ما كان يجرى عليه من أجل فرسه و سلاحه و مؤونة سفره.
و على الجند مع ذلک الجدّ عند اللقاء و الصبر عند البلاء، فإن كانت لهم الغلبة فليمعنوا فى الطّلب، و إن تكن عليهم فليقصروا الأعنّة و ليجمعوا الأسنّة و ليذكروا أخبار غد.

[من هو الفارس؟ كلام لصعصعة بن صوحان]

قال عبد الله بن عباس لصعصعة بن صوحان(1): من الفارس فيكم؟ حدّ لى حدّا أسمعه منک فإنک تضع الأشياء مواضعها يا بن صوحان.
قال: الفارس من قصر أجله فى نفسه، و ضغم على أصله بضرسه، و كانت الحرب أهون عليه من أمسه، ذلک الفارس إذا وقدت الحرب، و اشتدّ بالأنفس الكرب و تداعوا للنّزال و تراجعوا للقتال و تخالسوا المهج و اقتحموا بالسيوف اللّجج.
قال: أحسنت و الله يا بن صوحان، إنّک لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء ما ورثت هذا عن كلالة. زدنى.
قال: نعم، الفارس كثير الحذر مديد النّظر (م 76) يلتفت بقلبه و لا يدير خرزات صلبه.

1- صعصعة بن صوحان ت 56 ه- 676 م: صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدى، من سادات عبد القيس، من أهل الكوفة، مولده فى دارين قرب القطيف، كان خطيبا بليغا عاقلا، له شعر، شهد صفين مع علىّ، و له مع معاوية مواقف. نفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة أوال فى البحرين فمات فيها عن نحو سبعين عاما. عن الأعلام.

ص: 307
قال: (س 104) أحسنت و الله يا بن صوحان الوصف. فهل فى مثل هذه الصفة من شعر؟
قال: نعم، لزهير بن جناب(1) الكلبىّ فى ابنه عمرو حيث يقول:
فارس تكلأ الصحابة منه‌بحسام يمرّ مرّ الحريق
لا تراه لدى الوغى فى مجال‌يعقل الطرف لا و لا فى مضيق
من يراه يخله فى الحرب يوماأنّه أخرق مضلّ الطريق
فإذا الحرب أوقدت و تلظّت‌و أغصّت كماتها بالرّيق
عمّم السيف كلّ قرن كمىّ‌باسل البأس هبرزىّ عريق

[ثمانية أخلاق للفارس]

و ينبغى للفارس أن تكون فيه ثمانية أخلاق من أخلاق البهائم:
شجاعة الأسد، و حملة الخنزير، و روغان الثعلب، و صبر الكلب على الجراحة، و غارة الذئب، و حراسة الكركىّ، و حذر الغراب، و سمن يعدو، و هى دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب و الشقاء.
و ينبغى للإمام أن يجعل أيام أسفار جنده أكثر من أيام دعتهم أو على السواء، و لا تكون أيام الدّعة إلا بمقدار ما لا يضرّ تواتر الأسفار بأبدانهم و عيالهم(2).
قيل للمهلّب بن أبى صفرة: ما أعجب ما رأيت فى حرب الأزارقة؟
قال: فارسا كان يخرج إلينا فى كلّ غداة فيقف و يقول:

1- زهير بن جناب الكلبى ت نحو 60 ق. ه- 564 م: من بنى كنانة بن بكر، خطيب قضاعة و سيدها و شاعرها و بطلها و وافدها على الملوک فى الجاهلية، كان يدعى الكاهن لصحة رأيه، و عاش طويلا، وقائعه تناهز المئتين. أشهرها أيامه مع بكر و تغلب. عن الأعلام 3: 51.

2- النقل عن سراج الملوک 2: 680.

و سائلة بالغيب عنّى و لو درت‌مقارعتى الأبطال طال نحيبها
إذا ما التقينا كنت أول فارس‌يجود بنفس أثقلتها ذنوبها (س 105)

ثمّ يحمل فلا يقوم له شىء إلا أقعده، فإذا كان من الغد عاد لمثل ذلک(1).

[ما يأخذ به الفارس نفسه من ثقافة وعدة]

اشارة

و أولى ما يأخذ به الفارس نفسه بعد استفراه المركوب و إحكام الركوب مطالعة كتب السّير و الغزوات و استحضار ما وقع فى ذلک لكماة الشعراء من الأبيات.

قال عمرو بن معد يكرب الزّبيدى(2):
أعاذل عدّتي بدنى و رمحى‌و كلّ مقلّص سلس القياد
أعاذل إنّما أفنى شبابى‌إجابتى الصريخ إلى المنادى
مع الأبطال حتّى سلّ جسمى‌و أقرح عاتقى حمل النّجاد
و يبقى بعد حلم القوم حلمى‌و يفنى قبل زاد القوم زادى
و من عجب عجبت له حديث‌بديع ليس من بدع السداد
تمنّى أن يلاقينى قبيس‌وددت و أينما منى ودادى
تمنّانى و سابغة قميصى‌كأنّ قتيرها حدق الجراد (م 77)
و سيف لابن ذى قينان عندى‌تخيّر نصله من عهد عاد
فلو لا قيتنى للقيت ليثاهصورا ذا ظبى و شبا حداد

1- الخبر فى العقد 1: 103 و انظر شعر الخوارج ص 139 ق 140 ب 1-2.

2- الأبيات فى شعره المجموع بعنوان: شعر عمرو بن معد يكرب ص 110 ق 23 و البدن: الدرع.
و الأبيات أيضا فى العقد 1: 121.
و المقلّص: الفرس الطويل القوائم المشمر. و الصرّيخ: المستغيث. و قتير الدرع مساميرها.
و القصيدة فى الأغانى فى ترجمة عمرو بن معديكرب.

و لاستيقنت أنّ الموت حقّو صرّح شحم قلبک عن سواد
أنا المرء الذي حدّثت عنهأبىّ فى الشدائد ليث عاد
خفىّ الحسّ أخرس غير نكسو لا متعلم قتل الوحاد
و فارس بهمة و رئيس جيشتخوّف باسمه شوس الأعادى (س 106)
فمن ذا عاذرى من ذى سفاهيريد بنفسه شرّ المراد
أريد حياته و يريد قتلىعذيرک من خليلک من مراد

و قال السّموأل بن عادياء(1):
و إنّا لقوم ما نرى القتل سبّةإذا ما رأته عامر و سلول
يقرّب حبّ الموت آجالنا لناو تكرهه آجالهم فتطول
و ما مات منّا سيّد فى فراشهو لا طلّ منّا حيث كان قتيل
تسيل على حدّ الظبات نفوسناو ليست على غير السيوف تسيل
و أيّامنا مشهورة فى عدوّنالها غرر معلومة و حجول
و أسيافنا فى كلّ غرب و مشرقلها من قراع الدّارعين فلول
معوّدة أن لا تسلّ نصالهافتغمد حتّى يستباح قتيل(2)

1- السموأل- نحو 65 ق. ه- 560 م: تقدمت ترجمته.

2- الأبيات من أبيات له فى الحماسة بشرح المرزوقى 1: 111 ق: 15 و الأبيات المختارة هنا هى: 8، 9، 10، 11، 18، 19، 20 معنى قوله: و لا طلّ منّا حيث كان قتيل أى لم يبطل دم قتيل منا حيث كان. و يقال: طلّ دمه يطلّ طلا إذا أهدر. و المراد بالظبات: السيوف. و قوله: لها غرر معلومة و حجول أى إن وقعاتنا مشهورة فى أعدائنا معلومة، فهى بين الأيام كالأفراس الغر المحجلة بين الخيل يعرف بلاؤنا فيها. و التحجيل فى الخيل: ابيضاض مواضع الحجل و هو القيد و الخلخال.

و قال أبو سعيد المخزومىّ(1):
فى الخيل و الخافقات البيض لى شغلليس الصّبابة و الصهباء من شغلى
سل الجرادة عنّى و هى تحملنىهل فاتنى بطل أو خمت عن بطل
و هل شأنى إلى الغايات سابقهاو هل فزعت إلى غير القنا الذّبل
ذنبى إلى الخيل كرّ فى جوانبهاإذا مشى الليث فيها مشى مختبل
ولى من الفيلق الجأواء غمرتهاإذا تقحّمها الأبطال بالحيل
كم جانب خشن صبّحت عارضهبعارض للمنايا مسبل هطل (س 107)
و غمرة خضت أعلاها و أسفلهابالطّعن و الضّرب بين البيض و الأسل
و ما يريدون لو لا الجبن من رجلباالليل مشتمل بالجمر مكتحل (م 78)
لا يشرب الماء إلّا من قليب دمو لا يبيت له جار على وجل(2)

و قال بكر بن النطّاح(3):
و من يفتقر منّا يعش بحسامهو من يفتقر من سائر الناس يسأل
و نحن وصفنا دون كلّ قبيلةبشدّة بأس فى الكتاب المنزّل
إنّا لنلهو بالسيوف كما لهتفتاة بعقد أو سخاب قرنفل(4)

1- لم نقع له على ترجمة و هو مذكور فى كتاب الأمالى للقالى و العقد و غيرهما.

2- 690 و تنسب لامرئ القيس و لعمرو بن معدى كرب. و ورد فى ديوان امرئ القيس بشرح السكرى 2: 731.

3- بكر بن النطاح ت 192 ه- 808 م: من بنى حنيفة، أبو وائل، شاعر غزل من الفرسان، من أهل اليمامة انتقل إلى بغداد فى زمن الرشيد و اتصل بأبى دلف العجلىّ فجعل له رزقا سلطانيا عاش به إلى أن توفى. و رثاه أبو العتاهية بقوله:
مات ابن نطّاح أبو وائلبكر، فأضحى الشعر قد ماتا
عن الأعلام 2:

4- البيتان الأول و الثالث فى الأغانى 19: 39 ط دار الثقافة.

و قال قطریّ بن الفجاءة المازنی(1):
یا ربّ ظلّ عقاب قد وقیت به‌مهری من الشّمس و الأبطال تجتلد(2)
و ربّ یوم حمی أرعیت عقوته‌خیلی اقتسارا و أطراف القنا قصد(3)
و یوم لهو لأهل الخفض ظلّ به‌لهوی اصطلاء الوغی و ناره تقد
مشمّرا موقفی و الحرب کاشفة‌عنها القناع و بحر الموت یطّرد
و ربّ هاجرة تغلی مراجلهانحرتها بمطایا غارة تخد(4)
فإن أمت حتف أنفی لم أمت کمداعلی الطعان و قصر العاجز الکمد
و لم أقل لم أساق الموت شاربه‌فی کأسه و المنایا شرّع ورد(5)

و قال بعضهم:
و إنّا لضرّابون للهام فی الوغی‌و أسیافنا فی حومة الموت شرّع (س 108)
و أبطال أبطال و فرسان غارة‌حماة کماة سربها لا یفزّع
و إنّا لمثل الشمس بل نحن فوقهافطرف الأعادی دوننا یتقطّع
و إنّا لورّادون کلّ حفیظة‌تری الموت فی أطلالها یتضجّع

1- قطریّ ت 78 ه- 697: تقدمت ترجمته و الأبیات فی شعر الخوارج: 105.

2- العقاب: الرایة.

3- العقوة: الساحة. و فی شعر الخوارج: اقتصارا أی دون مجاوزة أما(اقتسارا) فتعنی القهر و الغلبة. و القصد: المکسّرة.

4- تخد: تسرع فی المشی. و قد ورد فی شعر الخوارج بعد هذا البیت قوله:
تجتاب أودیة الأفزاع آمنة‌کأنها أسد تقتادها أسد

5- الأبیات فی شعر الخوارج 109، 110 برقم 107 و قد أخذنا الشرح من حواشی التحقیق. و هی أیضا فی الأمالی للقالی 1: 265.

و أنشد المبرّد(1) لرجل من بنى أميّة:
إذا ما وترنا لم ننم عن تراتناو لم نک أوغالا نقيم البواكيا(2)
و لكننا نمضى الجياد شوازباو نرمى بها نحو التّرات المراميا(3)

و قال أبو دلف(4):
سيفى بليلى قبسىو فى نهارى أنسى
إنّى فتى عوّدنىمهرى ركوب الغلس
يحمدنى سيفى كمايحمد كرّى فرسى(5) (م 79)

و قال النابغة الجعدى(6):

1- المبّرد: 210- 286 ه- 826- 899 م: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدى، أبو العباس المعروف بالمبرد، إمام العربية ببغداد فى زمنه و أحد أئمة الأدب و الأخبار. مولده بالبصرة و وفاته ببغداد. من أشهر كتبه: الكامل، و المقتضب، و التعازى و المراثى، و الفاضل ..
و الخبر المذكور فى كتاب الكامل 2: 120 و فى الكامل ط الدالى 3: 1074.

2- و ترنا: قتل منّا قتيل، و التّرات جمع ترة و هى الذّحل و الثأر. و الأوغال جمع و غل و هو من الرجال النذل الضعيف. عن رغبة الآمل 7: 73 نقلا عن المحقق الدالى.

3- الشوازب من الخيل: الضامرة. و الترات سبق شرحها فى التعليق السابق.

4- أبو دلف 226 ه- 840 م: أبو دلف العجلى القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل من بنى عجل من لجيم أمير الكرخ و سيد قومه، و أحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء، قلّده الرشيد العباسى أعمال« الجبل» ثم كان من قادة جيش المأمون، و أخبار أدبه و شجاعته كثيرة و للشعراء فيه أماديح، و له مؤلفات منها سياسة الملوک و البزاة و الصيد. و كان عالما بصناعة الغناء يقول الشعر و يلحنه، توفى فى بغداد. الأعلام 5: 179 و الأغانى 8: 248.

5- الأبيات فى العقد 1: 103 بغير الترتيب الذى وردت عليه.

6- النابغة الجعدى ت نحو 50 ه- 670 م: قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدى العامرىّ، أبو ليلى، شاعر مفلق صحابى، من المعمّرين، اشتهر فى الجاهلية، و سمى النابغة- - لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر، ثم نبغ فقاله. و كان ممن هجر الأوثان و نهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام، و وفد على النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) فأسلم و أدرک« صفّين» فشهدها مع على ثم سكن الكوفة، فسيره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها فمات فيها و قد كف بصره و جاوز المئة.
و أخباره كثيرة- عن الأعلام 5: 207.

و نحن أناس لا نعوّد خيلناإذا ما التقينا أن تحيد و تنفرا
و تنكر يوم الرّوع ألوان خيلنامن الطّعن حتى تحسب الجون أشقرا
فليس بمعروف لنا أن نردّهاصحاحا و لا مستنكرا أن تعقرا
نحلّى بأرطال اللجين سيوفناو نعلو بها يوم الهياج السّنوّرا
بلغنا السماء مجدنا و فعالناو إن لنرجو فوق ذلک مظهرا(1)

و قال محمد بن عبد الله بن طاهر(2) (س 109):
لست لريحان و لا راحو لا على الجار بنبّاح
فإن أردت الآن لى موقفابين أسياف و أرماح
ترى فتى تحت ظلال القنايقبض أرواحا بأرواح(3)

1- ديوانه: 78(ق 26 ب) و الأبيات المختارة هنا هى الأبيات 71، 70، 72- 73 و البيت الرابع هنا مذكور فى الرواية الأولى للقصيدة برقم 85 و قد سقط من الرواية الثانية و انظر تخريج القصيدة فى ديوانه: 54.

2- محمد بن عبد الله بن طاهر 209- 253 ه- 804- 867 م: محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعى، أمير، حازم، من الشجعان، من بيت مجد ورئاسة ولى نيابة بغداد أيام المتوكل العباسى و توفى بها، له فى فتنة المعتز بالله أخبار كثيرة أورد ابن الأثير بعضها، و كان فاضلا أديبا جوادا. قال الخطيب: كان مألفا لأهل العلم و الأدب. و قال الشابشتى لما مات محمد بن عبد الله بن طاهر اشتد وجد المعتز عليه و كان يرى أن الأتراک يهابونه من أجله ورثاه- عن الأعلام 6: 222.

3- الأبيات فى العقد الفريد 1: 103.

و قال عبد الله بن المعتزّ(1):
يا ربّ حرب تخطّيت القنا قصدافيها و خضت المنايا ثمّ لم أخم
بحيث تستكره الأبطال موقفهاو يحرز النفس غرب الصّارم الخذم
إذ لا ظلال لنا إلا صوارمناو لا مشارب إلّا من حياض دم
أنتاب ثمّ المنايا فى مواطنهاحتّى تنال يدى أفعال منتقم
فسل قنا الخطّ هل روّيت أكعبهمن الدّماء غداة الجحفل النّهم
لصرف أركان صرف الدهر أيسر منصرفى غداة الوغى عن منتهى قدم
و لى حسام يهاب الدهر شفرتهأمضى و أعضب من حدّيه عضب فم
تأبى لى الذمّ كفّ غير جامدةيغنيک عارضها عن عارض الدّيم

و قال أبو فراس الحمدانى(2):

1- عبد الله بن المعتز 247- 296 ه- 861- 909 م: عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد العباسى، أبو العباس، الشاعر المبدع، خليفة يوم و ليلة، ولد فى بغداد و أولع بالأدب و صنّف كتبا كالبديع و طبقات الشعراء، آلت الخلافة فى أيامه إلى المقتدر العباسى و كان طفلا فبايع القواد ابن المعتز، لكن غلمان المقتدر و ثبوا به فخلعوه و سلّموه إلى مؤنس فخنقه. و له ديوان شعر كبير. الأعلام 4: 118- الأغانى 10: 374.

2- أبو فراس 320- 357 ه- 932- 968 م: الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبى الربعى أبو فراس الحمدانى، أمير، شاعر فارس، و هو ابن عم سيف الدولة. له وقائع كثيرة قاتل بها بين يدى سيف الدولة. و كان سيف الدولة يحبه و يجلّه و يستصحبه فى غزواته و يقدّمه على سائر قومه، و قلّده منبجا و حرّان و أعمالها فكان يسكن بمنبج(بين حلب و الفرات) و يتنقل فى بلاد الشام، و جرح فى معركة مع الروم فأسروه سنة 351 ه فامتاز شعره فى الأسر برومياته، و بقى فى القسطنطينية أعواما ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة.
بعد وفاة سيف الدولة تملک حمص و سار ليتملک حلب فقتله أحد أتباع سعد الدولة ابن سيف الدولة فى صدد على مقربة من حمص- عن الأعلام 5: 155.
و الأبيات التى أوردها صاحب تحفة الأنفس هى أبيات مختارة من قصيدة لأبى فراس تبلغ أربعين بيتا و أولها:- -

ضلالا ما رأيت من الضلالمعاتبة الكريم على النوال
و إنّ مسامعى عن كل عذللفى شغل بحمد أو سؤال
و هى فى ديوانه(حسب الرواية المغربية) ص 175 و ما بعدها.

بأطراف المثقّفة العوالىتعززنا بأوساط المعالى(1)
و ما تحلو مجانى العزّ يومإذا لم تجنها سمر العوالى(2)
و تلقى دونها سغب المنايابمرّ الطّعن فى مرّ المجال
كذا دأبى و دأب سراة قومىعلى العلّات فى شرف الفعال (س 110)
و من عرف الحروب و مارستهأطاب النفس بالحرب السّجال (م 80)
و من ورد المهالک لم ترعهرزايا الدهر فى أهل و مال
ألم أثبت لها و الخيل فوضىبحيث تخفّ أحلام الرجال
تركت ذوابل المرّان فيهامخضّبة محطّمة الأعالى
و عدت أجرّ رمحى عن مقامتحدّث عنه ربّات الحجال
فقائلة تقول: جزيت خيرالقد حاميت عن حرم المعالى
و قائلة تقول: أبا فراسأعيذ علاک من عين الكمال
و مهرى لا يمسّ الأرض زهواكأنّ ترابها قطب النّبال(3)
كأنّ الخيل تعرف من عليهاففى بعض على بعض تعال
علينا أن نعاود كلّ يومرخيص عنده المهج الخوالى
فإن عشنا ذخرناها لأخرىو إن متنا فموتات الرجال

1- فى الديوان: تفرّدنا.

2- قرأها محقق الديوان: إذا لم نجنها سمر العوالى.

3- فى الديوان: قطب النصال.

ص: 316
و قال بعض بنى قيس بن ثعلبة(1):
إنّا لنرخص يوم الروع أنفسناو لو نسام بها فى الأمن أغلينا(2)
بيض مفارقنا تغلى مراجلناأسو بأموالنا آثار أيدينا(3)
إنّا لمن معشر أفنى أوائلهمقيل الكماة: ألا أين المحامونا(4)
لو كان فى الألف منّا واحد فدعوامن فارس خالهم إياه يعنونا
إذا الكماة تنحّوا أن يصيبهمحدّ الظباة وصلناها بأيدينا(5) (س 111)

1- جاء فى الحماسة بشرح المرزوقى 1: 100 برقم 14.
قال بعض بنى قيس بن ثعلبة و يقال إنها لبشامة بن جزء النهشلى، و نقل محقق الكتاب عن خزانة الأدب 3: 515 أن هذا الشاعر إسلامى كما يظهر من شرح المبرد لأبياته، و نسب ابن قتيبة الأبيات فى الشعر و الشعراء إلى نهشل بن حرى و فى عيون الأخبار 1: 190 إلى بشامة و كذلک فى الكامل 1: 66 و الأبيات من قصيدة فى الحماسة بلغت اثنى عشر بيتا ذكر منها صاحب تحفة الأنفس البيت السادس و ما بعده و مطلع القصيدة.
إنا محيّوک يا سلمى فحيينا‌و إن سقيت كرام الناس فاسقينا

2- أغلينا: وجدت غالية أو جعلت غالية. يقول: نبتذل أنفسنا فى الحروب و لا نصونها، و لو عرض علينا إزالتها فى غيرها لامتنعنا. و هذا لحرصهم على تخليد الذكر الجميل و الإبانة عن محل النفس فى الشجاعة. عن شرح المرزوقى 1: 105.

3- بيض مفارقنا و يروى بيض معارفنا(الوجوه) و المراد من ذلک نقاء العرض و انتفاء الذم و العيب.
أما بياض المفارق فإنما هو لاعتياد لبس المغافر و البيض(الخوذ) و غليان المراجل يكون كناية عن الضيافة كما يمكن أن يكون كناية عن الحرب.

4- معنى البيت: إنى لمن قوم أهلک أسلافهم قول الأبطال لهم: ألا أين الذابّون و المحامون؟ فكانوا يتقدمون و يفنون. عن المرزوقى 1: 107.

5- الكماة: الفرسان. و حدّ الظبات: حد السيوف و معنى البيت: إذا الأبطال تباعدوا عن المصادمة و المكافحة مخافة أن ينالهم حدّ السيوف مددنا

أبواعنا إليهم بها أو وصلناها.

و لا تراهم و إن جلّت مصيبتهممع الرجال على من مات يبكونا(1)
و نركب الكره أحيانا فيفرجهعنّا الحفاظ و أسياف تواتينا(2)

و قال أبو زهير الحمدانى(3):
و قد علمت بما لاقته منّىقبائل يعرب و ابنا نزار
أتيناهم بأرماح طوال‌تبشّرهم بأعمار قصار(4)

و قال أبو العشائر الحمدانى(5):
أأخا الفوارس لو شهدت مواقعىو الخيل بى تحت العجاجة تنحط
لقرأت فيها ما تخطّ يد الوغىو البيض تشكل و الأسنّة تنقط(6)

1- يصف تعوّدهم للثكل، و إلفهم المصائب و القتل، و أن قلوبهم قد مرنت عليها حتى قست، فلا يبكون مع البكاة على من قتل منهم. شرح المرزوقى 1: 109.

2- يجوز أنه أراد بالسيوف رجالا كأنهم السيوف مضاء و نفاذا، و الأول أولى. و إنما يصف خطارهم بمهجهم و ركوبهم المهالک و رميهم بأنفسهم المرامى المعطبة، فيقول: إذا فعلنا ذلک فى الوقت بعد الوقت وسعت المضايق عنا محافظتنا على الكرم و صبرنا على الشدائد و استعمالنا المطاوعة لنا- شرح المرزوقى 1: 109 و الأبيات فى الكامل 66.

3- أبو زهير الحمدانى: قال ابن خالويه: أبو زهير المهلهل بن نصر بن حمدان أفرس العرب و أشعرها. له ذكر فى كل موقف شريف. و له شعر مليح أكثره فى مكاتبات الأمير أبى فراس.
عن شرح ديوان أبى فراس لابن خالويه: 87.

4- البيتان فى يتيمة الدهر 1: 104.

5- أبو العشائر الحمدانى: قال ابن خالويه: أبو العشائر يحيى بن على بن حمدان رحمه الله، كبسته عساكر الإخشيدية مع يأنس المؤنسى و هو منصرف بأنطاكية من الميدان و أصابته نشابة فى وجهه أخرج نصلها بعد أيام، فشد فى أوساطهم فلم يزل يضرب و يحتمى حتى تخلص و أسر و

توفى فى الأسر- عن شرح ديوان أبى فراس ص 89.

6- البيتان فى يتيمة الدهر 1: 104.

و قال سعيد بن جودى (م 81)(1):
الدرع قد صارت شعارى فماأبسط- حاشاها- لتهجاع
و السيف إن قصّره صانعطوّله يوم الوغى باعى
و ما كميتى لى بمستقصرإذا دعانى للّقا داع
هذا الذى أسعى له جاهداكلّ امرىء فى شأنه ساع(2)

و أشعار الأبطال و الكماة من الرجال لا تحصى فى هذا المعنى لكثرتها، و لا تخفى عن أحد لشهرتها، لكن فى ذكرها ما يبعث على الإقدام، و يحمل على ورود مناهل الحمام.
قال هارون الرشيد:
نعم العون على الخير الشعر، لقد رأيتنى و أنا ببلاد الرّوم و قد ضاقت

1- سعيد بن جودى ت 284 ه- 897 م: سعيد بن سليمان بن جودى بن إسباط بن إدريس السعدى من هوازن، أبو عثمان أمير ثائر فى الأندلس، يعدّ من أدباء الملوك، كان شجاعا بطلا جوادا خطيبا شاعرا، ترأس القيسية بعد مقتل سوار بن حمدون سنة 277 ه و استولى على حاضرة البيرة فأقطعه الأمير عبد الله بن محمد كورتها و قتله بعض أصحابه غيلة بسبب امرأة- كما فى كتاب الحلّة السيراء- و يقول ابن حيان فى« المقتبس» إنه استخف بأصحابه حتى دبّر عليه كبيران منهم حيلة قتلاه بها و نسبوه إلى أنه أسرّ الخلاف للأمير عبد الله و عزوا إليه أبياتا من الشعر جعلوها ذريعة إلى قتله منها:
يا بنى مروان خلّوا ملكناإنما الملك لأبناء العرب
و قال: كان قيامه بأمر العرب سبع سنين و لم ينتظم لهم أمر بعده. و قال فى موضع آخر: قتل غدرا و ذلّت العرب بعد مقتله و هانت على المولدين المناضلين لهم بحاضرة البيرة. و انظر رثاء المقدم بن المعافى لسعيد بن جودى فى نفح الطيب 3: 538- عن الأعلام 3: 95.

2- الأبيات فى شعره المجموع فى كتاب« سعيد بن جودى السعدى الألبيرى الأندلسى: سيرته و مجموع شعره ص 87، 88 نقلا عن الحلة السيراء 1: 157 لابن الأبّار.

علىّ الأرض بما رحبت شدة، إذ خطرت لى أبيات مالک بن عوف النّصرىّ:
و إذا اشتکى مهرى إلىّ حرارةعند اختلاف الطعن قلت له: اقدم
إنّى بنفسى فى الحروب لتاجرتلک التجارة لا انتقاد الدرهم

فلما تمثّلت بهذا سکّنت من جأشى، ثم عدت إليها، و حملت و حمل المسلمون فما قضيت الأبيات حتّى فتح الله علينا.
فالإقدام ليس يدنى من الوفاة، و لا الإحجام يزيد فى الحياة، و الطعن فى ثغر النحور أکرم منه فى الأعجاز و الظهور، و الهالک المصدور خير من الناجى الفرور:
و هل يحمل الضّيم الفتى و هو آخذبقائم سيف أو عنان لجام

ص: 320

ص: 321

الباب التاسع عشر فى ذكر مشاهير فرسان العرب فى الجاهلية و الإسلام

اشارة

ص: 322

ص: 323
فی ذکر مشاهیر فرسان العرب فی الجاهلیة و الإسلام فی الخبر أن الشجاعة عشرة أجزاء، تسعة فی العرب، و واحد فی سائر الناس.

[ذكر فرسان العرب فى الجاهلية]

و كان فارس العرب فى الجاهلية ربيعة بن مكدم(1) من بنى فراس بن غنم بن مالک بن كنانة و كان يعقر على قبره فى الجاهلية، و لم يعقر على قبر أحد غيره، و كان بنو فراس بن غنم بن مالک بن كنانة أنجد العرب، كان الرجل منهم يعدل بعشرة من غيرهم، و فيهم يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه لأهل الكوفة: يا معشر أهل الكوفة: من فاز بكم فقد فاز بالسهم الأخيب، أبدلكم الله بى من هو شرّ لكم و أبدلنى بكم من هو (س 113) خير منكم، وددت و الله أنّ لى بجمعكم و أنتم مئة ألف ثلاث مئة من بنى فراس بن غنم(2).

و من فرسان العرب فى الجاهلية:

- عنترة الفوارس

- و عتيبة بن الحارث بن شهاب(3)

1- ربيعة بن مكدم: نحو 85- 62 ق. ه- نحو 534- 558 م: ربيعة بن مكدّم بن عامر بن حرثان من بنى كنانة، أحد فرسان مضر المعدودين فى الجاهلية و هو الذى حمى الظعن بعد مقتله. انظر سمط اللآلئ 910 و بلوغ الأرب للآلوسى 2: 144 و الأعلام 3: 17

2- الخبر بتمامه فى العقد 1: 116.

3- عتيبة بن الحارث .. التميمى، فارس تميم فى الجاهلية، كان يلقب« سمّ الفرسان» و« صياد الفوارس» و يضرب به المثل فى الفروسية. قال ابن أبى الحديد: كانوا يعدّون أبطال- - الجاهلية ثلاثة: عامر بن الطفيل و بسطام بن قيس و عتيبة بن الحارث. قتله ذؤاب بن ربيعة- بالتصغير، بن عبيد. الأعلام 4: 201.

- و أبو براء عامر بن مالک ملاعب الأسنّة(1)
- و زيد الخيل(2)
- و بسطام بن قيس(3)
- و الأحيمر(4)

1- أبو براء ت 10 ه- 631 م: عامر بن مالک بن جعفر بن کلاب العامری، أبو براء، فارس قيس، و أحد أبطال العرب فی الجاهلية، و هو خال عامر بن الطفيل. سمّی« ملاعب الأسنّة» أدرک الإسلام و قدم علی رسول الله(صلّی اللّه عليه و سلم). الإصابة 4: 16 برقم 4417 و الأعلام 4: 255.

2- زيد الخيل ت 9 ه- 630 م: زيد بن مهلهل بن منهب بن عبد رضا من طيیء، کنيته أبو مکنف، من أبطال الجاهلية، أدرک الإسلام و وفد علی النبی(صلّی اللّه عليه و سلم) سنة 9 ه فی وفد طيیء فأسلم و سرّ به رسول الله(صلّی اللّه عليه و سلم) و سمّاه« زيد الخير» مات و هو راجع علی ماء يقال له« فردة» الإصابة 3: 34 برقم 2935.

3- بسطام بن قيس ت 10 ق. ه- 612 ه: بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانی، أبو الصهباء، سيد شيبان، و من أشهر فرسان العرب فی الجاهلية، يضرب المثل بفروسيته، و کان يقال: أغلی فداء من بسطام بن قيس، أسره عيينة بن الحارث، فافتدی باربعمئة ناقة و ثلاثين فرسا، و أدرک الإسلام و لم يسلم، و قتله عاصم بن خليفة الضبیّ يوم السّقيفة بعد البعثة النبوية. قال الجاحظ: بسطام أفرس من فی الجاهلية و الإسلام. الأعلام 2: 51 و مجمع الأمثال 2: 430 برقم 2713.

4- ذکر الزرکلی الأحيمر السعدی نقلا عن السمط 195 علی أنه من مخضرمی شعراء الدولتين الأموية و العباسية و الخبر الذی ورد عنه فی عيون الأخبار 2: 88 يفيد هذا و وصفه ابن عبد ربه فی فرسان الجاهلية و مؤلفنا ينقل عنه فمن هنا ورد التوهم و الأحيمر السعدی توفی نحو سنة 170 ه- 787 م و قد أورد الزرکلی ترجمته فی الأعلام 1/ 277 علی هذا النحو:
الأحيمر السعدی، شاعر من مخضرمی الدولتين الأموية و العباسية، کان لصا فاتکا ماردا من أهل بادية الشام، أتی العراق و قطع الطريق، فطلبه أمير البصرة(سليمان بن علی) ففرّ فأهدر دمه و تبرأ منه قومه و طال زمن

مطاردته فحنّ إلى وطنه و نظم قصيدته:
لئن طال ليلى بالعراق لربماأتى لى ليل بالشآم قصير
و منها البيت:- -
عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوىو صوّت إنسان فكدتّ أطير
و تاب بعد ذلک عن اللصوصية.

- و عامر بن الطّفيل(1)
- و سليک المقانب(2)
- و عمرو بن معد يكرب
- و عمرو بن عبد ودّ. و غيرهم.

[ذكر الفرسان فى الإسلام]

و فى الإسلام:
- على بن أبى طالب
- و عمه حمزة بن عبد المطلب
- و الزبير
- و طلحة(3)

1- عامر بن الطفيل 70 ق. ه- 11 ه- 554- 632 م: ابن مالک بن جعفر العامرى، من بنى عامر بن صعصعة، فارس قومه، و أحد فتّاک العرب و شعرائهم و ساداتهم فى الجاهلية. كنيته أبو على، ولد و نشأ بنجد، خاض المعارک الكثيرة، و أدرک الإسلام شيخا، فوفد على رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) يريد الغدر به فلم يستطع و رجع و لم يسلم فمات فى الطريق.
خزانة الأدب 1: 471- 474 رغبة الآمل 2: 176 و 8: 165، 243 و الأعلام 3: 252.

2- سليک المقانب ت نحو 1، ق. ه- 605 م: السليلک بن عمير بن يثربى بن سنان السعدىّ التميمى. و السّلكة أمه، فاتک، عدّاء، شاعر أسود، من شياطين الجاهلية، يلقّب بالرئبال. كان أدلّ الناس بالأرض و أعلمهم بمسالكها. له وقائع و أخبار. قتله أسد بن مدرک الخثعمى. عن الأعلام 3: 115.

3- طلحة بن عبيد الله 28 ق. ه- 36 ه- 596- 656 م: طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمى القرشى المدنى، أبو محمد، صحابى، شجاع من الأجواد و هو أحد العشرة المبشرين- - و أحد الستة أصحاب الشورى، و أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام. قال ابن عساكر: كان من دهاة قريش و من علمائهم. و يقال له: طلحة الجود و طلحة الخير و طلحة الفياض و كل ذلک لقّبه به رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) فى مناسبات مختلفة. شهد أحدا و ثبت مع رسول الله و بايعه على الموت فأصيب بأربعة و عشرين جرحا. شهد الخندق و سائر المشاهد. قتل يوم الجمل و كان بجانب عائشة و دفن فى البصرة- الأعلام 3: 229.

- و عبد الله بن خازم السلمى(1)
- و طليحة الأسدى(2)
- و عباد بن الحصين(3)
- و عمير بن الحباب(4)

1- عبد الله بن خازم ت 72 ه- 691 م: عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصّلت السّلمى البصرى، أبو صالح، أمير خراسان، له صحبة، كان من أشجع الناس، أسود اللون كثير الشعر، يتعمم بعمامة خزّ سوداء يلبسها فى الجمع و الأعياد و الحرب، و يقول: كسانيها رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم). قال البغدادى: هو أحد غربان العرب فى الإسلام. له فتوحات و غزوات. ولىّ إمرة خراسان لبنى أمية و استمر عشر سنين. و فى أيامه كانت فتنة ابن الزبير، فكتب إليه ابن خازم بطاعته، و أقرّه على خراسان، فبعث إليه عبد الملک بن مروان يدعوه إلى طاعته فأبى فلما قتل مصعب بن الزبير بعث إليه عبد الملک برأسه فغسله و صلى عليه ثم انتقض عليه أهل خراسان فقتلوه و أرسلوا رأسه إلى عبد الملک. الإصابة 4: 60 برقم 4632 و العقد 1: 117 و الأعلام 4: 84.

2- طليحة الأسدى 21 ه- 642 م: طليحة بن خويلد الأسدى، من أسد خزيمة، متنبئ شجاع، من الفصحاء، يقال له« طليحة الكذاب» كان من الشجعان، قدم على النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) فى وفد بنى أسد سنة 9 ه فأسلم و أسلموا، و لما رجعوا ارتد طليحة و ادعى النبوة و كثر أتباعه. هزمه خالد ابن الوليد، ففر إلى الشام، ثم أسلم بعد أن أسلمت أسد و غطفان كافة و وفد على عمر فبايعه و خرج إلى العراق و حسن بلاؤه فى الفتوح و استشهد بنهاوند الأعلام 3: 230.

3- عباد بن الحصين ت نحو 85 ه- 705 م: عباد بن الحصين بن يزيد بن عمرو الحبطى التميمى، أبو جهضم، فارس تميم فى عصره، ولى شرطة البصرة أيام ابن الزبير و كان مع مصعب أيام قتل المختار، و شهد فتح كابل مع عبد الله بن عامر، و أدرک فتنة ابن الأشعث و هو شيخ مفلوج، و رحل إلى كابل فقتله العدو هناک. المعارف 182 و رغبة الآمل 3: 66 و الأعلام 3: 257.

4- عمير بن الحباب 70 ه- 690 م: عمير بن الحباب بن جعدة السلمى،

رأس القيسية فى- - العراق، و أحد الأبطال الدهاة، كان ممن قاتل عبيد الله بن زياد مع إبراهيم بن الأشتر بالخازر ثم أتى إلى قرقيسيا خارجا على عبد الملک بن مروان، و تغلب على نصيبين، و اجتمعت عليه كلمة قيس كلها، و نشبت بينه و بين اليمانية و بنى كلب و تغلب وقائع منها يوم ماكسين و يوم الثرثار الأول و يوم الثرثار الثانى ... و قتل عمير يوم الحشاک قتلته فيه بنو تغلب.

- و رجال من الأنصار(1)
- و الأشتر النخعىّ(2)
- و قطرىّ بن الفجاءة
- و الحريش بن مالک السعدىّ(3)
- و شبيب الحرورى. و غيرهم(4)
قالوا: ما استحيا شجاع قط أن يفرّ عن عبد الله بن خازم و قطرى ابن الفجاءة صاحب الأزارقة.

1- فى العقد 1: 118 و رجال الأنصار أشجع الناس ...

2- الأشتر النخعى ت 37 ه- 657 م: مالک بن الحارث بن عبد يغوث النخعى المعروف بالأشتر، أمير، من كبار الشجعان، كان رئيس قومه، أدرک الجاهلية، و أول ما عرف عنه أنه حضر خطبة عمر بالجابية و سكن الكوفة و كان له نسل فيها و شهد اليرموک و ذهبت عينه فيها، و كان ممن ألّب على عثمان و حضر حصره بالمدينة و شهد يوم الجمل و أيام صفّين مع على.
و ولاه على على مصر فقصدها فمات فى الطريق و هو من الأجواد. الأعلام 5: 259.

3- الحريش. ذكر فى الإصابة 1/ 479 و غيره حريش بن هلال القريعى و قال: ذكر له أبو تمام أبياتا فى الحماسة ثم ذكر بيتين مما نسب إلى الجحاف بن حكيم و قد مرّت الأبيات فى موضع سابق و لم نقع على الحريش بن مالک.

4- شبيب الحرورى 26- 77 ه- 647- 696 م: شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيبانى، أبو الضحاک، من الأبطال، و هو أحد كبار الثائرين على بنى أمية، كان داهية طماحا إلى السيادة، خرج على الحجاج، و نادى بنفسه خليفة فبايعه 120 رجلا، و هزم جيوش الحجاج، و لم يستطع الحجاج التغلب عليه إلى أن أنجده عبد الملک بجيش من الشام بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبى، و قتل أصحاب شبيب و نجا هو مع قليل منهم. فمر بجسر دجيل فى نواحى الأهواز فنفر به فرسه و عليه الحديد الثقيل. فألقاه فى الماء فغرق. الأعلام 3: 157 و انظر العقد 1: 117- 118.

و قالوا: ذهب حاتم(1) بالسخاء و الأحنف بن قيس بالحلم، و خريم(2) بالنعمة، و عمير بن الحباب بالشدّة، و كان شبيب الحرورى يصيح فى جنبات الجيش فلا يلوى أحد على أحد. و فيه يقول الشاعر:
إن صاح يوما حسبت الصخر منحدراو الريح عاصفة و الموج يلتطم

و لمّا قتل أمر الحجّاج بشقّ صدره، فإذا له فؤاد مثل فؤاد الجمل، فكانوا إذا ضربوا به الأرض ينزو كما تنزو المثانة المنفوخة(3).
و قال عبد الله بن الزبير: التقيت بالأشتر النخعى يوم الجمل فما ضربته حتّى ضربنى (س 114) خمسا أو ستّا ثم أخذ برجلى فألقانى فى الخندق و قال: و الله لو لا قرابتک من رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- ما اجتمع منک عضو إلى آخر الدهر. و كان عبد الله بن الزبير من مشاهير الفرسان(4).

1- حاتم الطائى ت 46 ق. ه- 578 م: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائى القحطانى، أبو عدىّ، فارس، شاعر، جواد، جاهلى، يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج ماوية بن حجر الغسانية و مات فى عوارض(جبل فى بلاد طيىء) عن الأعلام 2: 151 و خزانة الأدب 1: 494- 2: 164 و العقد 1: 117.

2- خريم بن خليفة بن الحارث بن خزيمة الغطفانى المرّى يضرب به المثل فى التنعّم فيقال:
أنعم من خريم. كان معاصرا للحجاج الثقفى و له معه خبر. انظر الأعلام 2: 304 و مجمع الأمثال 3: 411 برقم 4315« أنعم من خريم».

3- الخبر مع الشعر فى العقد 1: 117، 118 و انظر العقد 3: 69

4- الخبر فى العقد 1: 119، 120.

و ذكر متمّم(1) بن نويرة أخاه مالكا(2) و جلده فقال: كان يخرج فى الليلة الصّنّبر عليه الشملة الفلوت بين المزادتين النّضوحين على الجمل الثفال معتقل الرمح الخطّى قالوا: و أبيک إنّ هذا لهو الجلد(3).
كتب عمر بن الخطّاب رضى الله عنه إلى النعمان بن مقرن و هو على الصائفة: أن استعن فى حربک بعمرو بن معد يكرب و طليحة الأسدى و لا تولّهما من الأمر شيئا، فإنّ كلّ صانع أعلم بصناعته.
و كان خارجة بن حذافة(4) أحد فرسان قريش يعدل بألف فارس.
كتب عمرو بن العاصى إلى عمر رضى الله عنه يستمدّه بثلاثة آلاف

1- متمم بن نويرة ت 30 ه- 650 م: متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعى التميمى، أبو نهشل، شاعر فحل، صحابى، من أشراف قومه، اشتهر فى الجاهلية و الإسلام. و كان قصيرا أعور. أشهر شعره رثاؤه لأخيه مالک. سكن متمم المدينة أيام عمر. عن الأعلام 5: 274.

2- مالک بن نويرة ت 12 ه- 634 م: مالک بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعى التميمى، أبو حنظلة، فارس، شاعر من أرداف الملوک فى الجاهلية، يقال له: فارس ذى الخمار، و ذو الخمار فرسه، و فى أمثالهم« فتى و لا كمالک»(مجمع الأمثال برقم 2762) و كانت فيه خيلاء، و له لمة كبيرة. أدرک الإسلام و أسلم، و ولاه رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) صدقات قومه، و لما صارت الخلافة إلى أبى بكر اضطرب مالک فى أموال الصدقات و فرقها، و قيل: ارتد، فتوجه إليه خالد بن الوليد و قبض عليه و أمر ضرار بن الأزور فقتله. عن الأعلام 5: 267.

3- الخبر فى العقد 1: 120 و الصنبر: البرد الشديد. و المزادتان النضوحتان: قربتا الماء، و الجمل الثفال: البطىء. و الرمح الخطىّ: منسوب إلى الخط، و هى بلدة بالبحرين تنسب إليها الرماح الجيدة. و انظر عيون الأخبار 4: 31 ففيه حديث لمتمم يصف نفسه لعمر بن الخطاب.

4- خارجة بن حذافة ت 40 ه- 660 م: خارجة بن حذافة بن غانم من بنى كعب بن لؤى، صحابى، من الشجعان، كان يعد بألف فارس. أمد به عمر بن الخطاب عمرو بن العاص فشهد معه فتح مصر و ولى شرطته. و اتفق أن عمر اشتكى بطنه ليلة الائتمار بقتله و قتل على و معاوية فاستخلف خارجة على الصلاة بالناس، فقتله عمرو بن بكر الذى انتدب لقتل عمرو بن العاص.

و قال قاتله لما علم خطأه: أردت عمرا و أراد الله خارجة. الأعلام 2/ 293.

فارس فأمدّه بخارجة بن حذافة و الزبير بن العوّام و المقداد بن الأسود(1).
و قتل خارجة- رحمه الله- بمصر، قتله الخارجىّ الذى أراد قتل عمرو بن العاصى و هو يظنّه عمرا. فقال: أردت عمرا و أراد الله خارجة(2).
و كان المقداد بن عمرو البهرانىّ(3) تبنّاه فى الجاهلية الأسود بن عبد يغوث الزهرى فكان يقال له: المقداد بن الأسود، و كان من الفرسان الأبطال و المهاجرين الأولين، و هو الذى قال لرسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- و الله لا نقول لک كما قال أصحاب موسى لموسى(4): اذهب أنت و ربّک فقاتلا إنّا ها هنا (س 115) قاعدون(5). و لكننا نقاتل من بين يديک و من خلفک و عن يمينک و عن شمالک(6).

1- المقداد بن الأسود 37 ق. ه- 22 ه- 587- 653 م: المقداد بن عمرو و يعرف بابن الأسود الكندى البهرانى الحضرمى، أبو معبد أو أبو عمرو- صحابى، من الأبطال- هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام، و هو أول من قاتل على فرس فى سبيل الله. و كان فى الجاهلية من سكان حضر موت و اسم أبيه عمرو بن ثعلبة البهرانى الكندى. و وقع بين المقداد و ابن شمر بن حجر الكندى خصام فضرب المقداد رجله بالسيف و هرب إلى مكة فتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهرى. فصار يقال له: المقداد بن الأسود إلى أن نزلت الآية.\i« ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ»\E شهد بدرا و غيرها و سكن المدينة و توفى على مقربة منها الأعلام 7: 282.

2- الخبر فى العقد 4: 360.

3- المقداد بن عمرو البهرانى هو المقداد بن الأسود. انظر خبره فى السيرة: 449.

4- الأسود بن عبد يغوث. انظر خبره فى السيرة 1: 449.

5- سورة المائدة 5/ 24.

6- انظر الخبر فى السيرة النبوية 1: 449(أخبار وقعة بدر).

و الزّبير بن العوّام هو أوّل رجل سلّ سيفه فی الله. قال رسول الله- صلّی اللّه علیه و سلم- لکلّ نبیّ حواریّ و حواریّی الزّبیر(1). و الحواریّ الناصر.
و روی أنّ أمیّة بن خلف(2) سأل عبد الرحمن بن عوف یوم بدر و أمیة أسیر عنده قبل أن تقتله الأنصار فقال: من الرجل منکم المعلم بریش نعامة فی صدره؟
قال: قلت: ذلک حمزة بن عبد المطلب أسد الله و أسد رسوله و عمّ نبیّه.
قال: ذلک و الله الذی فعل بنا الأفاعیل(3).
و کان أبو بکر- رضی الله عنه- إذا ذکر یوم أحد یقول: ذاک یوم کلّه أو جلّه لطلحة. و قتل طلحة یوم الجمل فتمثّل فیه علیّ رضی الله عنه بقول (م 83) الشاعر:

1- أخبار الزبیر مبثوثة فی السیرة، أما الحدیث فقد ورد فی فیض القدیر 4: 2097 برقم 2431 علی هذا النحو: إن لکل نبی حواریا و إن حواری الزبیر. قال محققه: صححه الألبانی فی صحیح الجامع 1: 2154 و أخرجه البخاری فی صحیحه 6: 2846 و الترمذی فی سننه 5: 3745 عن جابر و فی 5: 3744 عن علی و أخرجه الحاکم فی المستدرک عن الزبیر و قال: صحیح علی شرط الشیخین و وافقه الذهبی و الحواری: الوزیر و الناصر و الخلیل و خاصة الأصحاب.
و مناسبة الحدیث أنّ رسول الله(صلّی اللّه علیه و سلم) قال یوم الأحزاب: من یأتینی بخبر القوم؟ فقال الزبیر:
أنا. و أخرجه مسلم فی الفضائل عن جابر و لفظه: ندب رسول الله(صلّی اللّه علیه و سلم) الناس یوم الخندق فانتدب الزبیر، ثم ندبهم فانتدب الزبیر، ثم ندبهم فانتدب الزبیر، فقال رسول الله(صلّی اللّه علیه و سلم): لکل نبی حواری و حواریّ الزبیر. و انظر إعراب الحدیث للعکبری: 230 برقم 221.

2- أمیة بن خلف 2 ه- 624 م: أمیة بن خلف بن وهب من بنی لؤی أحد جبابرة قریش فی الجاهلیة و من ساداتهم، أدرک الإسلام و لم یسلم، و هو الذی عذب بلالا الحبشی فی بداءة ظهور الإسلام. أسره عبد الرحمن بن عوف یوم بدر، فرآه بلال فصاح بالناس یحرضهم علی قتله فقتلوه. قتله رجل من الأنصار من بنی مازن. السیرة النبویة 1: 531 و الأعلام 2: 22.

3- الخبر فى السيرة النبوية 1: 463.

فتى كان يعطى السيف فى الحرب حقّه‌إذا ما هو استغنى و تشقى به الجزر

و روى عن رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- أنّه قال: منّا خير فارس فى العرب.
قالوا: من هو يا رسول الله قال: عكاشة بن محصن فقال ضرار بن الأزور(1): ذلک منّا يا رسول الله. قال: ليس منكم و لكنه منّا، شهد مع رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- سائر المشاهد و استشهد فى يوم بزاخة(2) قتله طليحة(3).
و كان يقال للأخرم الأسدى(4): فارس رسول الله، كما كان يقال لأبى قتادة الأنصارى(5).
و كان خالد بن الوليد من فرسان العرب و شجعانهم، روى أنّ رسول

1- ضرار بن الأزور ت 11 ه- 633 م: ضرار بن مالک(الأزور) بن أوس بن خزيمة الأسدى، أحد الأبطال فى الجاهلية و الإسلام، كان شاعرا مطبوعا له صحبة، و قاتل يوم اليمامة أشد قتال حتى قطعت ساقاه، فجعل يحبو على ركبتيه و يقاتل و الخيل تطؤه و مات بعد أيام فى اليمامة. الإصابة 3: 269 برقم 4267 و الأعلام 3: 215.

2- يوم بزاخة: بزاخة ماء لبنى أسد بن خزيمة التقى عليه خالد بن الوليد و طليحة بن خويلد الأسدى المرتد و هزمهم خالد. ثم عاد طليحة إلى الإسلام. البلاذرى. البلدان: 112- 113.

3- انظر السيرة النبوية 1: 468.

4- الأخرم الأسدى ت 6 ه- 627 م: و اسمه محرز بن نضلة بن عبد الله بن مرة، من بنى غنم من أسد بن خزيمة، صحابى، من الشجعان، يعرف بالأخرم الأسدى، أبو نضلة، شهد بدرا، و قتله عبد الرحمن بن عيينة الفزارى فى غزوة ذى قرد. انظر خبره فى غزوة ذى قرد فى السيرة النبوية 2: 754 و الإصابة 1: 22 برقم 56 و 6: 48 برقم 7740 و الأعلام 5: 284.

5- أبو قتادة ت 54 ه: أبو قتادة الأنصارى السلمى فارس رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) و اسمه الحارث بن ربعى، و قيل: النعمان و قيل: عمرو .. و المشهور: الحارث بن ربعى بن بلدمة قال النبى(صلّى اللّه عليه و

سلم):
خير فرساننا أبو قتادة. انظر السيرة النبوية 2: 754 و تهذيب التهذيب 6: 410 برقم 10186.

الله- صلّى اللّه عليه و سلم- ذكره فقال: نعم عبد الله، و نعم أخو العشيرة، سيف (س 116) من سيوف الله(1)، سلّه الله على الكفّار و المنافقين. و كان رجلا عظيما جلدا مهيبا لا ينظر إليه رجل إلا ملأ صدره، و إليه كانت القبّة و الأعنّة فى الجاهلية.
فأمّا القبّة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به جيوشهم. و أمّا الأعنّة فإنّه كان يكون على خيل قريش فى الحروب. و كان على خيل رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- يوم الحديبية(2) و لم يزل من حين أسلم يوليه رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- أعنّة الخيل فيكون فى مقدّمتها فى محاربة العرب.
و كان عمّار بن ياسر العنسىّ من الفرسان الأبطال، شهد جميع المشاهد مع رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- و قتل بصفّين و هو يقول: أيّها الناس، هل من رائح إلى الجنّة تحت العوالى. و كان رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- قد قال له:
تقتلك الفئة الباغية(3).

1- فى عارضة الأحوذى جزء من هذا الحديث 3: 234.

2- لم يكن خالد قد أسلم يوم الحديبية، بل إنه كان فى خيل قريش كما فى السيرة النبوية 2: 777 فقد قال بشر بن سفيان الكعبى: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرک فخرجوا معهم العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور و قد نزلوا بذى طوى، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا، و هذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم.« العوذ المطافيل: الإبل ذات الألبان».

3- تقتلک الفئة الباغية: جاء فى السيرة النبوية 1: 346(مقام رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) بالمدينة و منازله بها و بناء مسجده) قال ابن إسحاق: فدخل عمار بن ياسر و قد أثقلوه باللبن فقال: يا رسول الله، قتلونى يحملون علىّ ما لا يحملون. قالت أم سلمة زوج النبى(صلّى اللّه عليه و سلم): فرأيت رسول الله(صلّى اللّه عليه و سلم) ينفض وفرته بيده و كان رجلا جعدا، و هو يقول: ويح ابن سمية، ليسوا بالذين يقتلونک، إنما تقتلک الفئة الباغية. و فى الجامع الصغير: و فى الجامع الصغير: عمار تقتله الفئة الباغية 2: 66 عن أبى نعيم فى الحلية عن أبى قتادة. و انظر العقد 4:

.341

و كذلک قتل عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى(1) بصفّين و كان من مشاهير الفرسان، فتمثّل فيه معاوية بقول حاتم الطائى:
أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّهاو إن شمّرت يوما به الحرب شمّرا
كليث هزبر كان يحمى ذماره‌رمته المنايا قصدها فتفطّرا(2)

و لمّا غطّاه عبد الله بن عامر(3) بعمامته و واراه قال له معاوية: لقد واريت كبشا من كباش القوم و سيّد خزاعة غير مدافع.
و كان علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إذا رأى همدان و غناها فى الحرب يوم صفّين يقول (س 117):
ناديت همدان و الأبواب مغلقةو مثل همدان سنى فتحة الباب
كالهندوانىّ لم تفلل مضاربه‌وجه جميل و قلب غير و جّاب(4)

1- عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى 37 ه- 657 م: صحابى، كان من الدهاة الفصحاء، انتهت إليه السيادة فى خزاعة. أسلم يوم الفتح، شهد حنينا و الطائف و تبوک. و قاتل مع علىّ بصفّين، فكان قائد الرجالة، و كاد يصل إلى معاوية فتكاثر عليه أصحاب معاوية فقتل.
الإصابة 4: 39 برقم 4550 و الأعلام 4: 73.

2- البيت الأول فى ديوان حاتم الطائى ص 256 ق 68 ب 20 و البيت الثانى من فوائت الديوان.

3- عبد الله بن عامر 4- 59 ه- 625- 679 م: عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموى، أبو عبد الرحمن، أمير فاتح، ولد بمكة، و ولّى البصرة فى أيام عثمان سنة 29 ه فوجه جيشا إلى سجستان فافتتحها صلحا و افتتح بلادا كثيرة حتى كابل. شهد وقعة الجمل مع عائشة و لم يحضر صفّين. ولّاه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجتماع الناس على خلافته ثم صرفه عنها. فأقام بالمدينة و مات بمكة بعرفات. كان شجاعا سخيا وصولا لقومه رحيما محبا للعمران. قال الإمام على: ابن عامر سيد فتيان قريش. الإصابة 5: 61 برقم 6175 و الأعلام 4: 94.

4- الخبر فى العقد الفريد: 3: 390 و نسب إليه(إلى على) صاحب العقد فى الموضع نفسه أنه قال:- -
لهمدان أخلاق و دين يزينهمو أنس إذا لاقوا و حسن كلام

فلو كنت بوابا على باب جنّةلقلت لهمدان ادخلوا بسلام

و سأل عمر رضى الله عنه عمرو بن معد يكرب فقال: يا أبا ثور أىّ العرب أبغض إليک أن تلقاه(1)؟
قال: أمّا من قومى:
فوداعة من همدان
و عطيف من مراد،
و بلحارث من مذحج
و أمّا من معدّ:
فعدىّ من فزارة
و مرّة من ذبيان
و كلاب من عامر
و منان من بكر بن وائل
و شنّ من عبد القيس
و الأرقم من تغلب
ثمّ لو جلت على مياه معدّ ما خفت هيج أحد ما لم يلقنى حرّاها أو عبداها.
قال: أمّا حرّاها فعامر بن الطّفيل و عتيبة بن الحارث (م 84) بن شهاب و أمّا عبداها فعنترة الفوارس و سليک المقانب.

1- أسماء القبائل التى يذكرها ابن عبد ربه فى العقد 3: 312 و ما بعدها فى« كتاب اليتيمة فى النسب و فضائل العرب».

و سئل المهلّب: من أشجع الناس و أفرسهم؟
فقال: ثلاثة:
ابن الكلبية(1)
و أحمر قريش(2)
و راكب البغلة(3)
فابن الكلبية مصعب بن الزبير أفرد فى سبعة و أعطى الأمان و ولاية العراقين فأبى و مات كريما.
و أحمر قريش عمر بن عبيد الله بن معمر ما لقى خيلا قطّ إلا كان فى سرعانها.
و راكب البغلة عبّاد بن الحصين ما كنّا فى كربة قطّ إلّا فرّجها.

1- ابن الكلبية- مصعب 26- 71 ه- 647- 690 م: مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى القرشى، أبو عبد الله، أحد الولاة الأبطال فى صدر الإسلام، كان عضد أخيه عبد الله فى توطيد ملكه بالحجاز، ثم أرسله أخوه إلى البصرة سنة 67 ه فقصدها و ضبط أمورها و قتل المختار الثقفىّ، ثم عزله عبد الله عنها مدة سنة و أعاده فى أواخر سنة 68 ه و أضاف إليه الكوفة و أحسن سياستها. وجه إليه عبد الملک بجيوشه فهزمها مصعب، ثم خرج له بنفسه و عرض عليه عرضا سخيا على أن يتراجع عن القتال فأبى مصعب، و قتل فى معركة دير الجاثليق، قتله زائدة بن قيس السعدى و بمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى بنى أمية بالشام. الأعلام 7: 247.

2- أحمر قريش عمر بن عبيد الله 22- 82 ه- 642- 701 م: عمر بن عبيد الله بن معمر ابن عثمان التيمى القرشى، سيد بنى تيم فى عصره، من كبار القادة الشجعان الأجواد. كان من رجال مصعب بن الزبير أيام ولايته بالعراق. و ولى له بلاد فارس و حرب الأزارقة سنة 68 ه و كان قبل ذلک على البصرة، أرسله عبد الملک بن مروان لقتال أبى فديک الخارجى سنة 73 ه فقتل من أصحابه نحو ستة آلاف و أسر ثمانمائة و عاد بعد ذلک إلى عبد الملک فكان من جلسائه. عن الأعلام 5: 54.

3- عباد بن الحصين: سبقت ترجمته.

فقال له الفرزدق(1) و كان حاضرا: و يحک فأين أنت عن عبد الله بن خازم السّلمى و عبد الله بن الزبير؟
فقال: و يحک إنّما ذكرنا الإنس و أمّا الجنّ فلم نذكرهم.
و عبد الله بن الزبير من الفرسان الشجعان، كان فيمن انتدب لغزو إفريقية (س 118) مع عبد الله بن أبى سرح و هو الذى قتل جرجير ملک إفريقية. و كان جرجير فى حين القتال قد أبرز ابنته لجيوشه و جعلها على ديدبان خشب فى عدّة من خدمها فى الحلى و الحلل سافرة عن وجهها، و حلف لهم بالمسيح و النصرانية: لا قتل عبد الله بن أبى سرح رجل منكم إلّا زوّجته إيّاها و أنزلته فى المنزلة التى لا يطمع فيها أحد غيره. فحرّض بذلک الروم تحريضا شديدا. و إنّ عبد الله بن أبى سرح لمّا انتهى إليه ما فعل جرجير نادى فى أهل عسكره:
و الله لا قتل أحد منكم جرجيرا إلا نفّلته ابنته و ما معها. ثمّ زحف بمن معه من المسلمين فاستحرّ القتال و اضطرمت الحرب، و كان المسلمون عشرين ألفا، و جرجير فى مئة و عشرين ألفا، فضاق بالمسلمين أمرهم و اختلفوا على ابن أبى سرح فى الرأى، فدخل فسطاطه يخلو بنفسه و يفكّر فى أمره. قال عبد الله بن الزبير: فرأيت عورة من جرجير و الناس على مصافّهم و هو خلف أصحابه منقطعا منهم على برذون أشهب، و معه جاريتان له تظلّلانه من الشمس بريش الطواويس، فأتيت فسطاط ابن أبى

1- الفرزدق: ت 113 ه- 732 م: همام بن غالب بن صعصعة التميمى الدارمى، أبو فراس، الشهير بالفرزدق، شاعر من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر فى اللغة، و هو صاحب الأخبار مع جرير و الأخطل، كان شريفا فى قومه، عزيز الجانب، و كان أبوه من الأجواد الأشراف و كذلک جدّه. عن الأعلام 8: 93، و للدكتور شاكر الفحام كتاب كبير عن الفرزدق صحح فيه الكثير مما قيل فى أخباره. طبع فى دار الفكر بدمشق.

سرح فقال: ما الخبر؟ فقصصت عليه القصة و قلت له: أخرج و اندب الناس لأنى أخشى الفوت.
فخرج و قال: أيّها الناس انتدبوا مع ابن الزّبير إلى عدوّكم.
قال: فتسرّع إلىّ جماعة اخترت منهم ثلاثين فارسا ثم قلت لهم: إنى حامل فاصرفوا عن ظهرى من أرادنى فإنّى سأكفيكم ما أمامى (س 119) إن شاء الله تعالى.
قال: فحملت فى الوجه الذى هو فيه و ذبّوا عنى و اتّبعونى حتّى خرقت صفوفهم إلى أرض خالية فضاء بينى و بينه، فو الله ما حسبنى إلا رسولا حتّى رأى ما رأى من السلاح فثنى برذونه هاربا، فأدركته فطعنته فسقط، فرميت بنفسى عليه فقطعت رأسه و رفعته على رمحى، و جال أصحابه جولة، و حمل المسلمون فى ناحيتى و كبّروا و قتلوهم كيف شاؤوا.
و لمّا تنازع المسلمون فى قتله و ابنته تنظر فيهم قالت: ما للعرب يتنازعون؟ فقيل لها: فى قتل أبيک، فبكت و قالت: قد رأيت الذى قتل أبى.
فقال عبد الله بن أبى سرح لعبد الله بن الزبير: لم كتمتنا يا أبا بكر قتلک إياه؟ فقال: قد علم (م 85) الذى قتلته له. فنفّله ابن أبى سرح ابنة الملک جرجير.
فيقال إنّه اتّخذها أمّ ولد، و كان ابن الزبير فى ذلک الوقت ابن بضع و عشرين سنة. و قتل- رحمه الله- فى الكعبة فى أيام عبد الملک بن مروان، حصره الحجّاج سبعة أشهر و قتله بعد قتال شديد فى خبر طويل لا يسع شرحه هنا.
و رجال الأنصار أشجع الناس و أفرسهم، قال عبد الله بن عباس:

ما سلّت السيوف، و لا زحفت الزّحوف، و لا أقيمت الصفوف حتى أسلم أبناء قيلة يعنى الأوس و الخزرج و هم الأنصار(1).
قال رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- للأنصار: إنّكم لتقلّون عند الطّمع و تكثرون عند الفزع.
و قال معاوية يوما: يا معشر الأنصار، ما تطلبون عندى؟ فو الله لقد كنتم قليلا معى كثيرا علىّ. و لقد فللتم حدّى يوم صفّين حتّى رأيت المنايا تتلظّى من أسنّتكم.
فقال له قيس بن سعد(2): أمّا فلّنا حدّك يوم صفّين فأمر لا نعتذر منه.
و كانت بيعة الأنصار لرسول الله- صلّى اللّه عليه و سلم- على الموت.
قال غيلان بن جرير(3): قلت لأنس بن مالك: يا أبا حمزة أرأيت اسم الأنصار؟ اسم سمّاكم الله به أم أنتم كنتم تسمّون به أنفسكم؟

1- الخبر فى العقد 1: 118.

2- قيس بن سعد ت 60 ه- 680 م: قيس بن عبادة بن دليم الأنصارى الخزرجى المدنى، وال صحابى، من دهاة العرب ذوى الرأى و المكيدة فى الحرب و النجدة و أحد الأجواد المشهورين، كان شريف قومه غير مدافع، و من بيت سيادتهم، و كان يحمل راية الأنصار مع النبىّ و يلى أموره. و فى البخارىّ أنه كان بمنزلة الشرطىّ من الأمير. صحب عليا فى خلافته فاستعمله على مصر سنة 36- 37 ه و عزل بمحمد بن أبى بكر و عاد إلى علىّ فكان على مقدمته يوم صفين ثم كان مع الحسن بن على حتّى صالح معاوية، فرجع إلى المدينة و توفى بها فى آخر خلافة معاوية، و قيل: هرب من معاوية سنة 58 ه و سكن تفليس فمات فيها و لم يكن فى وجهه شعر و كان من أطول الناس و أجملهم. الأعلام 5: 206.

3- غيلان بن جرير أبو زيد المعولى الأزدى البصرى العتكى الطيبى توفى سنة 129 ه- تهذيب التهذيب 8: 253 عن موسوعة رجال الكتب التسعة 3: 231 برقم 7215.

قال: بل اسم سّمانا الله به(1). قال حسّان بن ثابت الأنصارى(2):
سّماهم الله أنصارا بنصرهمدين الهدى و عوان الحرب تستعر
و سارعوا فى سبيل الله و اعتزموااللّئابات و ما خاموا و ما ضجروا
و النّاس إلب علينا فيک ليس لناإلّا السيوف و أطراف القنا وزر
نجالد الناس لا نبقى على أحدو لا نضيّع ما توحى به السّور
و ما يهزّ جناة الحرب نادیناو نحن حين تلظّى نارها سعر
كما رددنا ببدر دون ما طلبواأهل النفاق و فينا ينزل الظّفر
و نحن جندک يوم النعب من أحدإذ حرّبت بطرا أحزابها مضر
فما ونينا و ما خمنا و ما خبروامنّا عثارا و كلّ الناس قد عثروا(3)

و قال كعب بن زهير(4):

1- فى جمع الفوائد 2: 651: غيلان بن جرير: قلت لأنس: أ رأيتم اسم الأنصار؟ أكنتم تسمّون به أم سماكم الله تعالى؟ قال: بل سمّانا الله. و كنا ندخل على أنس يحدثنا بمناقب الأنصار و مشاهدهم.

2- حسان بن ثابت ت 54 ه- 674 م: حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجى الأنصارى، أبو الوليد، الصحابى شاعر النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) و أحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية و الإسلام، من سكان المدينة، مدح الغساسنة و ملوک الحيرة قبل الإسلام. كان شاعر الأنصار فى الجاهلية و شاعر النبىّ فى النبوة و شاعر اليمانين فى الإسلام، و كان شديد الهجاء. لم يشهد مع النبىّ(صلّى اللّه عليه و سلم) مشهدا لعلة أصابته. الأعلام 2: 175- الإصابة 2: 8 برقم 1699 و للدكتور إحسان النص كتاب: حسان بن ثابت الأنصارى. ط دمشق.

3- القصيدة فى ديوانه برقم 129 و الأبيات مختارة منها و قدّم لها محقق الديوان بقوله: و قال حسان لبنى سليم يوم قدّمهم رسول الله يوم فتح مكة.

4- كعب بن زهير 26 ه- 645 م: كعب بن زهير بن أبى سلمى المازنى، أبو المضرّب، شاعر عالى الطبقة من أهل نجد له ديوان شعر طبع مرارا، كان ممن اشتهر فى الجاهلية،- - و لما ظهر الإسلام هجا النبىّ(صلّى اللّه عليه و سلم) فهدر دمه، فجاءه كعب مستأمنا و قد أسلم، و أنشده لاميته(بانت

سعاد) فعفا عنه النبى(صلّى اللّه عليه و سلم) و خلع عليه بردته. الإصابة 5: 302 برقم 7405 و الأعلام 5: 226.

من سرّه كرم الحياة فلا يزل‌فى مقنب من صالحى الأنصار (س 121)
ورثوا المكارم كابرا عن كابرإنّ الخيار هم بنو الأخيار
المكرهين السمهرىّ بأذرع‌كسوالف الهندىّ غير قصار
و الناظرين بأعين محمرّة‌كالجمر غير كليلة الأبصار
و البائعين نفوسهم لنبيّهم‌للموت يوم تعانق و كرار (م 86)
يتطهّرون يرونه نسكا لهم‌بدماء من علقوا من الكفّار
دربوا كما دربت ببطن خفيّة‌غلب الرقاب من الأسود ضوار
و إذا حللت ليمنعوک إليهم‌أصبحت عند معاقل الأغيار
لو يعلم الأقوام علمى كلّه‌فيهم لصدّقنى الذين أمارى(1)

و لو تعرضنا لنأتى بما قيل فى تقريظ الأنصار و مدحهم و افتخاراتهم و التعريف بفرسانهم و أبطالهم واحدا واحدا لخرمنا نظام التأليف و خرجنا عن مقصود التصنيف لا تّساع مجال القول فى ذلک.

1- أبيات مختارة من أبيات أوردها ابن هشام فى السيرة النبوية 2: 944 و انظر القصيدة كاملة فى ديوان كعب- ط بيروت 1987 ص 19- 23.

ص: 342

الباب العشرون فى الأمور المحصنة من التغرير الداعية إلى النّصر فى الحرب

اشارة

ص: 345
فى الأمور المحصنة من التغرير الداعية إلى النّصر فى الحرب

[نصائح و توجيهات فى صناعة الحرب]

اعلم أنّ عماد كلّ صناعة، و ثبات كلّ جماعة، القيّم العالم بالسياسة، المتحمّل للرياسة. فيجب أن يكون صاحب الجيش مطبوعا فى صناعته، شجاعا فى إقدامه، جبانا فى تحرّزه، صادقا فى نيّته، مستيقظا فى حركته، ذكيا فى بديهته، رؤوفا فى رعيته، فإذا اجتمع (س 122) لمقدّم الجيش ما ذكرناه تولّد فى فكره من أنواع الحيل و وجوه المكايد فى حال يتصرّف فيها من محاربة عدوّه ما يكون مؤدّيا للظّفر.
فأول هذه الصفات السياسية: لين فى غير ضعف، و شدة فى غير عنف، و حسن السياسة يولّد الرياسة، قدّم الخوف على الرجاء، احذر العجل تأمن الزلل، تفحّم الحرب يشجّع القلب، من تهيّب عدوّه جهّز إلى نفسه جيشا، الهزيمة تحلّ العزيمة. الحيل أبلغ من العمل. الرأى السديد أجرأ من الأيّد الشديد. أظهر خلاف عزمک مورّيا عنه. احسم الأراجيف من جواسيس عدوّک. شدّة الصبر فاتحة النصر. توقّ مشاورة الجاهل. لا تشاور من تميل به رغبته أو رهبته.
خلّ العدوّ حتّى يزحف إليک. ارتصد الفرص حتّى يقال أبطأ. التأخّر بعد التمكّن هزيمة. التسرّع فى غير قوّة يورث النكث. يسير النكث يكسر معظم العسكر. دار القلوب بما يقوّيها. قدّر زحفک و زحف العدوّ إليک. قدّم

أهل الظنّة أمامک. احذر العدوّ الباطن. احذر الإخلال بالمراکز. لا تجرّئک ورطة سلمت منها علی معاودة مثلها. احذر کید الجواسیس. أطع الکبیر یطعک الصغیر. احذر کید المستأمنة إلیک. اعمل علی أنّ کلّ من فی عسکرک علیک. خالف الإعجاب تجد الصواب. الطف فی الأمر قبل إرهاق المکر.
قدّم أهل الشجاعة أمامک. لا تنس وضع الکمین عند اللقاء. (س 123) احذر کمین عدوّک، فی هذه الحال لا ترض (م 87) أن تأخذ من عدوّک مثل الذی تعطیه.
قوة النفس فی الحرب أبلغ من قوّة البدن. کن فی عسکرک مجهولا عند لقاء العدوّ. لا تستضعف العدوّ فتفتر. لا تستهزئ بأولیائک فتهون علی أعدائک. إن بخلت بالمال علی إخوانک جدت به علی أعدائک.
لا تدع المقدّمة المنکوبة تدخل العسکر إلّا فی ستر. لا تحارب بمن لا یخافک. لا تحارب بمن لا یرجوک. لا تحارب بمن لا یحتاج إلیک. لا تبلغ فی آثار المنهزمین. احذر التعریض للنهّب إلا بعد الإبلاغ فی النکایة. تفقّد تعبئتک عند المواقعة. لا تهمل التعبئة عند المناوشة فإنّ فساد التعبئة من أعظم الخلل. بذل الأمان عند دفعک علی العدوّ فرصة. احذر اختلاف أصحابک. استمل رؤساء عدوّک. لا تجعل النهر وراءک عند الزحف. إذا حاربت عدوّک فعدّه کفؤا. بالغ فی الهزیمة ثم تعرّض للغنیمة. من خفر ضمانه بطل أمانه. أخّر الحرب ما استطعت فإنّ النّفقة فیها من النفوس فإن لم یکن منها بدّ فاجعلها آخر النهار. الأناة محمودة إلا عند إمکان الفرصة. ربّ مکیدة أبلغ من نجدة. ربّ کلمة هزمت عسکرا. النصر مع

ص: 347
التدبیر. التدبیر قبل التدمیر. التقدیر قبل التغریر. الحذر أنصح ذوّادک و أمتع أجنادک مع معونة الله تعالی لک. التفکّر فی العاقبة عند التلبّس بالحرب أمارة الجزع. الجهل فی الحرب أحزم من العقل. الفکرة تصلح الرأی قبل التحام الحرب و تفسده بعده.

المراجع

ص: 350

مراجع التحقيق منسوقة على الحروف- الإحاطة فى أخبار غرناطة- لسان الدين بن الخطيب. تح محمد عبد الله عنان/ الخانجى- القاهرة 1977 م.
- الأحكام السلطانية- الماوردى- دار الكتب العلمية- بيروت 1982 م.
- الأذكار- النووى. البابى الحلبى- القاهرة 1955 م.
- أسد الغابة- ابن الأثير- ط- كتاب الشعب- القاهرة.
- الإصابة- ابن حجر- تح البجاوى- مط- نهضة مصر 1971- 1972 م.
- إعراب الحديث النبوى- العكبرى- تح عبد الإله نبهان- دار الفكر- دمشق 1989 م.
- الأعلام- خير الدين الزركلى- دار العلم للملايين- بيروت 1980 م.
- الأغانى- أبو الفرج الأصفهانى- دار الكتب المصرية و الهيئة العامة، القاهرة.
- الأمالى- أبو على القالى- دار الجيل- بيروت 1987 م.
- أمالى المرزوقى- المرزوقى أحمد بن محمد- تح د. يحيى وهيب الجبورى- دار الغرب الإسلامى- بيروت 1995 م.

- البلدان و فتوحها و أحكامها- البلاذرى- تح د. سهيل زكار- دار الفكر- بيروت 1992 م.
- تاريخ الرسل و الملوک- ابن جرير الطبرى- تح محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف بمصر.
- تذكرة الموضوعات- محمد طاهر بن على الهندى- إدارة الطباعة المنيرية بمصر- 1343 ه.
- تفسير القرطبى «الجامع لأحكام القرآن» القرطبى محمد بن أحمد- دار الكتب المصرية 1966 م.
- كتاب الجهاد- ابن أبى عاصم- تح مساعد بن سليمان الراشد الحميد- مكتبة العلوم و الحكم- المدينة المنورة 1989 م.
- جامع الأحاديث- السيوطى- جمع و ترتيب عباس صقر و أحمد عبد الجواد- دار الفكر- بيروت 1994 م.
- جواهر البحار فى الأحاديث الصحيحة القصار- جمع و شرح عبد الله بن عبد القادر التاليدى- دار البشائر الإسلامية- بيروت 1998 م.
- حلية الفرسان و شعار الشجعان- ابن هذيل- مركز زايد للتراث و التاريخ- العين 2002 م
- الخيل- أبو عبيدة- تح محمد عبد القادر أحمد. مط النهضة العربية- القاهرة 1986

- ديوان امرىء القيس و ملحقاته- بشرح أبى سعيد السكرى. تح د.
أنور عليان أبو سويلم و د. محمد على الشوابكة. مركز زايد للتراث و التاريخ. العين 2000 م.
- ديوان أبى تمام- تقديم و شرح د. محيى الدين صبحى- دار صادر بيروت 1997 م.
- ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائى و أخباره- دراسة و تحقيق د. عادل سليمان جمال. الخانجى- القاهرة 1990 م.
- ديوان حسان بن ثابت- تح د. وليد عرفات. دار صادر- بيروت 1974 م.
- ديوان الحماسة بشرح المرزوقى- تح أحمد أمين و عبد السلام هارون. مط لجنة التأليف و الترجمة و النشر بالقاهرة 1967 م.
- ديوان أبى فراس الحمدانى حسب الرواية المغربية- إعداد د.
محمد بن شريفة. صدر عن مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعرى. الكويت 2000 م.
- ديوان أبى فراس الحمدانى بشرح ابن خالويه حسب المخطوطة التونسية- إعداد د. محمد بن شريفة. صدر عن مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعرى. الكويت 2000 م.
- ديوان لقيط بن يعمر- تح د. محمد التونجى- دار صادر. بيروت 1998 م.

- ديوان المتنبى- العرف الطيب بشرح ديوان أبى الطيب- ناصيف اليازجى- دار صادر. بيروت.
- ديوان ابن المعتز- دار صادر- بيروت.
- ديوان النابغة الجعدى- تح د. واضح الصمد. دار صادر. بيروت 1998 م.
- سراج الملوک- الطرطوشى. تح محمد فتحى أبو بكر. الدار المصرية اللبنانية 1994 م.
- سعيد بن جودى السعدى الألبيرى الأندلسى (سيرته و مجموع شعره)- جمع و تحقيق د. محمد رضوان الداية.
مركز جمعة الماجد بدبّى و دار الفكر بدمشق 1997 م.
- السيرة النبوية- ابن هشام. بشرح الوزير المغربى. تح د. سهيل زكار. دار الفكر- لبنان 1992 م
- شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن بشرح السرخسى- ج 1 و 2 و 3 بتحقيق د. صلاح الدين المنجد، ج 4 و 5 بتحقيق عبد العزيز أحمد. معهد المخطوطات العربية بالقاهرة:
1971 م.
- شرح صحيح مسلم المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم- للقاضى عياض تح. د. يحيى إسماعيل. دار الوفاء- المنصورة- 1998 م.
- شعر الخوارج- جمع و تقديم د. إحسان عباس. دار الثقافة- بيروت 1974 م.

- شعر ابن عبدربه الأندلسى- صنعة د. محمد أديب عبد الواحد جمران- مكتبة العبيكان- الرياض 2000 م.
- شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدى- جمعه و حققه مطاع طرابيشى- مجمع اللغة العربية بدمشق 1985 م.
- شعراء إسلاميون- د. نورى حمودى القيسى- عالم الكتب. بيروت 1984 م.
- الطبقات الكبرى- ابن سعد. تح د. إحسان عباس. دار صادر.
بيروت.
- عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى- إعداد هشام سمير بخارى. دار إحياء التراث العربى- بيروت.
- العقد الفريد- ابن عبدربه- تح أحمد أمين و أحمد الزين و إبراهيم الأبيارى دار الكتاب العربى- بيروت 1982 م.
- عين الأدب و السياسة- ابن هذيل الأندلسى- دار الكتب العلمية- بيروت 1985 م.
- عيون الأخبار- ابن قتيبة- دار الكتب المصرية 1925 م.
- الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة- الشوكانى تح عبد الرحمن بن يحيى و عبد الوهاب عبد اللطيف. مطبعة السنة المحمدية- القاهرة.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير- المناوى- تح حمدى الدمرداش محمد، مكتبة نزار مصطفى الباز. مكتبة الرياض 1998 م.

- القاموس المحيط- الفيروزآبادى. ط بولاق.
- الكامل- للمبرد ط. بيروت. و طبعة مؤسسة الرسالة بتحقيق د. محمد أحمد الدالى. بيروت.
- كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم- التهانوى. بإشراف د. رفيق عجم مكتبة لبنان- ناشرون. بيروت 1996 م.
- اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة- السيوطى. دار المعرفة- بيروت 1981 م.
- لزوم ما لا يلزم- أبو العلاء المعرى- دار صادر- بيروت.
- لسان العرب ابن منظور- طبعة دار صادر- بيروت.
- مجمع الأمثال- الميدانى- تح محمد أبو الفضل إبراهيم- البابى الحلبى- القاهرة 1977.
- مسند أحمد- شرحه وضع فهارسه حمزة أحمد الزين. دار الحديث- القاهرة 1995 م.
- المصنوع فى معرفة الحديث الموضوع- على القارى الهروى المالكى. تح عبد الفتاح أبو غدّة- الرياض- القاهرة 1984 م.
- معجم البلدان- ياقوت- دار صادر- بيروت.
- معجم الشعراء الجاهليين- د. عزيزة فوال بابتى- دار صادر- بيروت 1998 م.

- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى- أ. ى و نسنک و ى. ب منسنغ. مط بريل 1969 م ليدن- هولاندة.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن- أحمد فؤاد عبد الباقى- ط دار الشعب- معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع. عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى تح مصطفى السقا. عالم الكتب- بيروت.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع- عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى- تح مصطفى السقا. عالم الكتب- بيروت.
- موسوعة رجال الكتب التسعة- د. عبد الغفار سليمان البندارى و سيد كسروى حسن. دار الكتب العلمية. بيروت 1993 م.
- الموسوعة العربية العالمية- ط 2. الرياض 1999 م.
- الموضوعات- ابن الجوزى. تح عبد الرحمن أحمد محمد عثمان. المكتبة السلفية المدينة 1966 م.
- نسب قريش- المصعب الزبيرى. تح ليفى بروفنسال. دار المعارف بمصر 1982 م.
- نقد الشعر- قدامة بن جعفر. تح كمال مصطفى- الخانجى بالقاهرة 1978 م.
- نفح الطيب- المقّرى. تح د. إحسان عباس. دار صادر- بيروت.
- الوافى بالوفيات- الصلاح الصفدى. ج 11- إعداد د. شكرى فيصل النشرات الإسلامية. فرانز شتاينر شتوتغارت 1991 م.

ص: 358
- الوسيط- مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1993 م.
- يتيمة الدهر- أبو منصور الثعالبى. تح محمد محيى الدين عبد الحميد- التجارية الكبرى القاهرة. 1956 م.

الفهارس العامة

اشارة

1. فهرس الآيات القرآنية الكريمة
2. فهرس الأحاديث الشريفة
3. فهرس الأثر
4. فهرس الأمثال
5. فهرس الشعر
6. فهرس الأعلام
7. فهرس الأمم و الجماعات و القبائل
8. فهرس الأماكن
9. فهرس الأيام و الغزوات و الحروب
10. فهرس الكتب المذكورة فى تحفة الأنفس
11. فهرس المصطلحات و الألفاظ الخاصة
12. فهرس أبواب الكتاب

ص: 360

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية/ اسم السورة/ رقم السورة/ رقم الآية/ الصفحة
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا/ البقرة/ 2/ 218/ 64
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ/ البقرة/ 2/ 126/ 85
وَ لَمَّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ/ البقرة/ 2/ 250/ 211
يَسْئَلُونَکَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ، قُلْ/ البقرة/ 2/ 217/ 181
وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ/ البقرة/ 2/ 195/ 222، 223
وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِی سَبِيلِ اللَّهِ/ آل عمران/ 3/ 169، 172/ 66
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا/ آل عمران/ 3/ 200/ 75، 229، 238
فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَ لَوْ كُنْتَ/ آل عمران/ 3/ 159/ 115، 116
وَ شاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ/ آل عمران/ 3/ 159/ 120
وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها، وَ مَنْ يُرِدْ/ آل عمران/ 3/ 145/ 122
وَ لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ/ آل عمران/ 3/ 139/ 169
كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ، وَ إِنَّما تُوَفَّوْنَ/ آل عمران/ 3/ 185/ 171
وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ/ آل عمران/ 3/ 121/ 200
وَ ما كانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا/ آل عمران/ 3/ 147، 148/ 211
يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ/ آل عمران/ 3/ 125/ 215
إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ/ آل عمران/ 3/ 155/ 300
فَلْيُقاتِلْ فِی سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَياةَ/ النساء/ 4/ 74/ 64
وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ/ النساء/ 4/ 95/ 64
لا يَسْتَوِی الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِی/ النساء/ 4/ 95/ 86
أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ/ النساء/ 4/ 59/ 129
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ/ المائدة/ 5/ 54/ 64، 65
فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّکَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ/ المائدة/ 5/ 24/ 342

ص: 362
وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ/ الأنفال/ 8/ 60/ 88، 290
إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا/ الأنفال/ 8/ 45/ 88، 162، 229، 289
إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ/ الأنفال/ 8/ 15/ 88
يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتالِ/ الأنفال/ 8/ 65/ 88، 161، 218
تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ/ الأنفال/ 8/ 67/ 96
وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ/ الأنفال/ 8/ 42/ 121
وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ/ الأنفال/ 8/ 46/ 123، 133، 162، 229
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا/ الأنفال/ 8/ 15، 16/ 217
الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً/ الأنفال/ 8/ 66/ 218
ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لا نَصَبٌ/ التوبة/ 9/ 120، 121/ 65
انْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالًا وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ/ التوبة/ 9/ 41/ 85
قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لْيَجِدُوا/ التوبة/ 9/ 123/ 85
وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً، فَلَوْ لا/ التوبة/ 9/ 122/ 86
إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ/ التوبة/ 9/ 111/ 65، 240
وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ/ التوبة/ 9/ 25/ 303
ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ/ النحل/ 16/ 125/ 182
فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا/ الإسراء/ 17/ 5/ 149
فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا/ الكهف/ 18/ 110/ 95
إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ/ الكهف/ 18/ 20/ 169
وَ جاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ/ الحج/ 22/ 78/ 63
وَ الَّذِينَ هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا/ الحج/ 22/ 58، 59/ 64
هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ/ الحج/ 22/ 19/ 243
وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا/ العنكبوت/ 29/ 69/ 64
قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ/ الأحزاب/ 33/ 16/ 163، 164
إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ/ الأحزاب/ 33/ 35/ 237

ص: 363
سُبْحانَ الَّذِی سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما کُنَّا لَهُ/ الزخرف/ 43/ 13/ 100
وَ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَلَنْ یُضِلَ/ محمد/ 47/ 10، 13/ 65
فَلا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَی السَّلْمِ وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ/ محمد/ 47/ 4، 5، 6/ 89
إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ یَنْصُرْکُمْ وَ یُثَبِّتْ أَقْدامَکُمْ/ محمد/ 47/ 35/ 167، 168، 300
أَشِدَّاءُ عَلَی الْکُفَّارِ رُحَماءُ بَیْنَهُمْ/ الفتح/ 48/ 7/ 170
ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِینَةٍ أَوْ تَرَکْتُمُوها قائِمَةً عَلی/ الحشر/ 59/ 29/ 187
یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّی/ الممتحنة/ 60/ 5/ 119
وَ لَوْ أَراکَهُمْ کَثِیراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ فِی الْأَمْرِ/ الأنفال/ 8/ 1- 4/ 121
یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلی تِجارَةٍ/ الصف/ 61/ 42/ 63
إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الَّذِینَ یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِهِ صَفًّا/ الصف/ 61/ 4/ 65، 163، 200، 220
لا نُرِیدُ مِنْکُمْ جَزاءً وَ لا شُکُوراً/ الإنسان/ 76/ 9/ 98
وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ/ البیّنة/ 98/ 5/ 87، 88

ص: 364

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

أول الحديث الصفحة
أ أذن لک سيدک؟ قال: لا قال: لو قتلت لدخلت النار 186
ابغونى فى الضعفاء فإنما ترزقون بهم و تنصرون 115
أخاف أن يقال: محمد يقتل أصحابه 122
إذا أكثبوكم فارموهم، و لا تسلّوا السيوف حتى يغشوكم 206
إذا لقيتم العدو فشعاركم" حم. لا ينصرون" 117
ارموا و اركبوا 313
أعطى الرسول صلّى اللّه عليه و سلم الزبير ساعدى ديباج ليقاتل بهما 214
أفضل رباط على وجه الأرض جزيرة الأندلس، شرقيها 81
أقطف القوم دابة أميرهم 114
اللهم اكسه جمالا 230
اللهم إن تهلک هذه العصابة لا تعبد فى الأرض، فلما 198
اللهم أنت عضدى و نصيرى بک أحاول و بک أصاول 200
اللهم يسر لنا فى سفرنا هذا التقوى، و من العمل ما ترضى 100
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا 85
إن بيّتم فليكن شعاركم:" حم لا ينصرون" 198
أنا أغنى الشركاء عن الشرک، من عمل عملا فأشرک معى 98
أنا أفرس بالخيل منک 313
أنا أقتلک إن شاء الله 260
إن الدين متين فأوغلوا فيه برفق فإن المنبت لا أرضا قطع و لا 113
إن الله لا يضحک فى يوم الحساب إلا للغزاة فى سبيله، و الكريم 72
إن رجلا توفى على عهد رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم فقال بعضهم: يا رسول 78
إن فى الجنة مئة درجة أعدّها الله للمجاهدين فى سبيله 69

ص: 365
إن مثل الذين يغزون من أمتى و يأخذون الجعل و ينفقونه على 315
إن نبيا ممن كان قبلكم: ثم قال كلمة معناها أعجبته كثرة أمته 199
إنا لا نستعين بمشرک 184
إنكم لتقلّون عند الطمع و تكثرون عند الفزع 351
إنها لمشية يبغضها الله تعالى إلا فى هذا الموطن 248
إنما الأعمال بالنيات و لكل امرئ ما نوى 88
إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل، فإذا كان يوم 98
انهوا جيوشكم عن الفساد فإنه ما أفسد جيش قط إلا سلط 123
أوصانى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم بثلاث: أحدها أن أسمع و أطيع و لو 131
أى الأعمال أفضل؟ فقال: إيمان بالله و جهاد فى سبيله 66
أى الناس أفضل؟ فقال: مؤمن مجاهد فى سبيل الله بماله 66
بعثت لأتمم مكارم الأخلاق 257
بعثت مرحمة، و مرغمة، و لم أبعث تاجرا و لا زارعا و إن شر 124
بل هو الحرب و الرأى و المكيدة 197
بهذا أنزلت الحرب، من قاتل فليقاتل قتال عاصم 216
تسوّموا فإن الملائكة قد تسوّمت 214
تقتلک الفئة الباغية 345
تكفل الله تعالى لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته إلا 70
ثلاثة يحبهم الله حبا شديدا .. و رجل فى فئة فى سبيل الله 221، 222
ثنتان لا تردّان: الدعاء عند الأذان، و الدعاء عند البأس 211
جعل رزقى تحت ظل رمحى، و جعل الصغار و الذلة على من 314
الجنة تحت ظلال السيوف 315
الجهاد ماض مذ بعث الله نبيه إلى آخر عصابة تقاتل الدجال 89
الحرب خدعة 306
خلّ بين الرجل و بين جرابه يذهب به إلى أصحابه 191

ص: 366
خير الأصحاب أربعة، و خير الطلائع أربعون، و خير السرايا 303
خير دينكم أيسره 116
رباط ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقوم ليلها لا يفتر 77
رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا و ما فيها 77
رباط يوم و ليلة خير من صيام شهر و قيامه، و إن مات جزى 77
روى أن عينا من المشركين جاء إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم فلما طعم 120
سيروا بسير أضعفكم 113
سيليكم بعدى ولاة، البر ببره و الفاجر بفجوره فاسمعوا و أطيعوا 130
سينقطع الجهاد و الرباط إلا بجزيرة يقال لها الأندلس بالمغرب 81
الشجاعة و الجبن غرائز يضعها الله فيمن يشاء من عباده 286
الشهيد لا يجد ألم الموت إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة 72
الشهيد يشفع فى سبعين من جيرانه حتى إن الجيران 71
صافحوا الغزاة فى سبيل الله، فإنه من صافح غازيا فى سبيل 108
صوت أبي طلحة فى الجيش خير من فئة 232
الضعيف أمير الرفقة 114
طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة 313
ظاهر النبى صلّى اللّه عليه و سلم بين درعين يوم أحد 248
على المرء المسلم الطاعة فيما أحب و كره إلا أن يؤمر بمعصية 130
عينان لا تمسهما النار، عين بكت فى جوف الليل 67
قام رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم يوما من مسجده فأشار بيده مسلّما تلقاء 81، 82
قوموا إلى جنة عرضها السماوات و الأرض 161، 168
كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم أشجع الناس، و كان يتعوذ بالله من الجبن 257
كان رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم يعرض غلمان الأنصار فى كل عام فمرّ به 185
كنت أنبل على عمومتى إذ أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم 258
لا تحل الجنة لعاص 132

لا تعذبوا عباد الله بعذاب الله 187
لا تمنّوا لقاء العدو و اسألوا الله العافية، فإذا ألفيتموهم فاثبتوا 212
لا يتقدم أحدكم إلى شىء حتى أكون أنا دونه 161
لا يجتمع الإيمان و الشح فى جوف رجل مسلم، و لا يجتمع غبار 68
لا يجتمع كافر و قاتله فى النار أبدا 68
لا يزال الناس بخير ما استقام لهم هداتهم و ولاتهم 130
لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا و ما فيها 67
لكل نبىّ حوارىّ و حواريّ الزبير 343
للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له فى أول دفعة و يرى 71
لم يكن صلّى اللّه عليه و سلم يتلثم من الغبار فى سبيل الله 68
لموقف ساعة فى سبيل الله أفضل من شهود ليلة القدر عند 69
لن تغلب اثنا عشر ألفا من قلة 224
لن يكلم أحد فى سبيل الله و الله أعلم بمن يكلم فى سبيله إلا 70
لو أن هذه الأمة انتهت عند ما أمرت لأكلوا غير زارعين لأن 313
لو قمت الليل و صمت النهار ما بلغت نوم المجاهد أو ما بلغت 66
لو لا أن أشق على أمتى لأحببت أن لا أتخلف خلف سرية 86
ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا و له ما فى 71
ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار 67
ما بال قوم يفعلون كذا (ثم ينهى عموما أو يأمر عموما) 122
ما بعد الصلاة المكتوبة أفضل عند الله من الجهاد 66
ما جميع أعمال البر فى الجهاد إلا كتفلة تفلها أحدكم فى بحر 70
ماذا عملت فيها علمت؟ فيقول: أى رب، قاتلت فيک حتى 97
ما من عبد يناول أخاه شيئا فينتفع به فى غزو إلا كان له 105
مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات 67، 68
من أظل رأس غاز أظله الله فى ظله يوم القيامة، و من جهز 105، 106

ص: 368
من أعطى مجاهدا رمحا أو ترسا أعانه بها، يجىء يوم القيامة 108
من ترک کلا أو ضياعا فإلىّ أو علىّ 318
من جاهد فى سبيل الله خالص النفس طيب المال کتب الله تعالى 70
من جرح جرحا فى سبيل الله کان عليه طابع الشهداء 70
من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا 105
من خير معاش الناس لهم رجل ممسک عنان فرسه فى سبيل الله 313
من رابط فواق ناقة حرّمه الله على النار 77
من رابط يوما فى شهر رمضان فى سبيل الله کان أفضل من عبادة 78
من سلّم على مجاهد سلّمت الحور العين عليه، و من أعان 108
من طلب الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء و إن مات على 71، 96
من قاتل فى سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد، فإن و قصه 72
من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله تعالى و فيه ثلمة 69
من لم يغز و لم يحدّث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق 69
من يأتينى بخبر سعد بن الربيع الأنصارى؟ فقال رجل أنا 231
ندب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم إلى قتل يهودى فقال له رجل: يا رسول 97
نعم عبد الله، و نعم أخو العشيرة، سيف من سيوف الله، سلّه 345
هذا شريد أبى عامر 234
و الذى نفسى بيده إن نفسا لن تموت حتى تستکمل 171، 172
و الذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا 161
و إن أمّر عليكم عبد حبشى فاسمعوا و أطيعوا. 131
يا عبد الله بن عمر، على أى حال قاتلت بعثک الله على تلک 98
يبعث من کل رجلين رجل و الأجر بينهما 87
يد الله على الجماعة ما ائتلفت قلوبهم 220

فهرس الأثر

الأثر الصفحة
ابن عباس: أدنى ما ينقلب به مشيّع الغازى فى سبيل الله سبعون ضعفا أدناها مغفرة تجمع بينه 107
ابن عمر: اغزوا مادام الغزو حلوا خضرا قبل أن يكون مرّا عسرا، ثم يكون ثماما ثم يكون 80
عصمة بن راشد عن أبيه: سمعت قوما من أصحاب رسول الله صلّى اللّه عليه و سلم يفضلون 78
معاذ بن جبل: الطاعم فى سبيل الله كالصائم سرمدا فى غيره، و حسنة من حسنات المرابط 80
ابن عمر: فرض الجهاد لسفک دماء المشركين، و الرباط لحقن دماء المسلمين، و حقن دماء 78
ابن عباس: قاتل أنت على حظک من الآخرة 89
ابن رواحة: لأن أشيّع رفقة غادية فى سبيل الله أو رائحة حتى أبلغ مهم منزلهم و أردّ عليهم 107
أبو هريرة: لحرس ليلة أحب إلى من صيام ألف يوم أصومها و أقوم ليلها فى المسجد الحرام 78
على بن أبى طالب: لصلاة الرجل متقلدا سيفه فى سبيل الله فضل على صلاته بغير تقليد 79
نبى من الأنبياء: لا يغز معى رجل بنى بناء لم يكمله، و لا رجل تزوج بامراة و لم يدخل بها، و لا 124
محمد بن كعب القرضى: من سقى غازيا شربة من ماء سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة 106
على بن أبى طالب: من سقى لغاز فرسا أو حسّه أو جلله أو مسح خده أو قام إليه بمخلاته 106
عمر بن الخطاب: من صحب رفقة غزاة فخفّ لهم فى كف دوابهم و نفض أحلاسهم فله من 107
ابن عباس: من صلى ركعتين تطوعا حين يخرج غازيا فى سبيل الله فهلک فى وجهته تلک 99
شهر بن حوشب: ما من بقعة من الأندلس إلا و لها ثواب لا يدركه العاملون، يبعث الله أهل 82
أبو الدرداء: يا أيها الناس، عمل صالح قبل الغزو، فإنما تقاتلون بأعمالكم. 95

ص: 370

فهرس الأمثال

المثل الصفحة
احرص على الموت توهب لک الحياة 269
الحرب خدعة 306
الشاة المذبوحة لا تألم السلخ 187
مکره أخوک لا بطل 270

فهرس الشعراء

اسم الشاعر/ القافية/ عدد الأبيات/ البحر/ الصفحة
أبو الطيب المتنبى/ الثانى/ 2/ كامل/ 263
أبو الطيب المتنبى/ الشجعانا/ 1/ خفيف/ 275
أبو الطيب المتنبى/ جبانا/ 1/ خفيف/ 281
أبو العشائر الحمدانى/ تنحط/ 2/ كامل/ 329
أبو دجانة سماک بن خرشة/ بحقه/ 6/ رجز/ 248
أبو دجانة سماک بن خرشة/ النخيل/ 4/ رجز/ 248
أبو دلف/ أنسى/ 3/ مجزوء الرجز/ 324
أبو ذر الخشنى/ الجنان/ 3/ وافر/ 316
أبو زهير الحمدانى/ نزار/ 2/ وافر/ 329
أبو سفيان بن حرب/ لغروب/ 3/ طويل/ 225
أبو سعيد المخزومى/ شغلى/ 9/ بسيط/ 322
أبو فراس الحمدانى/ المعالى/ 15/ وافر/ 327
أحمد المعرى/ للشّبم/ 1/ بسيط/ 205
ابن عبد ربه الأندلسى/ ذكور/ 6/ وافر/ 305
ابن علفة/ جانبا/ 2/ طويل/ 268
الجحاف ابن حكيم/ للطام/ 3/ وافر/ 171
الحصين بن الحمام/ اتقدما/ 2/ طويل/ 270
السموأل/ قتيل/ 2/ طويل/ 271
السموأل/ و سلول/ 7/ طويل/ 321
الشداخ/ فشل/ 2/ خفيف/ 284
الضحاک الحرورى/ وقع/ 3/ الرجز/ 285
المبرد/ البواكيا/ 2/ طويل/ 324

ص: 372
المهلب بن أبى صفرة/ نحيبها/ 2/ طويل/ 320
النابغة الجعدى/ و تنفرا/ 5/ طويل/ 325
النمر بن تولب العكلى/ تقدما/ 4/ متقارب/ 274
بشامة بن جزء النهشلى/ المحامونا/ 1/ بسيط/ 271
بعض الشعراء/ الهدى/ 10/ كامل/ 178
بعض الشعراء/ حمل/ 1/ طويل/ 283
بعض الشعراء/ شرّع/ 4/ طويل/ 323
بكر بن النطاح/ يسأل/ 3/ طويل/ 322
جرير بن الخطفى/ ناج/ 1/ كامل/ 283
حاتم الطائى/ شمرا/ 2/ طويل/ 346
حبيب بن أوس/ حليم/ 2/ كامل/ 292
حسان بن ثابت الأنصارى/ تستعر/ 8/ بسيط/ 352
دريد ابن الصمة/ و أضع/ 4/ مجزوء الرجز/ 155
دريد ابن الصمة/ الغد/ 2/ طويل/ 190
زيد بن سهل/ صيد/ 2/ رجز/ 232
زهير بن جناب/ الحريق/ 5/ خفيف/ 319
سعيد بن جودى/ لتهجاع/ 4/ سريع/ 330
شاعر/ ذل/ 1/ بسيط/ 171
شاعر/ البارحة/ 6/ رجز/ 239
شاعر/ السدد/ 8/ رجز/ 239
شاعر/ الأقدم/ 5/ رجز/ 239
شاعره/ معجوب/ 1/ بسيط/ 253
شاعر/ المحراب/ 1/ كامل/ 275
شاعر/ ما هيا/ 1/ طويل/ 277
شاعر/ الأجل/ 2/ متقارب/ 283

ص: 373
شاعر/ عنا/ 1/ رجز/ 295
شاعر/ الصبر/ 1/ طويل/ 309
شاعر/ ذكورا/ 1/ متقارب/ 315
شاعر/ يلتطم/ 1/ بسيط/ 340
شاعر/ الجزر/ 1/ طويل/ 344
شداد بن الأسود (ابن شعوب)/ الشمس/ 2/ رجز/ 225
شداد بن الأسود (ابن شعوب)/ مجيب/ 2/ طويل/ 225
عبد الله بن المعتز/ لم أخم/ 8/ بسيط/ 326
على بن أبى طالب/ و أكرما/ 2/ طويل/ 169
على بن أبى طالب/ الهزاهز/ 4/ مجزوء الكامل/ 247
على بن أبى طالب/ قدر/ 2/ رمل/ 272
على بن أبى طالب/ الباب/ 2/ بسيط/ 346
عمرو بن أبى أمامة/ فوقه/ 4/ رجز/ 282
عمرو بن الإطنابة/ الربيح/ 4/ وافر/ 272
عمرو بن عبد ودّ/ مبارز/ 4/ مجزوء الكامل/ 246
عمرو بن معد يكرب/ جهول/ 3/ كامل/ 287
عمرو بن معد يكرب/ القياد/ 15/ وافر/ 320، 321
عمرو بن هشام (أبو جهل)/ سنّى/ 3/ رجز/ 234
عمير بن الحمام/ المعاد/ 5/ رجز/ 161
عنترة بن شداد/ بمعزل/ 3/ كامل/ 273
عيسى بن موسى/ غمدى/ 3/ رجز/ 157
قطرى بن الفجاءة/ لحمام/ 4/ كامل/ 267
قطرى بن الفجاءة/ لا تراعى/ 6/ وافر/ 274
قطرى بن الفجاءة/ تجتلد/ 7/ بسيط/ 323
قيس بن ثعلبة/ أغلينا/ 7/ بسيط/ 328، 329

ص: 374
كعب بن زهير/ الأنصار/ 9/ وافر/ 353
لقيط الإيادى/ و منتجعا/ 20/ بسيط/ 172، 177
مالک بن عوف النصرى/ محمد/ 4/ كامل/ 261
مالک بن عوف النصرى/ اقدم/ 2/ كامل/ 331
معاوية بن أبى سفيان/ فجبان/ 1/ طويل/ 291
محمد بن عبد الله بن طاهر/ بنباح/ 3/ سريع/ 325
محيصة بن مسعود/ قاضب/ 3/ طويل/ 254
نصر بن سيار/ ضرام/ 3/ وافر/ 287
نهشل بن حرى/ الجمر/ 2/ طويل/ 230
هارون الرشيد/ لجام/ 1/ طويل/ 331
هاشم بن عتبة أبى وقاص/ ملا/ 3/ رجز/ 233
هاشم بن عتبة بن أبى وقاص/ معقولا/ 1/ رجز/ 233
هدبة العذرى/ أركب/ 2/ طويل/ 288

ص: 375

فهرس الأعلام

الشخصية الصفحة
إبراهيم الخليل 107
أبى بن خلف 260
أبى بن كعب 231
أحمر قريش 348
الأحنف بن قيس 262، 292، 340
الأحيمر 336
الأخرم الأسدى (محرز بن نضلة) 344
أرسطاطاليس 305
أسامة بن زيد 134، 306
ابن اسحاق 215، 237
أبو إسحاق بن شعبان 91
الإسكندر 305
أسلم (مولى عمر) 314
إسماعيل بن نصر أبو الوليد 52
الأسود بن عبد الأسد المخزومى 244
الأسود بن عبد يغوث الزهرى 342
الأشتر النخعى 339، 340
أشهب بن عبد العزيز 132، 222، 223، 244، 251
أكثم بن صيفى 289
أمية بن خلف 343
أنس بن مالك 214، 235، 249، 259

أنو شروان 264
الأوزاعى 91
أبو أيوب الأنصارى (خالد بن زيد) 222، 223
الباجى أبو الوليد 76، 297
البراء بن مالک 235، 259
بسطام بن قيس 336
بشير بن علقمة 250، 251
بطريق يوم أجنادين 249
ابن بقيلة الغسانى 147
أبو بكر الصديق 133، 145، 146، 183، 188، 233، 269
بكر بن النطاح 322
بيهس الفزارى (نعامة) 270
تدمير 302
ثابت بن قيس 203، 235، 236
جابر بن عبد الله 129
جالوت 211
جبير بن مطعم 235، 236
الجحاف بن الحكيم 170
الجراح بن عبد الله الحكمى 145
الجرادة (اسم فرس) 322
جرجير 249
جرير بن الخطفى 283
جعفر بن أبى طالب 201، 202، 226
أبو جهل (أبو الحكم عمرو بن هشام) 234، 262، 277
حاتم الطائى 340، 346
الحارث بن الصمة 261

الحارث بن ظبيان 250
حاطب بن أبى بلتعة 118، 119
الحباب بن المنذر 197
ابن حبيب (عبد الملک بن حبيب) 76، 80، 108، 131 132، 192، 215، 222
حبيب بن أوس (أبو تمام) 291
حبيب بن زيد بن عاصم 237
الحجاج بن يوسف الثقفى 283، 294، 350
أبو حذيفة (بن عتبة بن ربيعة) 203، 253
الحريش بن مالک السعدى 339
ابن أبى حزام 55
ابن حزم 54، 316
حسان بن ثابت 352
الحسن 120، 218
الحسن بن على بن أبى طالب 247
الحسين بن على بن أبى طالب 276
أبو حشر 270
الحصين بن الحمام 269
ابن الحضرمى (مالک بن عباد) 181
حمزة بن عبد المطلب 243، 244، 246، 251، 337، 343
حنظلة بن الراهب 225
أبو حنيفة 182، 213، 219، 247
حويصة بن مسعود الأنصارى 253، 254
خارجة بن حذافة 341، 342
خالد بن الوليد 146، 147، 200، 202، 203، 204 220، 224، 230، 235، 266، 269

خريم بن خليفة الغطفانى 340
الخنساء بنت عمرو بن الشريد 238، 240
الدجال 89
أبو دجانة الأنصارى 214، 248
أبو الدرداء 95
دريد بن الصمة 154، 155، 189
(أبو دلامة) زند بن الجون الأسدى 284
أبو دلف العجلى (القاسم بن عيسى) 324
الدمياطى 55
أبو ذر 66، 131، 275
أبو ذر الخشنى 316
أبو رافع (مولى رسول الله) 216
ربيعة الرأى 224
ربيعة بن مكدم 335
رجل من بنى أمية 324
الزبير بن العوام 200، 214، 248، 337، 342، 343
زهير بن جناب الكلبى 319
أبو زهير الحمدانى 329
زياد ابن أبيه 153
زيد بن أسلم 108، 129
زيد بن حارثة 201
زيد بن خالد 105
زيد بن الخطاب 202، 235
زيد الخيل 336
زيد بن سهل (أبو طلحة) 232
زيد بن عاصم 237

ص: 379
سالم بن معقل (مولى أبى حذيفة) 203
سحنون 107، 117، 119، 181، 212، 213، 224
ابن سحنون 224
سعد بن الربيع الأنصارى 231
سعد بن أبى وقاص 148، 233، 251
سعيد بن جودى 330
أبو سعيد الخدرى 87
سعيد بن زيد 156
أبو سعيد المخزومى 322
سعيد بن أبى هند 114
أبو سفيان بن حرب 225، 259، 260
سفيان بن عوف الغامدى 152
سلمة بن الأكوع 120
سليک المقانب 337، 347
سليمان بن داود 288
سليمان بن عبد الملک 303
سمرة بن جندب الفزارى 185
السموأل 271، 321
الشافعى 182، 248
شبيب الحرورى 291، 339، 340
(الشداخ) يعمر بن عوف بن كعب 284
(ابن شعوب) شداد بن الأسود 225
شهر بن حوشب 82
شيبة بن ربيعة 244، 245، 246، 251
صعصعة بن صوحان 318، 319
صهيب الرومى (ابن سنان) 199

ص: 380
الضحاک بن عثمان الأسدی 217، 218
الضحاک بن قیس 284
ضرار بن الأزور 344
طارق بن زیاد 301، 302
الطرطوشی (أبو بکر) 285، 292، 304، 316
طلحة بن عبید الله 337، 343
(أبو طلحة الأنصاری) زید بن سهل 232، 259
طلیحة الأسدی 338، 341، 344
عائشة بنت أبی بکر 81، 289
عاصم بن ثابت بن أبی الأقلح 216
أبو العالیة الریاحی 130
أبو عامر الأشعری 233، 234
عامر بن الطفیل 337، 347
عامر بن عبد الله بن الزبیر 106، 109
عامر بن مالک (أبو براء) 336
عباد بن الحصین 338، 348
عباد بن زیاد ابن أبیه 153
عبادة بن الصامت 97
العباس بن عبد المطلب 260
عبد الله بن عباس 81، 89، 99، 101، 107، 129، 218، 315
ابن عبد البر القرطبی أبو عمر 89
عبد الرحمن بن خالد بن الولید 152
عبد الرحمن بن عوف 198، 343
عبد الله بن أبی ابن سلول 117، 118
عبد الله بن بدیل بن ورقاء الخزاعی 346
عبد الله بن الحسن 157

ص: 381
عبد الله بن خازم 338، 339، 349
عبد الله بن رواحة 107، 201، 202، 245
عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب 106، 249، 270، 340، 349، 350
عبد الله بن زيد بن عاصم 237
عبد الله بن أبى سرح 301، 349، 350
عبد الله بن عامر 346
عبد الله بن عمرو بن العاص 105
عبد الله بن قيس 168
عبد الله بن المعتز 326
عبد الملک بن مروان 350
أبو عبيدة (عامر بن عبد الله) 201، 224، 252
عبيدة بن الحارث بن المطلب 243، 246، 251
عتبة بن ربيعة 243، 245، 246، 290
(العتبى) محمد بن عبيد الله 151
عتيبة بن الحارث 335، 347
عثمان بن عفان 235
أبو عزة (عمرو بن عبد الله) 188
أبو العشائر الحمدانى (يحيى بن على) 329
عصمة بن راشد 78
أبو عطية (من الصحابة) 78
عقبة بن عامر 224
عكاشة بن محصن 344
عكرمة بن أبى جهل 232 و 235
ابن علفة 268
على بن أبى طالب 79، 106، 162، 169، 198، 245، 247، 258، 263، 268، 271، 272، 273، 275، 276، 337، 343

ص: 382
عمار بن ياسر 204، 345
أم عمارة الأنصارية (نسيبة) 236
عمر بن الخطاب 96، 105، 107، 119، 148، 162، 192، 198، 219، 233، 240، 248، 249، 277، 286، 314، 341
ابن عمر (عبد الله بن عمر) 78، 80، 98، 106، 109، 114، 258
عمر بن عبد العزيز 145
عمر بن عبيد الله (أحمر قريش) 348
عمران بن حصين 261
عمرو بن الإطنابة 272
عمرو بن أبى أمامة (عمرو بن المنذر) 281
عمرو بن العاص 105، 133، 307، 308، 341، 342
عمرو بن عبد ود 246، 247، 337
عمرو بن معد يكرب 250، 266، 286، 320، 337، 341، 347
عمير بن الحباب 338، 340
عمير بن الحمام 161
عنترة بن شداد 273، 281، 335، 347
عوف بن عفراء 245
ابن عون (عبد الله بن عون) 183
عيسى بن موسى 156
عيينة بن حصن 313
غيلان بن جرير 351
فراس بن غنم 335
أبو فراس الحمدانى 326
الفرزدق 349
ابن القاسم (عبد الرحمن بن قاسم) 191، 192، 193، 213، 214، 219، 222، 223

ص: 383
قبيس 320
أبو قتادة الأنصارى (الحارث بن ربعىّ) 344
قتادة بن النعمان 130، 218، 230
قتيبة بن مسلم 155
قدامة بن جعفر (أبو الفرج) 263
قطرى بن الفجاءة 267، 274، 323، 339
القعقاع بن عمرو 249، 250
أحد بنى قيس بن ثعلبة 329
قيس بن سعد 351
ابن ذى قينان 320
كسرى 177
كعب بن زهير 352
كعب القرظى 106
كعب بن مالك 101، 106
ابن الكلبى 307
لذريق 302
لقيط الإيادى 172
أبو لهب 215
(ابن الماجشون) 219
مالك بن أنس 76، 131، 132، 181، 193، 213، 214، 221، 223، 245، 251، 253
مالك بن عبد الله الخثعمى 291
مالك بن عوف النصرى 154، 261، 331
مالك بن نويرة 341
الماوردى 213
المبرد 324

ص: 384
متمم بن نويرة 341
المتنبى أبو الطيب 262، 275
مجاعة بن مرارة 205
مجاهد بن جبر 130
محمد بن الحسن الشيبانى 192، 223
محمد بن أبى الحجاج يوسف 51، 52
محمد بن السائب 216
محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم يكاد يذكر صلى الله عليه و سلم فى كل صفحة من صفحات الكتاب
محمد بن عبد الله بن طاهر 325
محمد بن عقيل الهاشمى 276
محمد بن كعب القرظى 106
ابن محيريز (عبد الله) 316
محيصة بن مسعود الأنصارى 253، 254
مرزبان الدارة 249
المرقال (هاشم بن عتبة) 232
مروان بن سالم 108
مروان بن محمد الجعدى 284، 285، 287
المستعين الصغير ابن هود 295
ابن مسعود (عبد الله) 277
أبو مسلم الخراسانى 269
مسلمة بن عبد الملک 265، 290
مسلمة بن على الخشنى 107، 108
مسيلمة الكذاب 203، 235، 236
ابن المصحفى 297، 300
مصعب بن الزبير (ابن الكلبية) 348

ص: 385
معاذ بن جبل 80
معاذ بن عفراء 245
معاذ بن عمرو بن الجموح 234، 235
معاوية بن أبى سفيان 151، 152، 271، 273، 282، 291، 346، 351
المعرى (أبو العلاء) 205
المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب 215
المغيرة بن شعبة 165
المقداد بن الأسود (المقداد بن عمرو) 342
مكحول بن أبى مسلم 79، 316
ابن المنذر 54
المنصور أبو جعفر 156
المنصور بن أبى عامر 297، 298، 299، 300
المهلب بن أبى صفرة 294، 306، 319، 348
ابن المواز 131، 221
موسى عليه السلام 342
أم موسى 315
موسى بن نصير 301، 302، 303
النابغة الجعدى 324
ابن نافع 167
نافع بن جبير 183
نسيبة (أم عمارة) 236
نصر بن سيار 287
النعمان بن مقرن 165، 167، 213، 341
النمر بن تولب العكلى 274
نهشل بن حرى 230
هارون الرشيد 330

ص: 386
هاشم بن عتبة بن أبى وقاص 232
هبيرة بن عبد يغوث 282
هدبة العذرى 288
(أبو هريرة) 78، 98، 129، 130، 200، 221
هشام بن عبد الملک 265
ابن هود المستعين الصغير 295
أبو الهيثم الأنصارى 164
وحشى بن حرب الحبشى 235
الوليد بن عبد الملک 153، 303
الوليد بن عتبة 244، 245، 246، 302
ابن وهب 107، 224
يزيد بن أبى سفيان 145
يزيد بن قيس 203، 204
ابن يونس (له كتاب فقه الجهاد) 54

فهرس الأمم و الجماعات و القبائل

الأمم و الجماعات و القبائل الصفحة
آل الزبير 271
أبناء قيلة 351
أبناء المهلب 306
الأراقم من تغلب 347
الأزارقة 294، 319
أصحاب الألوية 292
أصحاب الرسول صلى الله عليه و سلم 53
أصحاب مالک 218
أصحاب موسى 342
الأطباء 142
الأطفال 216
الأعاجم 250
الأعراب 206
الإفرنج 304
الأنصار 185، 203، 206، 317، 350، 351، 352، 353
أهل الآخرة 121
أهل الاجتهاد و الصبر 150
أهل الأندلس 82
أهل بدر 119
أهل البصائر و الممارسة للحرب 121
أهل البطالة و الصلف 141
أهل البغى و الضلالة 100

ص: 388
أهل الثغور 131
أهل الحرب 150
أهل حمص 314
أهل الخاصة 150
أهل خيبر 213
أهل الدنيا 121
أهل الذمة 150
أهل الرأى و القياس 150
أهل الردة 133
أهل السّرف 317
أهل سورة البقرة 206
أهل السّير 121
أهل الشام 273
أهل الصلح 149، 150
أهل صناعة الجير 142
أهل الطائف 183
أهل العراق 224
أهل العلم 244
أهل الفشل و الخور و الخذلان 220
أهل الفضل و الدين و النصيحة 121
أهل القادسية 218
أهل القرآن 206
أهل القوة 150
أهل الكوفة 335
أهل المدينة 259
أهل النظر 130

ص: 389
الأوس 116، 139، 351
إياد 173
البربر 304
بعض الحكماء 291
بعض الصحابة 290
بعض العلماء 257
بلحارث بن مذحج 347
البناؤون 142
بنو إسرائيل 149
بنو أمية 287
بنو حنيفة 204، 205، 236
بنو سلمة 161
بنو عبد الله بن الحسن 157
بنو فراس بن غنم 335
بنو لحيان 87
بنو النضير 186
بنو هاشم 245
تجار اليهود 140
جمهور أصحاب مالک 219
جيوش إفريقية 301
جيوش المسلمين 162
الحدادون 142
حزب الله 166
حزب الشيطان 166
الحكماء 257، 285
حكماء العجم 292

ص: 390
حكماء الفرس 230
خزاعة 284، 346
الخزرج 116، 139، 351
ذو الرأي 190
رجال الأنصار 339، 350
الرهبان 146، 189
الروم 81، 91، 151، 152، 191، 192 298، 303، 315، 330
السادة 186
سلول 321
شن من عبد القيس 347
الصبيان 189
الطبقة الخسيسة 141
طى 206
عاد 320
عامر 320
العبيد 186
العجم 250، 317
عدى من فزارة العرب 327
العرب 52، 269، 345، 350
عسكر المسلمين 181
عطيف من مراد 347
غلمان الأنصار 185
فارس 214
الفرس 230، 250
فضلاء الصحابة 253

ص: 391
قتلى بدر 187
قريش 217، 227، 261، 277، 300، 341، 345
الكافرون 169
كلاب من عامر 347
اللصوص و قطاع الطرق 100
المترهبات 190
المجوس 192
مراد 281، 321
المرازبة 264
مرة من ذيبان 347
مسافرو النصارى 140
المسلمون 81، 91
المشركون 181
معد 347
الملائكة 215، 222
المنافقون 122
منان من بكر وائل 347
المهاجرون 116، 118، 139، 206، 317، 342
النجاجرة لآلات القتال 142
النساء 189، 216
همدان 346
هوازن 154، 155
وداعة من همدان 189
الولاة 188

ص: 392

فهرس الأماكن

المكان الصفحة
أجنادين 249
أحد 98، 213، 225، 230، 237، 248، 260، 300، 343، 352
أرض الروم 152، 238، 315
إفريقية 301، 302، 349
الأندلس 53، 75، 81، 82، 296، 302، 303
أنهار الجنة 69
أوطاس 233
بدر 117، 118، 161، 197، 198، 206، 214، 215، 216، 218، 234، 243، 245، 253، 276، 290، 343، 352
البر و البحر 151
بزاخة 344
بصرى 254
بلاد الروم 181، 237، 330
بلاد المشركين 298
جبل طارق 302
جبل الفتح (طارق) 302
الجزيرة 172
الجزيرة الخضراء 302
الحجر الأسود 69
الحديبية 181، 345
حديقة الموت 235، 236
حمص 314

ص: 393
حنين 154، 171، 189، 199، 259، 303
الحوض (فی موقعة بدر) 244
خراسان 287، 319
الخندق (حرب الخندق) 246
خيبر 191، 213
ساحل المسلمين 132
الشام 52، 145، 162
صفين 272، 345، 346، 351
الطائف 183، 186
العراق 52، 224
العقبة (ليلة العقبة) 216، 231، 237
غزة 307
الفردوس 69
القادسية 218، 232، 238، 250
قرى أهل الصلح و الذمة 149
القليب (قليب بدر) 187
قيسارية 307
كروم الطائف 186
الكعبة 277
الكوفة 335
مؤتة 201، 218، 220، 226، 230
مأرب 254
المدينة 114، 156، 188، 246، 259
المسجد الحرام 181
المغرب الأقصى 82
مكة 105، 118، 200
منازل الروم 191

ص: 394
منعرج اللوى 190
النعف 225
نهاوند 165
الهند 305
وادى قضيب 281، 282
وشقة 295، 296
اليرموک 224، 232، 233
اليمامة 203، 206، 235، 237

ص: 395

فهرس الأيام و الغزوات و الحروب

الأيام و الغزوات و الحروب الصفحة
يوم أجنادين 249
يوم أحد 98، 213، 225، 230، 237، 248، 260
يوم أوطاس 233
يوم بدر 187، 197، 198، 206، 214، 234، 243، 245، 253، 260، 276، 290
يوم بزاخة 344
يوم الجمل 289، 343، 340
يوم الحديبية 181، 345
يوم حديقة الموت 235، 236
يوم حنين 154، 171، 189، 199، 249، 259
يوم الخندق 246
يوم خيبر 191، 213
يوم صفين 272، 345، 346، 351
يوم حرب الفجار 258
يوم فتح مكة 200
يوم القادسية 218، 233، 238، 250
يوم ليلة الهرير بصفين 272
يوم مؤتة 201، 218، 220، 226، 230
يوم النعف 225
يوم نهاوند 165
يوم اليرموک 224، 232، 233
اليمامة (حرب اليمامة) 203، 206، 235، 237

فهرس الكتب المذكورة فى تحفة الأنفس

الكتاب الصفحة
تهذيب الإمعان فى الشجاعة و الشجعان 54
كتاب الجهاد لابن المنذر 54
كتاب ابن حبيب 222
كتاب ابن أبى حزام 55
كتاب الحماسة 55
كتاب حياة القلوب 237
كتاب الخيل (للحميدى) 55
كتاب الخيل (للدمياطى) 55
كتاب راحة القلوب و الأرواح فى الخيل و السلاح 54
كتاب (رسالة) الفرس 55
كتاب ابن سحنون 224
سراج الملوک و نظم السلوک (للطرطوشى) 54، 304
كتاب السياسة (لابن حزم) 54
كتاب سيرة أجواد الأنجاد فى مراتب الجهاد 54
كتاب الشرف (عنوان الشرف الوافى) 188
كتاب العقد 54
كتاب فقة الجهاد لابن يونس 54
مروج الذهب (المسعودى) 54
كتاب ابن الموّاز 131
كتاب يقظة الناعس لتدريب المجاهد الفارس 54

ص: 397

فهرس المصطلحات و الألفاظ الخاصة

الشخصية الصفحة
الرصّد 125
الزحف 217
زعيم الجيش 245
الساقة 115، 134، 135، 201
السرايا (السرية) 129، 135، 150، 303
السهم 142
الشعار 116، 117
الصائفة (الصوائن) 142، 152
الصبر 75
الصلة غير المرتبة 141
طليعة (طلائع) 129، 150، 303
العامة 135
العرادات 183
العرفاء 115
العريف 141
عسكر 116، 121، 134، 151
العصبية 140
العقدة 141
العلم 141
العلوفة 125
العين (العيون) 120، 125
الغرّة 182
الغنيمة 142، 153

ص: 398
الفئة 345
قائد الجماعة 141
القبة 345
الكفارة 184
العصبية 140
الأدلاء 139، 140، 146
الأعنّة 318، 345
الإمام 224
الأمير 120، 141، 200
البند 141
البيات 135
التنفيل 142
الجزية 140
الجند البلدى 140
الجند المندوب 140
الجهاد 115
الجواسيس 139، 140
الجيوش 303
الحاسر 163
الخاصة 135
الخمس 142
دار الإسلام 191، 192
دار الحرب 190
الدارع 163
الدية 184
الراية (الرايات) 141، 163، 201، 202، 214

ص: 399
الرباط 75، 76
اللواء 141
المتطوعة 315
مذهب الشافعى 182
المزاحفة 217
المسترزق 99، 115
المصابرة 218
مصاف الثغر 116
المطوعة 115
المغناطيس 230
منادى الأمير 134
منادى الإمام 135
المنجنيق 183
الناظر 141
النقباء 115
النقيب 141
والى الثغر 140، 142

ص: 400

ص: 401

فهرس أبواب الكتاب

* المقدمة 7
* المؤلف و الكتاب 9
* نماذج من صفحات المخطوطات المعتمدة فى التحقيق 19
* مقدمة المؤلف 39
* القسم الأول 47
* الباب الأول: فى فصل الجهاد و ما أعد الله للمجاهد و الشهيد فى سبيله 49
* فى فضل الجهاد و معناه لغة و اصطلاحا 51
* ذكر الآيات التى تحض على الجهاد 52
* الأحاديث و الآثار المروية فى الجهاد 54
* الباب الثانى: فى الرباط و ما خصت به من ذلک جزيرة الأندلس 61
* الصبر و الرباط لغة و اصطلاحا 63
* ذكر الأحاديث الواردة فى الرباط و ما يتصل به 65
* الإشادة بالأندلس 69
* ذكر الآثار التى ورد فيها ذكر الأندلس 69
* الباب الثالث: فى فرض الجهاد و ما قيل فى ذلک 71
* وجوب الجهاد 73
* الجهاد فرض كفاية 74
* فائدة الجهاد و فروضة و أحكامه 75
* المهادنة و أحكامها 77
* فرض الجهاد، وجوبه و سقوطه 78
* الباب الرابع: فيما يفعله الغازى عند خروجه إلى الجهاد 81
* تفعيل القول فيما يسبق الغزو 83
* ذكر الآيات و الأحاديث و الخطب فى ذلک 84
* ذكر بعض الأدعية المستحسنة 88
* الباب الخامس: فى مشاركة الغازى و معاونته و تجهيزه 91

ص: 402
* ذکر الآثار التی تحض علی تجهیز الغازی و معاونته 93
* الباب السادس: فیما یجب علی الأمیر أن یفعله فی السفر 99
* الرفق بتسییر الجیش و الآثار الواردة فی ذلک 101
* تفقد الخیل و المتاع 102
* مراعاة أمر المقاتلة و ترتیب المسؤولیة 103
* وضع شعار لکل طائفة 104
* وجوب تصفح الجیش و إخراج غیر الموثوقین منه 105
* وجوب أن یکون القائد أسوة و وجوب المشاورة 108
* وجوب استدناء أهل الفضل و الاعتماد علی الخبراء 108
* الحرص علی جمع الکلمة و وجوب المعاملة العادلة 111
* وجوب النهی عن الفساد و التشاغل بأمور الدنیا 111
* إعداد ما یحتاج إلیه الجیش و تعرف أحوال الناس فی العسکر 113
* الباب السابع: فی امتثال الغازی أمر إمامه و أمیر عسکره و قائد جماعته 115
* وجوب طاعة الغازی أمر إمامه و الآثار الواردة فی ذلک 117
* لا یخرج العسکر بغیر إذن إمامه إلا لضرورة 119
* وجوب المشاورة و الطاعة 121
* الباب الثامن: فی حکم ولاة الثغور و ذکر الصوائف 125
* تخیر رجال الثغور و مدهم بما یحتاجونه 127
* تکثیر رجال الثغور و وجوب تبدیل الجند کل ستة أشهر 127
* الاهتمام بالتجسس و طرد الجنود غیر الأکفاء 128
* الرتب العسکریة 129
* واجبات الإمام فی فتح البلاد و الصوائف 130
* الباب التاسع: فی وصایا أمراء الجیوش 131
* کتاب عمر بن عبد العزیز إلی الجراح 133
* وصیة الصدیق لیزید بن أبی سفیان 133
* وصیة الصدیق لخالد بن الولید 134
* کتاب خالد بن الولید إلی مرازبة فارس 135
* قول لعمر بن الخطاب عند عقد الألویة 136

ص: 403
* كتاب عمر بن الخطاب إلى سعد 136
* خبر معاوية مع عبد الرحمن بن خالد و سفيان بن عوف 139
* وصية عبد الملک لأحد الأمراء 140
* خبر الوليد مع عباد بن زياد 141
* خبر دريد بن الصمة مع مالک بن عوف فی حرب هوازن يوم حنين 142
* وصية قتيبة لأصحابه 143
* وصية سعيد بن زيد لبنيه 144
* خبر عيسى بن موسى مع المنصور 144
* الباب العاشر: فی التحريض على الجهاد 147
* وجوب تحريض الإمام للناس على الجهاد 149
* الرسول م يحرض على الجهاد 149
* عمر يشجع الخطباء على التحريض 150
* جواز التحريض للشهادة بشرطين 150
* من تحريض الإمام على لأصحابه 150
* تحريض لأبی الهيثم الأنصاری و غيره 152
* خبر تحريض النعمان بن مقرن لأصحابه 153
* مما كان يحرض به من الكلام البليغ 155
* الأسلوب المطلوب فی التحريض 158
* قصيدة لقيط بن يعمر الإيادی 160
* قصيدة لبعض المتأخرين فی الحض على الجهاد 166
* الباب الحادی عشر: فيما يجوز فعله فی الغزو و ما لا يجوز فعله فيه 167
* جواز القتال فی كل وقت و فی الشهر الحرام 169
* صنفا المشركين و موقف المسلمين من كل منهم 169
* تحريق المشركين أيجوز أم لا يجوز 171
* حكم المتترسين بالمسلمين أو بالنساء و الأطفال 172
* لا يجوز الاستعانة بالمشركين 172
* الرسول يعرض أطفال الأنصار كل عام 173
* حكم قتال العبيد و الاستعانة بهم 174

ص: 404
ما يجوز أن يفعله المسلمون بأرض عدوهم 174
* ما لا يجوز أن يفعله المسلمون بعدوهم 175
* جواز ذبح الأنعام و أكل الطعام و أخذ بعدوهم 179
* الباب الثانى عشر: فيما يجب عمله عند إرادة اللقاء 183
* وجوب تقديم الطلائع و الرواد و اختيار موضع المعركة 185
* اختيار علة الأرض و دمثها 185
* تعبئة الرسول م لأصحابه ليلة البدر 186
* يجب عدم الاغترار بكثرة العدد 187
* وجوب ترتيب الجيش فى مصاف الحرب 188
* وجوب جعل راية لكل جماعة و ذكر أخبار الرايات 189
* وجوب حفظ السيوف 192
* تقديم الثقات من أهل الجلد 194
* الباب الثالث عشر: فى القتال و المزاحفة و ما قيل فى التحرف و الانحياز 197
* وجوب الصبر و آيات قرآنية 199
* وجوب الثبات عند لقاء العدو 200
* آداب اللقاء فى كلام لعلى و سحنون 200
* تخير وقت القتال 201
* إعلام الفارس نفسه و تسويم الخيل 203
* كلام عاصم فى كيفية القتال 204
* الانهزام و عدم جوازه و الفرق بينه و بين الانحياز 206
* رض بعض حالات تقع فى الحرب 208
* عقر خيل العدو 213
* الباب الرابع عشر: فى مصابرة العدو و مواقفته عند اللقاء 215
* وجوب المصابرة و الطاعة 217
* ذكر بعض أهل الثبات و العزيمة و بعض أخبارهم 218
* الباب الخامس عشر: فى المبارزة 229
* أخبار المبارزة يوم بدر 231
* الدعوة إلى المبارزة و حكم ذلک و ذكر أخبار المبارزات 232

* حکم مبارزة الرجل أبیه 239
* الباب السادس عشر: فی الشجاعة و الإقدام 243
* شجاعة رسول صلّی اللّه علیه و سلم 245
* تعریفات للشجاعة و الجبن 245
* درجات الشجاعة 246
* شجاعة مسلمة بن عبد الملک 253
* الأمور المشجعة 254
* شجاعة أبی بکر 264
* شجاعة عمر 265
* الباب السابع عشر: فی صفة الحرب و تدبیرها و المکیدة فیها 267
* فضیلة الصبر و الشجاعة 269
* وصف الحرب 269
* الحیاة و الموت بقدر 270
* کلام للطرطوشی فی فضیلة الشجاعة 273
* وصف الحرب 275
* وجوب الحذر من العدو 276
* تدبیر الحرب و العمل بها 277
* تصریف الحیلة فی نیل الظفر 278
* تنظیم الجیش 280
* الکمین 283
* أثر الشجعان فی نیل النصر 283
* علة النصر و علة الهزیمة 284
* کلام لموسی بن نصیر فی شجاعة الأمم 291
* الطرطوشی یذکر کیفیة من کیفیات الحرب 292
* الحرب خدعة. 294
* الباب الثامن عشر: فی الفروسیة و التجند 299
* ذکر أحادیث نبویة فی فصل التجند 301
* عمر بن الخطاب یحث علی تعلم الفروسیة و الرمایة و السباحة 302

* فضائل الفروسية و أفضل الفرسان 303
* كيفية تقدير مقدار الأعطيات للجند 304
* من هو الفارس؟ كلام لصعصعة بن صوحان 306
* ثمانية أخلاق للفارس 307
* ما يأخذ به الفارس نفسه من ثقافة وعدة 308
* أشعار فى الفروسية 308
* الباب التاسع عشر: فى ذكر مشاهير فرسان العرب فى الجاهلية و الإسلام 321
* ذكر فرسان العرب فى الجاهلية 323
* ذكر الفرسان فى الإسلام 325
* الباب العشرون: فى الأمور المحصنة من التغرير الداعية إلى النصر فى الحرب 343
* نصائح و توجيهات فى صناعة الحرب 345
* المراجع 349
* الفهارس العامة 359
* فهرس الآيات القرآنية الكريمة 361
* فهرس الأحاديث النبوية الشريفة 364
* فهرس الأثر 369
* فهرس الأمثال 370
* فهرس الشعراء 371
* فهرس الأعلام 375
* فهرس الأمم و الجماعات و القبائل 387
* فهرس الأماكن 392
* فهرس الأيام و الغزوات و الحروب 395
* فهرس الكتب المذكورة فى تحفة الأندلس 396
* فهرس المصطلحات و الألفاظ الخاصة 397(787)

تحفة الأنفس و شعار سكان الأندلس
تحفة الأنفس و شعار سكان الأندلس
المقدمة
المؤلف و الكتاب
المؤلف: ..... ص : 9
آثاره: ..... ص : 10
حلية الفرسان و شعار الشجعان: ..... ص : 10

عين الأدب و السياسة و زين الحب و الرياسة: ..... ص : 11
الفوائد المسطرة فى علم البيطرة أو الأبواب: ..... ص : 12
كمال البغية و النيل: ..... ص : 12
مقالات الأدباء: ..... ص : 12
الكتاب: ..... ص : 13
النسخ المعتمدة فى التحقيق: ..... ص : 14
1 - نسخة الأسكوريال(س): ..... ص : 14
2 - نشرة مرسيه(م): ..... ص : 15
عملنا فى الكتاب: ..... ص : 16
نماذج من صفحات المخطوطات المعتمدة فى التحقيق
مقدمة المؤلف
القسم الأول
الباب الأول فى فضل الجهاد و ما أعد الله للمجاهد و الشهيد فى سبيله ..... ص : 49
فى فضل الجهاد و معناه لغة و اصطلاحا ..... ص : 51
ذكر الآيات التى تحض على الجهاد ..... ص : 52
الأحاديث و الآثار المروية فى الجهاد ..... ص : 54
الباب الثانى فى الرباط و فضله و ما خصت به من ذلک جزيرة الأندلس ..... ص : 61
الصبر و الرباط لغة و اصطلاحا ..... ص : 63
و فرائض الرباط: ..... ص : 64
ذكر الأحاديث الواردة فى الرباط و ما يتصل به ..... ص : 65
الإشادة بالأندلس ..... ص : 69
الباب الثالث فى فرض الجهاد و ما قيل فى ذلک ..... ص : 71
وجوب الجهاد ..... ص : 73
الجهاد فرض كفاية ..... ص : 74
فائدة الجهاد و فروضة و أحكامه ..... ص : 75
المهادنة و أحكامها ..... ص : 77
فرض الجهاد، وجوبه و سقوطه ..... ص : 78
الباب الرابع فيما يفعله الغازى عند خروجه إلى الجهاد ..... ص : 81
تفعيل القول فيما يسبق الغزو ..... ص : 83
ذكر الآيات و الأحاديث و الخطب فى ذلک ..... ص : 84
ذكر بعض الأدعية المستحسنة ..... ص : 88
الباب الخامس فى مشاركة الغازى و معاونته و تجهيزه ..... ص : 91
ذكر الآثار التى تحض على تجهيز الغازى و معاونته ..... ص : 93
الباب السادس فيما يجب على الأمير أن يفعله فى السفر ..... ص : 99

الرفق بتسيير الجيش و الآثار الواردة فى ذلک ..... ص : 101
تفقد الخيل و المتاع ..... ص : 102
مراعاة أمر المقاتلة و ترتيب المسؤولية ..... ص : 103
وضع شعار لكل طائفة ..... ص : 104
وجوب تصفح الجيش و إخراج غير الموثوقين منه ..... ص : 105
وجوب أن يكون القائد أسوة و وجوب المشاورة ..... ص : 108
وجوب استدناء أهل الفضل و الاعتماد على الخبراء ..... ص : 109
الحرص على جمع الكلمة و وجوب المعاملة العادلة ..... ص : 111
وجوب النهى عن الفساد و التشاغل بأمور الدنيا ..... ص : 111
إعداد ما يحتاج إليه الجيش و تعرف أحوال الناس فى العسكر ..... ص : 113
الباب السابع فى امتثال الغازى أمر إمامه و أمير عسكره و قائد جماعته ..... ص : 115
وجوب طاعة الغازى أمر إمامه و الآثار الواردة فى ذلک ..... ص : 117
لا يخرج العسكر بغير إذن إمامه إلا لضرورة ..... ص : 119
وجوب المشاورة و الطاعة ..... ص : 121
الباب الثامن فى حكم ولاة الثغور و ذكر الصوائف ..... ص : 125
تخير رجال الثغور و مدهم بما يحتاجونه ..... ص : 127
تكثير رجال الثغور و وجوب تبديل الجند كل ستة أشهر ..... ص : 127
الاهتمام بالتجسس و طرد الجنود غير الأكفاء ..... ص : 128
الرتب العسكرية ..... ص : 129
واجبات الإمام فى فتح البلاد و الصوائف ..... ص : 130
الباب التاسع فى وصايا أمراء الجيوش ..... ص : 131
كتاب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح ..... ص : 133
وصية الصديق ليزيد بن أبى سفيان ..... ص : 133
وصية الصديق لخالد بن الوليد ..... ص : 134
كتاب خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس ..... ص : 135
قول لعمر بن الخطاب عند عقد الألوية ..... ص : 136
كتاب عمر بن الخطاب إلى سعد ..... ص : 136
خبر معاوية مع عبد الرحمن بن خالد و سفيان بن عوف ..... ص : 139
وصية عبد الملک لأحد الأمراء ..... ص : 140
خبر الوليد مع عباد بن زياد ..... ص : 141
خبر دريد بن الصمة مع مالک بن عوف فى حرب هوازن يوم حنين ..... ص : 142
وصية قتيبة لأصحابه ..... ص : 143
وصية سعيد بن زيد لبنيه ..... ص : 144

خبر عیسی بن موسی مع المنصور ..... ص : 144
الباب العاشر فی التحریض علی الجهاد ..... ص : 147
وجوب تحریض الإمام للناس علی الجهاد ..... ص : 149
الرسول م یحرض علی الجهاد ..... ص : 149
عمر یشجع الخطباء علی التحریض ..... ص : 150
جواز التحریض للشهادة بشرطین ..... ص : 150
من تحریض الإمام علی لأصحابه ..... ص : 150
تحریض لأبی الهیثم الأنصاری و غیره ..... ص : 152
خبر تحریض النعمان بن مقرن لأصحابه ..... ص : 153
مما کان یحرض به من الکلام البلیغ ..... ص : 155
و من کلام بعض المحرضین: ..... ص : 156
الأسلوب المطلوب فی التحریض ..... ص : 158
قصیدة لقیط بن یعمر الإیادی ..... ص : 160
قصیدة لبعض المتأخرین فی الحض علی الجهاد ..... ص : 166
الباب الحادی عشر فیما یجوز فعله فی الغزو و ما لا یجوز فعله فیه ..... ص : 167
جواز القتال فی کل وقت و فی الشهر الحرام ..... ص : 169
صنفا المشرکین و موقف المسلمین من کل منهم ..... ص : 169
تحریق المشرکین أیجوز أم لا یجوز ..... ص : 171
حکم المتترسین بالمسلمین أو بالنساء و الأطفال ..... ص : 172
لا یجوز الاستعانة بالمشرکین ..... ص : 172
الرسول یعرض أطفال الأنصار کل عام ..... ص : 173
حکم قتال العبید و الاستعانة بهم ..... ص : 174
ما یجوز أن یفعله المسلمون بأرض عدوهم ..... ص : 174
ما لا یجوز أن یفعله المسلمون بعدوهم ..... ص : 175
جواز ذبح الأنعام و أکل الطعام و أخذ بعدوهم ..... ص : 179
الباب الثانی عشر فیما یجب عمله عند إرادة اللقاء ..... ص : 183
وجوب تقدیم الطلائع و الرواد و اختیار موضع المعرکة ..... ص : 185
اختیار علو الأرض و دمثها ..... ص : 185
تعبئة الرسول م لأصحابه لیلة بدر ..... ص : 186
یجب عدم الاغترار بکثرة العدد ..... ص : 187
وجوب ترتیب الجیش فی مصاف الحرب ..... ص : 188
وجوب جعل رایة لکل جماعة و ذکر أخبار الرایات ..... ص : 189
وجوب حفظ السیوف ..... ص : 192
تقدیم الثقات من أهل الجلد ..... ص : 194

الباب الثالث عشر فى القتال و المزاحفة و ما قيل فى التحرف و الانحياز ..... ص : 197
وجوب الصبر و آيات قرآنية ..... ص : 199
وجوب الثبات عند لقاء العدو ..... ص : 200
آداب اللقاء فى كلام لعلى و سحنون ..... ص : 200
تخير وقت القتال ..... ص : 201
إعلام الفارس نفسه و تسويم الخيل ..... ص : 201
كلام عاصم فى كيفية القتال ..... ص : 204
الانهزام و عدم جوازه و الفرق بينه و بين الانحياز ..... ص : 205
عقر خيل العدو ..... ص : 213
الباب الرابع عشر فى مصابرة العدو و مواقفته عند اللقاء ..... ص : 215
وجوب المصابرة و الطاعة ..... ص : 217
ذكر بعض أهل الثبات و العزيمة و بعض أخبارهم ..... ص : 218
الباب الخامس عشر فى المبارزة ..... ص : 229
أخبار المبارزة يوم بدر ..... ص : 231
الدعوة إلى المبارزة و حكم ذلک و ذكر أخبار المبارزات ..... ص : 232
حكم مبارزة الرجل أبيه ..... ص : 239
الباب السادس عشر فى الشجاعة و الإقدام ..... ص : 243
شجاعة رسول صلى الله عليه و سلم ..... ص : 245
شجاعة مسلمة بن عبد الملک ..... ص : 253
الأمور المشجعة ..... ص : 254
شجاعة أبى بكر ..... ص : 264
شجاعة عمر ..... ص : 265
الباب السابع عشر فى صفة الحرب و تدبيرها و المكيدة فيها ..... ص : 267
فضيلة الصبر و الشجاعة ..... ص : 269
وصف الحرب ..... ص : 269
الحياة و الموت بقدر ..... ص : 270
كلام للطرطوشى فى فضيلة الشجاعة ..... ص : 273
وصف الحرب ..... ص : 275
وجوب الحذر من العدو ..... ص : 276
تدبير الحرب و العمل بها ..... ص : 277
تصريف الحيلة فى نيل الظفر ..... ص : 278
تنظيم الجيش ..... ص : 280
الكمين ..... ص : 283
أثر الشجعان فى نيل النصر ..... ص : 283

علة النصر و علة الهزيمة ..... ص : 284
كلام لموسى بن نصير فى شجاعة الأمم ..... ص : 291
الطرطوشى يذكر كيفية من كيفيات الحرب ..... ص : 292
الحرب خدعة ..... ص : 294
الباب الثامن عشر فى الفروسية و التجند ..... ص : 299
ذكر أحاديث نبوية فى فضل التجند ..... ص : 301
عمر بن الخطاب يحث على تعلم الفروسية و الرماية و السباحة ..... ص : 302
فضائل الفروسية و أفضل الفرسان ..... ص : 303
كيفية تقدير مقدار الأعطيات للجند ..... ص : 304
من هو الفارس؟ كلام لصعصعة بن صوحان ..... ص : 306
ثمانية أخلاق للفارس ..... ص : 307
ما يأخذ به الفارس نفسه من ثقافة وعدة ..... ص : 308
أشعار فى الفروسية ..... ص : 308
الباب التاسع عشر فى ذكر مشاهير فرسان العرب فى الجاهلية و الإسلام ..... ص : 321
ذكر فرسان العرب فى الجاهلية ..... ص : 323
ذكر الفرسان فى الإسلام ..... ص : 325
الباب العشرون فى الأمور المحصنة من التغرير الداعية إلى النصر فى الحرب ..... ص : 343
نصائح و توجيهات فى صناعة الحرب ..... ص : 345
المراجع
الفهارس العامة
فهرس الآيات القرآنية الكريمة ..... ص : 361
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ..... ص : 364
فهرس الأثر ..... ص : 369
فهرس الأمثال ..... ص : 370
فهرس الشعراء ..... ص : 371
فهرس الأعلام ..... ص : 375
فهرس الأمم و الجماعات و القبائل ..... ص : 387
فهرس الأماكن ..... ص : 392
فهرس الأيام و الغزوات و الحروب ..... ص : 395
فهرس الكتب المذكورة فى تحفة الأنفس ..... ص : 396
فهرس المصطلحات و الألفاظ الخاصة ..... ص : 397
فهرس أبواب الكتاب ..... ص : 401

بسم الله الرحمن الرحيم
جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/41).
قالَ الإمامُ علىّ ُبنُ موسَى الرِّضا – علـَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَـنـادِرُ البِحـار – فى تلخيص بحـار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص 159؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشـَّيخ الصَّدوق، الباب28، ج1/ ص307).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثـَّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابِـذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علـَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بِـساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنـَةِ 1340 الهجريّة الشمسيّة (=1380 الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسة ً و طريقة ً لم يَنطـَفِئ مِصباحُها، بل تـُتـَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قدً ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنـَةِ 1385 الهجريّة الشمسيّة (=1427 الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمع ٍمن خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتـَّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثـَقافة الثـَّقـَلـَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشـَّباب و عموم الناس إلى التـَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النـّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثـَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطـّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشـُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...
- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثـّها بالأجهزة الحديثة متصاعدة ً، على أنـّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد - و نشرِ الثـَّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالـَم - مِن جِـهةٍ أُخرَى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة
ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول
ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...
د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ
ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة
و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: 00983112350524)
ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشک، و الرّسائل القصيرة SMS
ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...
ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة
ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّـِى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنـَة
المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد"/ ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائى"/بناية"القائميّة"
تاريخ التأسيس: 1385 الهجريّة الشمسيّة (=1427 الهجرية القمريّة)
رقم التسجيل: 2373
الهويّة الوطنيّة: 10860152026
الموقع: www.ghaemiyeh.com
البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com
المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com
الهاتف: 25-2357023- (0098311)
الفاكس: 2357022 (0311)
مكتب طهرانَ 88318722 (021)
التـّجاريّة و المَبيعات 09132000109
امور المستخدمين 2333045(0311)
ملاحَظة هامّة:
الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـّقافيّة؛ لهذا

فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلک، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّـقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التـّمكـّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

